**جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي -**
**كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**
**قسم العلوم الإنسانية**
**شعبة التاريخ**

**الموضوع:**

# الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني

# (1914-1983)

**مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب الحديث والمعاصر**

**إعداد الطالبتين:**
فيروز برجوح
نعيمة مردف

**إشراف الدكتور:**
عثمان زقب

**لجنة المناقشة**

| الأستاذ | الصفة | مؤسسة الإنتساب |
|---|---|---|
| د. عبد القادر كركار | رئيس الجلسة | جامعة الشهيد حمه لخضر |
| د. عثمان زقب | مشرفاً ومقرراً | جامعة الشهيد حمه لخضر |
| أ. أحمد بالعجال | عضواً مناقشاً | جامعة الشهيد حمه لخضر |

**السنة الجامعية : 2018/2017**

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: "فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون" سورة البقرة 152

الحمد لله والصلاة والسلام على من أكمل الله به الدين وأتم به النعمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين له بالإحسان إلى يوم الدين.

ربي أدخلنا مدخل صدقا وأخرجنا مخرج صدق وأجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا

اللهم علمنا علما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علما

في البداية نحمد الله ونشكره على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع الذي يعد خطوة في مجال التكوين العلمي والعملي.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لنا المساعدة في إعداد هذه المذكرة المتواضعة

ونخص بالذكر الدكتور المؤطر "عثمان زقب" الذي عمل على توجيهنا وتحمل كل ما فينا من نقائص وسلبيات والذي كان بمثابة النور الذي أضاء لنا الطريق فجزاه الله كل خير ومنحه الصحة والعافية

إلى كل الأساتذة الكرام بقسم العلوم الإنسانية اللذين رافقونا طيلة المشوار الدراسي بالجامعة ونخص بالذكر كل من الأستاذ محمد حناي والأستاذ جمال زواري والأستاذ عبد القادر عزام عوادي.

كما لا يفوتنا تقديم الشكر إلى كل عمال مكتبة بن عيشة على صبرهم ورحابة صدرهم إلى إخراج هذا العمل إلى النور

**فيروز، نعيمة**

## قائمة المختصرات

| الرمز | معناه |
|---|---|
| (د–ب) | دون بلد |
| (د–د–ن) | دون دار نشر |
| (د–س) | دون سنة نشر |
| (د–ط) | دون طبعة |
| تح | تحقيق |
| تد | تدقيق |
| تر | ترجمة |
| تع | تعريب |
| تق | تقديم |
| تل | تعليق |
| ج | الجزء |
| ص | الصفحة |
| ط | الطبعة |
| = | تهميش مستمر للصفحة الموالية |
| P | الصفحة |

# مقدمة

بحكم الوجود الاستعماري والمدرسة التاريخية الفرنسية التي عملت على تدليس تاريخ الأمة الجزائرية، ظهرت الكتابات التاريخية الجزائرية التي كانت هدفها هو الرد عن الكتابات الاستعمارية المغلوطة في حق تاريخ الجزائريين، وكشف الستار عن التاريخ الشعب الجزائري وتوعيته، ومن هنا ظهر أحمد توفيق المدني الذي امتلك المؤهلات التي تمكنه من التأثير على الأمة، من خلال تمتعه بفكر واسع ولسان فصيح وبلاغة وبيان ووطنية متأججة وكراهية للاستعمار لا حدود لها، وقد سخر جميع كفاءاته لخدمة بلده وشعبه، ومن هنا بدأ الكتابة في الجمعية عن طريق صحفها الإصلاحية، أو كتاباته في مؤلفاته الخاصة بتاريخ الجزائر والمغرب العربي.

كان أحمد توفيق المدني من بين أوائل المثقفين الجزائريين الذين تعلقوا بالصحافة وبكتابتها، فكانت كتاباته تلامس واقع الفرد لتوقض وجدانه الديني والوطني والقومي في كلا البلدين التونسي أو الجزائري، وكانت أولى محطاته الصحفية بداية من تونس وهو لا يتجاوز الخامسة عشر ربيعا، كما عرف في مجال التأليف بتحليله للأحداث السياسية بحكم واقع البلاد المستعمرة، فكان من أشد المنتقدين للاحتلال وسياساته.

ومن هنا ارتأينا تخصيص دراسة أكاديمية نبرز من خلالها الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني، والتعريف بمجهوده في النضال الوطني، إضافة إلى إبراز دوره ومكانته على الساحة السياسية والثقافية بالجزائر، من خلال بحثنا الموسوم بـ "الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني (1914-1983)":

واعتمدنا حدود للدراسة تنحصر ما بين (1914-1983)، والمرتبطة بكتابته لأولى مقالاته بتونس إلى غاية وفاته.

**- أسباب اختيار الموضوع:**

وتتمثل في:

رغبتنا في التركيز على الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني، ومحاولة تناول هذه الشخصية التي لم تنل حضها الوفير من الدراسة، على الرغم من تاريخه الحافل بالأحداث الوطنية والفكرية، وباعتباره رائد من رواد حركة الإصلاح في الجزائر، إضافة إلى كشف اللثام عن حقيقة الانتقادات التي توجهت للمدني من قبل معاصريه بحثا عن الحقيقة وبموضوعية خالصة.

*** أهداف الموضوع:**

- التعمق في دراسة شخصية من الشخصيات الفكرية والسياسية في الجزائر التي لم تنل حقها من الدراسة.

- المساهمة من خلال هذه الوقفة العلمية لإبراز كفاح الرجل الثقافي في سبيل رفع الستار وكشف الحقائق المغشات عن تاريخ هذا الشعب، الذي أراد الاستعمار تشويهه وضربه في صميم مقوماته من اللغة والدين.

- إبراز موقع توفيق المدني وكتاباته لدى معاصريه.

*** الإشكالية الرئيسية**

وعليه فقد تمحورت حول التعرض إلى الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني ونظرة معاصريه حولها.

- وضمن هذا الإشكال الرئيسي نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

* فيما تمثلت الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي وبعده؟

* من هو أحمد توفيق المدني؟ وما حقيقة المؤثرات التي ساعدته في إثراء فكره وتكوين شخصيته؟

* كيف أثرت الظاهرة الاستعمارية الفرنسية في كتاباته؟

* ما هي إسهاماته التاريخية؟ وما رؤيته في كتابة تاريخ الجزائر؟

* كيف كانت أصداء مؤلفاته على معاصريه؟

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة اعتمدنا على **المناهج** التي تلم بحيثيات الموضوع وهي كالآتي:

- **المنهج التاريخي الوصفي:** وذلك لاستعراض وتصنيف الكتابات التاريخية لتوفيق المدني، وذلك من خلال ترتيبها عبر الحقبات الزمنية التي كتبت فيها.

- **المنهج التحليلي:** اعتمدنا عليه لما يستدعي الأمر إلى تحليل الوقائع، بإضافة إلى تحليل مؤلفاته للوصول إلى الحقيقة العلمية، بكل موضوعية بعيدا عن التحيز أو التأويل، وكذا في استخراج أسلوبه من كل كتاب من مؤلفاته.

- **المنهج المقارن:** اتبعنا هذا المنهج للمقارنة بين الردود المختلفة تجاه الكتابات التاريخية عند أحمد توفيق المدني.

- **صعوبات البحث:** كأي بحث لا يخلو من العراقيل، مما تطلب منا مجهودا مضاعف وصبر وإرادة لتجاوزها، وبلوغ الأهداف المرجوة فأهم الصعوبات نجد:

* قلة المراجع التي تناولت هذا الموضوع وشحها.

* قلة المؤلفات التي تناولت أسلوب الشخصية في كتاباته.

* عدم تمكننا من الاطلاع على أعماله الكاملة.

* صعوبة تصنيف كتاباته.

- **أهم مصادر البحث ومراجعه:** اعتمدنا في بحثنا هذا عن جملة من المصادر والمراجع والمقالات والرسائل الجامعية إضافة إلى الكتب الأجنبية فنجد منها.

مصادر مؤلفات توفيق المدني بداية من مذكراته بأجزائها الثلاثة **حياة كفاح الجزء الأول** في تونس من (1905-1925) كتب فيها عن الربع الأول من حياته فتطرق إلى النشأة والتكوين العلمي والسياسي.

- **حياة كفاح الجزء الثاني:** في الجزائر من (1925-1954) الذي عالج فيه صاحبه نضاله من إبعاده من تونس ومجيئه إلى الجزائر إلى اندلاع الثورة سواء الثقافي أو السياسي.

- **حياة كفاح الجزء الثالث:** في الجزائر كذلك من (1954-1962) تعرض في هذا الجزء إلى كفاحه من اندلاع الثورة وحتى الاستقلال، حيث كان له مشوار حافل بالأحداث والتطورات السياسية والفكرية والعسكرية.

- كتاب "**رد أديب عن حملة الأكاذيب**" الذي هو عبارة عن أجوبة للانتقادات الموجهة إليه وكشف عن الحقائق التي تسانده في ما أورده في مذكراته.

كما نعرج إلى مجموعة أخرى من مصادره مثل: كتاب الجزائر وهذه هي الجزائر والمسلمون في جزيرة صقلية، إضافة إلى حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا وجغرافية القطر الجزائري وغيرها، حيث غطت لنا الفصل الثاني باعتباره الجانب التطبيقي لتصنيف المصادر حسب الفترات التي كتب عنها.

بالإضافة إلى مؤلفات أخرى اعتمدناها في البحث:

- كتاب "**التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح**" لمؤلفه محمد الطاهر فضلاء، الذي تعرض فيه لجملة من الانتقادات موجهة للمدني من قبل معاصريه: سواء تعلق الأمر بتأسيس الجمعية أو التشكيك في نضال الرجل السياسي والإصلاحي.

– إضافة إلى مجموعة من مقالاته في جريدة البصائر التي قمنا بتحليلها في الفصل الثاني.

ومن المؤلفات التي اعتمد عليها البحث أيضا:

– كتاب **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر وتاريخ الجزائر الثقافي** لأبو القاسم سعد الله.

– كتاب "**شخصيات جزائرية مواقف ولآثار ونصوص**، لمسعود كواتي استفدنا منه في التعريف بالشخصية وتراثه الفكري.

– كتاب "**التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف من(1920–1954)**" لرابح لونيسي.

– كذلك كتاب "**شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية**"، لمحمد الصالح الصديق.

بالإضافة إلى اعتمادنا على بعض **الرسائل الجامعية** مثل: رسالة ميسوم بلقاسم بعنوان "**الكتابات التاريخية خلال الفترة الاستعمارية (1930–1962) دراسة تحليلية**"، وعبد القادر خليفي بعنوان "**أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983**، وبكاكرية جودي "**المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري (دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف)**"، وهذه المراجع غطت لنا الفصل الأول والثالث.

أما بالنسبة **للخطة المعتمدة للموضوع** فقد احتوت على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، أما المقدمة فقد أبرزنا فيها أهمية الموضوع وأهدافه، وأسباب اختيارنا له إضافة إلى المنهجية المعتمدة في دراسة الموضوع، ثم ابتدأنا العمل بفصل أول جاء تحت عنوان "الكتابات التاريخية الجزائرية المعاصرة والتعريف بـ"أحمد توفيق المدني" أبرزنا في العنصر الأول "الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي وبعده"، أما العنصر الثاني فقد جاء معنونا "التعريف بشخصية "أحمد توفيق المدني" ومساره النضالي، أما العنصر الثالث فقد جاء تحت عنوان أبرز أعماله.

أما الفصل الثاني فقد فجاء بعنوان "تصنيف الكتابات التاريخية عند أحمد توفيق المدني"، فتطرقنا فيه إلى تصنيف كتابات توفيق المدني إلى حقب زمنية، فجاءت الفترات في العناصر كالتالي: فتمثل العنصر الأول الفترة القديمة والعنصر الثاني فترة الفتح الإسلامي والدويلات، ثم جاء العنصر الثالث الفترة العثمانية والإسبانية، أما العنصر الأخير أي الرابع كان عنوانه الفترة الاستعمارية، إضافة إلى تصنيف الكتب فقد قسمناها إلى المجالات التي كتب فيها من الجانب الاجتماعي كان أو ثقافي أو سياسي وحتى الجانب الديني.

أما الفصل الثالث جاء بعنوان "دراسة في أسلوب الكتابة عند أحمد توفيق المدني وآثاره في كتابات معاصريه"، وجاء بأربعة عناصر، أولا: أسلوبه، وثانيا: مصادره ومراجعه التي اعتمد عليها في كتبه، ثالثا: آثار كتبه لدى معاصريه، أما رابعا: فقد جاء بعنوان ردود توفيق المدني على منتقديه، حيث أنه وكأي باحث أو بحث يتعرض إلى انتقادات، فقد كان للمدني منتقدين كما كان لديه من يمدحه ويثمّن أعماله التي قام بها.

وبعد فإننا أعددنا دراستنا هذه محاولة متواضعة في هذا الموضوع، حيث بذلنا ما استطعنا من جهد من بحث واستقراء للمؤلفات، فإن أجدنا فذلك من تمام فضل اللّه علينا، وأما إن كان دون ذلك فحسبنا وعزائنا أننا أخلصنا الجهد وحاولنا.

# الفصل الأول

# الكتابة التاريخية الجزائرية المعاصرة

# والتعريف بـ "أحمد توفيق المدني"

**أولا: الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي وبعده**

**ثانيا: التعريف بشخصية "أحمد توفيق المدني" ومساره النضالي**

**ثالثا: أبرز أعماله التاريخية**

لقد أعطى توفيق المدني مفهوم للتاريخ في قوله: <<هو وعاء الخبرة البشرية وهو العلم الخاص بالجهود البشرية، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل معا ولا يمكن الفصل بينهما>>[1]، وقد عبر عليه في قوله: <<التاريخ في نضري عرض وتحليل وتعليل وحكم، فالمؤرخ الحق هو حاكم نزيه حر الضمير، يدرس الوثائق والمستندات ويستخرج الحقائق من بين النصوص، ويستمع بإمعان إلى ما يقوله هؤلاء وما يقوله هؤلاء، ثم ينظر للملابسات ويدرس المحيط، فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا أصدر حكمه لا عاطفة ولا رياء ولا محاباة">>[2].

**أولا: الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية**

عرفت الكتابة التاريخية تطورا سريعا وواسعا في القرن 19 شمل جوانب التاريخ المختلفة، فكما حدثت زيادة في حجم المادة التاريخية ازدادت يقظة الشعوب التي كانت خاضعة لكنف الاستعمار، وعملت على ضرورة كتابة تاريخها الذي تعرض إلى تشوهات من قبل المدارس التاريخية الكولونيالية، فبظهور التاريخ العلمي الحديث ظهرت مجموعة من المدارس التاريخية في مناطق مختلفة، وإن كانت بعض من هاته الأخيرة تعود إلى عصور تاريخية قديمة وقد تطورت بتطور العصور[3].

لم ترتبط الكاتبات التاريخية الجزائرية بفترة الاحتلال الفرنسي فقط، حيث كان لكل فترات التاريخ في المغرب الأوسط كتّابه ومؤرخوه، الذين سعوا لتقديم صورة على أحداث عصرهم، مع ذلك شهدت الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي تحديات خاصة، لما كانت تمثله من أداة مواجهة ضد الكتابات التاريخية الفرنسية الاستعمارية التي سعت لمصادرة هوية وأصالة هذا الشعب العربي الأمازيغي المسلم[4].

---

[1]– محمود محمد الحريري، **منهج البحث في التاريخ**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001، ص 06.

[2]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، ج7، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 308.

[3]– ميسوم بلقاسم، **الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية (مخطوطة) 1830–1962 دراسة تحليلية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر، 2011–2012، ص 10.

[4]– عثمان زقب، **مطبوعة مصادر تاريخ الجزائر** (مخطوطة)، محاضرات من مقرر سنة ثانية ليسانس نظام L.M.D، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ العام، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2016–2017، ص140.

ومع نهاية القرن العشرين بدأ مفهوم التاريخ يتطور، وذلك مع بروز الوعي السياسي والوطني للبحث عن ماضي الأمة ردا عن قانون الاندماج، وردا عن الفرنسيين اللذين بدأوا بالعمل على طمس الهوية العربية من دين وإسلام، وذلك بإدخال على تعليم تاريخهم ولغتهم لأبناء الجزائر، وهنا برز إلى الساحة الثقافية مفكرين جزائريين عملوا على إزاحة الجمود الفكري الذي خيم على المنطقة منذ أن وطأت أرجل المستعمرين فوقها، وكسب الرهان على نشر الوعي التاريخي لدى أبناء القطر[1].

وهنا ظهر إلى الوجود أحمد توفيق المدني ومبارك الميلي اللذان حملا على عاتقهما مسؤولية الرد عن التاريخ المزيف الذي حاول الفرنسيون نشره داخل الأقطار المغاربية، وتخصصا في تاريخ الجزائر نظرا للوضع السائد هناك، بدلا من أن يكتبا من طرف المستعمرين المستشرقين وغيرهم، فلا يوجد أجدر من أبناء الوطن أن يكتبوا على وطنهم[2].

كما يصفه كل من عبد المالك مرتاض وعبد الكريم بوصفصاف: "ولعل المؤرخ الجزائري الوحيد الذي جمع بين الذاتية الجزائرية، والإقليمية المغاربية في كتاباته التاريخية هو أحمد توفيق المدني، كاتب القطرين وهو من طلائع المؤرخين الجزائريين، الذين بدؤوا يبحثون في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ومعاصرا في العشرينات من القرن الماضي"، كما يقول أحد الدارسين منوها في قوله: "يجب أن يُعده التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين، الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصيبة، فلم يكد يفتر على البحث في القضايا التاريخية، التي تتصل بالشعب الجزائري منذ بدأ هذه البحوث سنة 1925"[3].

ومن يلحظ من رصد أعماله الفكرية يرى ذلك التنوع في الموضوعات سواء الأدبية أو التاريخية، ولو اختص في التاريخ وحده لكان من أبرز المؤرخين الجزائريين، وذلك للإلمامة

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، **المصدر السابق**، ج7، ص 420.

[2]– عبد المالك مرتاض، **نهضة الأدب العربي في الجزائر 1925–1954 النهضة الفكرية –النهضة الأدبية –النهضة الثقافية**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 207.

[3]– عبد القادر خليفي، "الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني خلال الفترة 1931–1950"، **مجلة أبحاث ودراسات**، جامعة زيان بن عاشور، الجلفة، ص 05.

بالغة الفرنسية إلماما حسنا ونشاط دؤوب وعمل حماسي، وهي سمة لم يتميز بها المدني وحده وذلك لتأثره بالواقع الفكري في تلك الفترة[1].

**1 – الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي**

***من الاحتلال الفرنسي إلى الحرب العالمية الأولى:**

ما نلاحظه في بداية الكتابات التاريخية الجزائرية في القرن (19م) نجدها قليلة وهذا يعود إلى ظروف البلاد التي كانت تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، وهذا الأخير أثر على البلاد في كل الميادين بما في ذلك الجانب الثقافي وحركة التأليف، ومن هنا ظهرت الكتابات الجزائرية كرد فعل على الكتابات الفرنسية، فتمثلت الكتابات الأولى في كتاب "المرآة" لحمدان خوجة [2].

وكذلك رحلة عبر الجبال إلى قسنطينة "لمحمد علي أفندي ابن حمدان خوجة" والتي ترجمها مستشرق فرنسي إلى الفرنسية ثم لاحقا عربها الدكتور "حميدة عميراوي"[3].

تحدث الباحث "صادق بن قادة" ضمن إشارة لشخصية "مسلم بن عبد القادر الوهراني" <<على أن الصدفة قد وفقته أن يعثر اثر أبحاثه" في محفوظات ولاية وهران على وثيقة كانت قد تكاد أن لا نعير لها أي اهتمام خاص لولا كانت تتعلق بشخصية وهرانية لامعة كانت تبدو أنها مغمورة بعض الشيء من طرف المهتمين بالتاريخ الوطني والثقافي منه خاصة، وهي في واقع الأمر كلها ثراء فكري، ألا وهي شخصية الأديب المؤرخ "سي مسلم بن عبد القادر الوهراني"[4].

كما ذكر الباحث "صادق بن قادة" أيضا معلومات بخصوص " كتيب يعود نشره الى سنة 1858 وصاحبه "الحاج احميدة بن قايد عمر" مفتي وهران آنذاك وأحد أعيانها البارزين، والجدير بالملاحظة أن هذا الكتيب هو عبارة على مذكرة كان قد بعث بها إلى الأمير جيروم نابليون وزير الجزائر والمستعمرات يعرض له فيها الخلاف الذي كان قائما بينه وبين السلطات

[1]– عبد الملك مرتاض، **المرجع السابق**، ص 211.

[2]– حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تع وتل: محمد العربي الزبيري، (د– ط)، منشورات ANEP، الجزائر، 2006.

[3] - عثمان زقب، **المرجع السابق**، ص141.

[4]– **نفسه.**

العسكرية لناحية وهران التي عاتبته عليه بشدة في قضية تركه كان قد أمر قاضي معسكر في سنة 1833>>[1].

وكان أول مخطوط نشر من طرف الجريدة الأسوية سنة 1862 من طرف الباحث "أوتكاري دي شيليشتا" من كتاب "سقوط مدينة الجزائر برواية شاهد عيان"، من قبل "الحاج أحمد أفندي" المأذون من قبل مفتي الجزائر سابقا كوز لحصار "حاج عمر زادة أمين أفندي"، والذي عثر على أصل المخطوط بالغة التركية خلال وجوده باستامبول بعد مقارنته بالنسخة ثانية لا تختلف عن الأولى كان يحتفظ بها العالم شارل شيفر ضمن مقتنياته الشخصية[2].

***الكتابات التاريخية الجزائرية من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى استقلال الجزائر1962**

في فترة ما بين الحربين كان المجتمع الجزائري يعاني التمزق، والذي كان من نتائج سياسة الاحتلال الفرنسي، بدأنا نلمح محاولة إعادة بنائه والتطلع للمستقبل، وفي ظل هذه الظروف برز العمل الكبير "لمبارك الميلي" (1945 – 1897)، الذي اشتغل حول تاريخ المجتمع الجزائري، إن هذا العمل جاء ضمن يقظة وطنية تزامنت وبزوغ صحافة جزائرية باللغتين العربية والفرنسية، ومما يمكن الإشارة إليه بخصوص هذا العمل الكبير "لمبارك الميلي" الذي نشر في 1928، مفاده أن المؤرخين الفرنسيين لم يعيروه اهتمامهم خلال الفترة (1930 – 1950)، مما يبرز حجم القطيعة الموجودة بين العالمين الجزائري والفرنسي في تلك الفترة[3].

تناول "حسن رمعون" في مقالة المعنون بـ "مؤرخون جزائريون من الحركة الوطنية" موضوعا بخصوص الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة المحصورة بين (1920–1962)،

---

[1] - عثملن زقب، **المرجع السابق**، ص141.

[2]– محمد الهادي حسني، **الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال نصوص معاصرة**، (د– ط)، عالم الأفكار، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص51.

[3]– Stora Benjanmin ,l'histoire de l'Algérie, sources ،problems ،écriture, **Insaniyat** n° 25-26 juillet-décembre 2004.cité par:

ينظر: عثمان زقب، المرجع السابق، ص143.

سواء تعلق الأمر بأجيال مختلفة من المؤرخون المحترفين حسب وصفة وهم الأكاديميين أو غيرهم والذين ناضلوا وسط منظمات الحركة الوطنية[1].

مع بداية القرن ظهر بعض المتعلمين باللغة العربية والفرنسية لتنشيط وإحياء ما تبقى من الذاكرة التاريخية للبلاد، من بينهم نجد "أبو القاسم محمد حفناوي" (1941 –1852) تلميذ الزاوية والذي الف كتابه المعنون ب " تاريخ الخلف في رجال السلف" سنتي (1905–1907).

كما نشر سنة 1906 كتاب عبارة عن معجم بيبلوغرافي تناول خلاله الشخصيات البارزة في المغرب الأوسط والجزائر ما بين القرنين 10 و19 الميلادي، وكذا عمار بولفية (1865–1931)، مدرس سابق وأستاذ في كلية الآداب حيث اهتم في سنوات 1920 بالدراسات البربرية ومقاومة جرجرة في مواجهة العثمانيين[2].

عندما أصبح الخطاب التاريخي الاستعماري يشكل تهديدا لمكونات الهوية الوطنية الجزائرية من خلال ترويجه للكثير من المغالطات والتزييف، برزت أولى الكتابات الجزائرية كرد فعل عن المدرسة التاريخية الاستعمارية[3]، وكانت أوائل هذه الأقلام خلال فترة ما بين الحربين العالميتين ممثلة أساسا في بعض رجال الحركة الإصلاحية مثل "مبارك الميلي" (1880–1945) والذي ألف كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث"[4].

---

[1]– Hassan Remaoun ،les historiens Algériens issus du mouvement national ,**Insaniyat** n° 25-26, juillet-décembre 2004.cité par:143 عثمان زقب، المرجع السابق، ص

[2]– **Ibid**,

[3]– عثمان زقب، **المرجع السابق**، ص 144.

[4]– مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب**، (د– ط)، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د– س).

وقد سبقه في ذلك "أحمد توفيق المدني" الذي عرف بنشاطه السياسي والفكري في تونس، وذلك بقصد التوعية التوعية عن طريق النوادي العلمية والجمعيات الأدبية الفكرية والعلمية[1]، وهو ما دفعه لكتابة تاريخ قرطاج سنة 1927، وفي ثلاثينيات القرن العشرين ظهر كتاب فرحات عباس "الشاب الجزائري"[2]، الذي تزامن مع كتابه حول "الجزائر" 1932 وأيضا كتاب "المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا"، و"هذه هي الجزائر" سنة 1956 ولاحقا بعد الاستقلال "مذكرات الشيخ الزهار" و"حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا" و"حياة كفاح"[3].

إن الاستعمار الفرنسي منذ بدايته لقد وظف التاريخ لتبرير وجوده وسياسته بالجزائر، وذلك من خلال انتقائه للفترات التاريخية التي اهتم بها والمواضيع التي عالجها، وكرد فعل لهذا الخطاب الذي أنتجته "مدرسة الجزائر"، نهض له الجزائريون فيما بين الحربين في خضم التحول الذي عرفته الحركة الوطنية في شكلها العصري وعلى أكتاف رجال الإصلاح من قبيل "مبارك الميلي" و"توفيق المدني"، إذا حاول هؤلاء كتابة تاريخ يشمل كل الحقب من العهد الفينيقي – البربري القديم إلى غاية الفترة المعاصرة مع تفضيل الارتباط بالشرق الإسلامي والطابع المغربي – الإسلامي للجزائر[4].

وردا على الإيديولوجية الاستعمارية التي اجتهدت في إيجاد أسباب الوجود الفرنسي، بإبراز الفترة الرومانية مع خصائصها اللاتينية والمسيحية، على حساب الفترات البربرية– العربية والعثمانية كعهود غابرة "(E.F Gautier) من الفوضى والاستبداد والانحطاط"، أن الاهتمام بالتاريخ الوطني لن يظل حكرا على رجال الإصلاح المعربين بحيث سيظهر مؤرخون ناضلوا

---

[1]– بوطيبي محمد، **دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900–1930**، (د– ط)، دار الهدى، الجزائر، (د– س)، ص ص 12–13.

[2]– فرحات عباس، **الشاب الجزائري**، ترجمة: أحمد لمنور، (د– ط)، الجزائر العاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

[3]– عثمان زقب، **المرجع السابق**، ص ص 144–145.

[4]- أحمد عبيد، التأريخ الجزائري، تقييم ونقد– حالة الجزائر العثمانية–، **إنسانيات**، عدد 47–48، جانفي – جوان 2010، ص ص 59.

في أحضان حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية وجبهة التحرير الوطني لكتابة التاريخ بالفرنسية[1].

كتبت الإعلامية حورية صياد تقريرا عن محاضرة المؤرخ الجزائري محمد حربي، التي نشطها في 19 أفريل 2016م بالمركز الثقافي الفرنسي، والتي تحميل عنوان " كتابه التاريخ والذاكرة" ونظرا لأهمية ارتأيت أن اقتطف منه بعض الفقرات حيث أن مما قاله فيها " أن نشطاه جمعية العلماء المسلمين أمثال "توفيق المدني" و"مبارك الميلي"، من الأوائل الذين ساهموا في الكتابة عن التاريخ الجزائري، عملوا من خلالها على محاولة تجسيد فكرة وجود جزائري وانتمائه إلى الحضارة العربية الإسلامية، وهو ما اتضح في قوله: <<إن المؤلفات التاريخية التي تمت كتابتها أثناء الحقبة الاستعمارية تبرز انتماء الأمة إلى حضارة وهو ما يؤكد تمسكها بالذاكرة العربية الإسلامية>>[2].

وبخصوص نفس هذه الأعمال، قال المؤرخ "محمد حربي" <<بأن تلك المقاربة كانت تبحث عن الفعالية السياسية أكثر من المسائل العلمية التي ينبغي إن ترافق كتابة التاريخ، كما أوضح أن بروز هذا التيار من كتابة تاريخ الجزائر كان نتيجة الرغبة السائدة في الثلاثينيات من القرن الماضي في التقليل من شأن المعمرين وإعادة الاعتبار للجزائريين>>، وذكر "حربي" أن هؤلاء المؤرخين حاولوا إبراز روعة الحضارة الإسلامية لمواجهة ترسيخ الحضارة الرومانية التي عمل المستعمر على إبرازها، وأوضح أيضا أنه كان يتم " تبرير الاستعمار على أنه تواصل للحضارة الرومانية لاسيما في رؤية المستعمر الاحتقارية لشعوب شمال إفريقيا لتوضيح لجوئه إلى العنف" "[3].

[1] – أحمد عبيد، **المرجع السابق**، ص60.

[2] – عثمان زقب، **المرجع السابق**، ص 146.

[3] – **نفسه**.

ويقول الأستاذ "أحمد عبيد" في<<سياق سياسة " إعادة كتابة " التاريخ الوطني التي تستهدف التنقيب على الآثار التاريخية الرامية إلى إثبات وجود دولة وأمّة جزائرية سابقة عن الاستعمار الفرنسي وذلك بهدف إضفاء الشرعية التاريخية على دولة الاستقلال، وكأنّ هذه الأخيرة ما هي إلا استرداد وامتداد للفترة العثمانية. وضمن هذا المنظور، برزت دراسات من طرف مؤرخين جزائريين تجاوبوا مع هذه السياسة، وقد تضمّنت دراستهم مفاهيم وأوصاف قلما تتطابق مع المادة التاريخية، تكشف عن دوافع أيديولوجية تستبعد التقيّد بالأحكام العلمية والمفاهيم المطابقة للواقع التاريخي. لقد تضمنت مثل هذه الدراسات رؤية حضارية تقوم على الاستجابة لوظيفتين في آن واحد، أولاهما: ثبوت وجود الدولة الجزائرية قبل الاستعمار، وثانيهما تبرير الوجود العثماني بالجزائر، وكأنّ هذا الوجود كان دينا علينا وفضلا لنا لما تحمله العثمانيون في إنقاذنا بجهادهم البحري وبتصديهم للغزو الصليبي المسيحي الأوروبي بغرب البحر المتوسط. وكان هؤلاء يربطون المجتمع الجزائري بالكيان العثماني من خلال القاسم الحضاري المشترك والمتمثل في الإسلام>>[1].

## 2: الكتابات التاريخية بعد الاستقلال

### *الكتابات التاريخية الجزائرية من 1962 إلى 1988:

لقد طبعت الكتابة التاريخية في الجزائر بعد الاستقلال وخصوصا قبل تحولات 1988 بطبيعة خصوصية الدولة الناشئة والتي خرجت لتوها من حقبة صراع مرير دام 132 سنة، وطبيعة نظام سياسي حكم البلاد بفلسفة ثورية تستند إلى ما يعرف بالشرعية التاريخية. ومنطقيا كان لزاما حسب هذا الأخير ربط الكتابة التاريخية الجزائرية بتوجهات النظام السياسي الجديد[2].

[1]– أحمد عبيد، **المرجع السابق**، ص 60.

[2]– عثمان زقب، **المرجع السابق**، ص 151.

كان من الممكن تقبل فكرة عدم التعرض لما من شأنه إثارة المشاكل والقلاقل بعد الاستقلال من خلال عدم التعرض لمختلف المواضيع التي تثير حساسية مفرطة في تلك الفترة، بسبب أنه كان ينظر إليها بمنظور الحفاظ على الاستقرار وتماسك الدولة المستقلة الناشئة، لكن المشكلة في استمرار هذه السياسة لفترة طويلة[1].

إن هذه المعادلة حسب رأي "الدكتور عثمان زقب" غير واقعية أكاديميا، بأن جعلت الكتابة التاريخية الجزائرية في خدمة أيديولوجية معينة حيث يجب أن يدور فلك كتابتها ضمن هذا المسار، الذي سعى إلى صنع هالة من القدسية لثورة التحرير، مما جعل الكتابة بموضوعية في حيثياتها من المحظورات وضمن شعار ممنوع اللمس، وهذا للأسف ما أفرغ الكتابة التاريخية الجزائرية خلال فترة الحركة الوطنية أرفع منها بعد الاستقلال لوجود عنصر أساسي في الكتابة هي الحرية على الرغم من مضايقات الاستعمار[2].

نفس هذا الطرح يبرزه أيضا الدكتور محمد بن ساعو حيث يرى بأن التأليف التاريخي في الجزائر بعد الاستقلال قد شهد " ركودا كبيرا، خاصة مع احتكار الدولة لعملية النشر، وعلى قلة المنشورات فان الأعمال التاريخية خلال هذه الفترة لم تتعد 3 % من مجموع الكتب الصادرة. وخضعت هذه الكتابات لتوجيهات أيديولوجية وميول سياسية، حيث تحول التاريخ إلى وسيلة إقناع سياسي ونضال إيديولوجي وتوجيه ثقافي، وهو ما جعل الإنتاج التاريخي قليلا مع محدودية تأثيره، فرغم ظهور كتابات تميزت بصبغتها النضالية النقدية، إلا أنها لم تتسلخ عن العباءة الأيديولوجية كما هو الحال مع كتابات مصطفى الأشرف"[3].

نشير إلى قول الأستاذ "أحمد عبيد" في ذكره لمسيرة التأريخ المغاربي بقوله: << لقد تحمل المؤرخون الوطنيون غداة الاستقلال واجب تملك تاريخ بلدانهم، الذي طالما احتواه التأريخ

[1] – عثمان زقب، **المرجع السابق**، ص ص 151.

[2] – **نفسه**، ص 152.

[3] – **نفسه**.

الاستعماري، وكان الوقت حينها وقت تصفية التاريخ من الاستعمار، وهذا بالذّات هو عنوان كتاب "محمد الشريف الساحلي" "Décoloniser l'histoire" فيما يتعلق بإعادة كتابة تاريخ الجزائر، وعلى غراره ذهب كذالك عبد الله العروي بالمغرب لينشر " تاريخ المغرب" في نفس الاتجاه ناقدا التأريخ الاستعماري دون هوادة معتبرا بأنه حتى إذا لم نتوصل إلى عرض تاريخ للمغرب " منقى بطريقة إيجابية من الاستعمار"، فعلينا مباركة مشروع إعادة كتابته، مؤكدا بأنها " حتى في أسوأ الحالات لن تكون أكثر إيديولوجية من تلك التي أنتجها المستعمرون>>[1].

يرى الباحث "حسن رمعون" بأن مسألة التاريخ الوطني في الجزائر ترتبط ارتباطا وثيقا بالحركة الوطنية في تطوراتها بين السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى وسنوات حرب التحرير (1954-1962) كما ترتبط بالممارسات المؤسساتية للدولة الوطنية التي برزت مع الاستقلال[2].

ويعتبر الصراع أمر طبيعيا في حياة المجتمعات بصفة عامة، وأكبر من طبيعي في الحياة السياسية، وينطبق هذا على حالة مواجهة مجتمع ما أو أمة أو عدو خارجي مثلما هو الأمر لكل من جبهة وجيش التحرير الوطنيين في موجهتهما للاستعمار الفرنسي ما بين 1954 و1962، وكان من المفروض أن تحظى الصراعات داخل الثورة الجزائرية باهتمام كبير من قبل المؤرخين عامة والجزائريين منهم خاصة، لان ذلك كفيل بفهم الحركية الفكرية والسياسية والعسكرية داخل الثورة ذاتها، ولان على المؤرخ إن ينظر إلى الأحداث التاريخية كحركية وديناميكية تتقدم الى الأمام بفعل صراعات رئيسية وثانوية وأن يرفض النظرة الستاتيكية للتاريخ"[3].

---

[1] – أحمد عبيد، **المرجع السابق**، ص 58.

[2] – حسن رمعون، التاريخ الوطني والممارسات السياسية والانتمائية (الهوياتية)، **إنسانيات**، عدد 3، 1997، ص 21.

[3] – رابح لونيسي، الصراعات الداخلية للثورة الجزائرية في الخطاب التاريخي الجزائري، **انسانيات**، العددان 25-26، جويلية-سبتمبر، 2004، ص 27.

فلم يجرؤ أي جزائري أو صاحب مذكرات قبل 1988على الاقتراب من موضوع الصراعات داخل الثورة الجزائرية باستثناء "محمد حربي" الذي تسلح بشجاعة كبيرة، فأختار موضوع أطروحته لدكتوراه الدولة حول تاريخ جبهة التحرير الوطني في نهاية السبعينيات بعنوان "جبهة التحرير الوطني بين السراب والواقع (1945-1962)"[1].

وتطرق إلى مختلف الصراعات التي عرفتها الثورة التحريرية، وكان هدفه من ذلك نزع القداسة عن الثورة مما يؤدي حتما الى إضعاف الشرعية الثورية للنظام الذي كان يعارضه، والذي كان يوظف تاريخ الثورة بشكل انتقائي وتزويري في الكثير من الأحيان بصفته سندا شرعيا لهذا النظام، كما كان هدف حربي أيضا تتبع جذور النظام الجزائري الذي يرى أنه نظام تسيطر عليه الطبقة البرجوازية البيروقراطية التي بدأ نشوؤها في خضم الثورة المسلحة، وينطلق حربي في ذلك كله من طروحات التروتسكية متأثرا بأصحاب "مجلة باربارية واشتراكية" (Barbarie Socialisme)[2].

***الكتابات التاريخية الجزائرية بعد 1988:**

كان للتغيرات التي عرفتها البلاد منذ أكتوبر 1988 مع زوال نظام الحزب الواحد دورا هاما في تغيير المشهد بشكل كبير، حتى إن الأعمال الجامعية والكتابات المختلفة بما في ذلك الشهادات المنجزة في الخارج أصبحت متاحة لدى الطلبة والباحثين والقراء[3].

كما نجد الدكتور "رابح لونيسي" يقول:<< لكن بعد الانفتاح السياسي عام 1988 وبداية ظهور بعض الشاهدات حول الثورة وبعض أحداثها المؤلمة، أصبحنا بذلك نفهم فعلا لماذا كانت تلك الهستيريا ضد بعض كتابات الفرنسيين سواء كانوا مؤرخين أو صحفيين كتبوا أثناء الثورة أو بعدها، وقد تبين لنا أن هذه الكتابات – بغض النظر عن أهدافها- كانت أقرب إلى

[1]- رابح لونيسي، **المرجع السابق**، ص 34.

[2]- **نفسه**، ص 35.

[3]-عثمان زقب، **المرجع السابق**، ص 162.

الحقيقة من كل الكتابات التي سمح لها النظام بالظهور في الجزائر، ونعتقد أن الذين يهاجمون ليلا ونهارا ما يسمونه بالمؤرخ الاستعماري كانوا في حقيقة الأمر يسعون إلى تغطية الحقائق التاريخية التي كانت ترد في كتابة هذا المؤرخ، لأنها تمس بمصالح النظام القائم، فان كل هؤلاء الكتاب الفرنسيين يشوون الحقائق التاريخية لأنهم استعماريين كما يدعي بعض المؤرخين الجزائريين، فإننا نقول أن هؤلاء الأخيرين يشوهون الحقائق التاريخية إما تطبيلا للنظام الجزائري كي يستفيدون من الربوع أو خوفا منه>>[1] .

وعلى خلفية التعددية السياسية والانفتاح الذي شهدته البلاد بدأ التغيير "حيث عرفت الجزائر انتعاشا في مجال النشر، خاصة بظهور كوكبة من الكتاب الذين وجدوا الدعم من طرف بعض الجمعيات الثقافية التي تؤمن بالرسالة الحضارية للكتاب، إضافة إلى تنظيم بعض صالونات ومعارض وفضاءات الكتاب، وشكلت سنة 2008 منعرجا مهما في تاريخ النشر بالجزائر، حيث كانت تظاهرة " الجزائر عاصمة الثقافة العربية " فرصة للناشرين والكتاب الجزائريين الذين احتضنتهم وزارة الثقافة، فتم نشر أكثر من 1200 عنوان في مختلف التخصصات ومنها التاريخ"[2].

## ثانيا- التعريف بشخصية "أحمد توفيق المدني" ومساره النضالي

### 1- التعريف بالشخصية (المولد والنشأة):

ولد الأستاذ "توفيق المدني"[3] بتونس في 1 نوفمبر 1898م، من أب جزائري هو السيد محمد المدني وأم جزائرية عائشة بويزار عائلتان جزائريتان هاجرتا إلى تونس إثر فشل ثورة 1871م[4].

[1] – رابح لونيسي، **المرجع السابق**، ص ص 36-37.

[2] – عثمان زقب، **المرجع السابق**، ص 162.

[3] – أنظر الملحق رقم (01)، ص 135.

[4] – أحمد توفيق المدني، **مذكرات حياة كفاح**، (د- ط)، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 7.

ولقد اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده، فنجد مسعود كواتي في كتابه "شخصيات جزائرية مواقف ونصوص وأثار"[1]، وبوضرساية بوعزة في كتابه "رواد المدرسة التاريخية الجزائرية"[2]، و"موسوعة أعلام الجزائر 1954-1962م"[3]، يتفقون على مولده في1 نوفمبر 1899م، أما عبد الكريم بوصفصاف في كتابه "معجم أعلام الجزائر في الفرنسيين 19و20"[4]، والجيلالي صاري في كتابه "بروز النخبة المتفقة الجزائرية 1850-1950م"، يتفقون على سنة 1899م[5]، وبينما نجد علي مرّاد في كتابه "الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر" يقول أنه ولد في 16 جوان 1899[6]، بإحدى الديار العربية بنهج الناعورة رقم 4 وهو الطريق الذي يفصل بين نهج باشا ونهج التريبونال بتونس العاصمة[7].

وإن أصول "توفيق المدني" تنحدر في المكان والزمان من عائلات عريقة ومشهورة جزائرية وتونسية وحتى عثمانية وأندلسية وبالأحرى غرناطية؛ أي لأخر مملكة في شبه الجزيرة الأيبيرية التي حافظت على استقلالها حتى سقوطها سنة 1492م[8].

أما والده فهو محمد بن احمد بن محمد المدني، القبي الغرناطي من السادة الإشراف، ولقد ولد بالحضرة الجزائرية خلال سنة 1852م، وتلقي علومه العربية بالجامع الكبير، أما جده فقد كان أمين الأمناء أي شيخ بلدية العاصمة الجزائرية[9].

---

[1]- مسعود كواتي، **شخصيات جزائرية مواقف واثار ونصوص**، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 2011، ص 221.

[2]- بوضرساية بوعزة، **رواد المدرسة التاريخية الجزائرية**، (د- ط)، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص332.

[3]- مجموعة مؤلفين، **موسوعة أعلام الجزائر 1954-1962**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، (د- س)، ص 131.

[4]- عبد الكريم بوصفصاف، **في كتابة معجم أعلام الجزائر في الفرنسين 19و20**، (د- ط)، ج1، دار مدد يونيفارسيتي براس، الجزائر، (د- س)، ص 536.

[5]- الجيلالي صاري، **بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850-1950**، ، (د- ط)، (د- ب)، 2007، ص 536.

[6]- علي مرّاد، الحركة **الاصلاحية الاسلامية في الجزائر بحث في التاريخ الديني والاجتماعي 1925-1940**، تر: محمد يحياتن، (د- ط)، دار الحكمة،(د- ب)، (د- س)، ص 137.

[7]- بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص 332.

[8]- الجيلالي صاري، **المصدر السابق**، ص 277.

[9]- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 33.

فأسرته على غرار العديد من الأسر الجزائرية، التي هاجرت إلى تونس تحت طائلة العديد من الظروف القاهرة نتيجة إدارة الاحتلال الفرنسي[1].

أما عن خلفيات تسميته باسم توفيق إذ هو في الأصل "أحمد المدني"؛ فان هذه التسمية أطلقت عليه أيام حرب طرابلس 1911م، حيث أطلقها عليه القاعد العام للجيش العثماني بطرابلس من خلال حضوره في مأدبة عشاء أقامها السيد "المختار كاهية" وقيل له: <<انه فتحي بك>>، ونظر إلي وسألني بلهجة تكاد تكون صارمة ما أسمك؟ قلت له: <<أحمد المدني قال: أنت أحمد توفيق توفيق ومنذ ذلك أصبحت أحمد توفيق المدني>>[2].

تربى في أسرة كريمة ذات أخلاق عالية ومراقبة محيطة، كانت الحياة في منزل فخم جمع الأب والابن وحياة ناعمة سعيدة[3]، وبعد نفيه من تونس وعودته إلى الجزائر عند بلوغه سن 30 أتم الرجل نصف دينيه[4]، وتم زواجه بطريقة تقليدية بقرينته زكية بنت الزبير بن الأمين، وهي عائلة ذات أصول عربية أندلسية، أثمر هذا الزواج على أربعة أبناء، ثلاث بنات وهن سليمة وحسيبة وفيروز وابن وحيد هو محمد إسلام[5].

**2- تعليمه:**

انطلاقا من الوضعية الميسورة التي كانت عليها أسرة أحمد توفيق المدني فقد تأثر بوضع عائلته التي كانت على درجة من العلم والمعرفة، خلال هذه الفترة في تونس فوالدته عائشة، كانت بمثابة مدرسته الأولى، التي كانت السباقة في تعليمية الأول، فهي التي علمته الحروف الأولى للعربية من خلال تعليمه القرآن الكريم والحديث، حتى يتربى على مكارم الإسلام، ويتخلق بأخلاقه الفاضلة، وذلك هو الهدف الذي كانت تبتغيه الأم من ولدها، وفي كتاب

---

[1]- بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص 332.

[2]- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص ص 69-70.

[3]- بسام العسلي، **عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية**، طبعة خاصة، النفائس، الجزائر، 2010، ص168.

[4]- **عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة الثقافية والسياسية في تونس والجزائر 1899-1983م**، مذكرة مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007 ص 52.

[5]- **نفسه**، ص53.

"المدرسة التاريخية الجزائرية" يقول لأستاذ بشير المدني في مداخلته حول الأستاذ المدني ما يلي: "والدته كانت تعلمه قصارى سور القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية التي من كانت تسمعها من أبيها فتحفظها بأسانيدها"[1]، ويقول أحمد توفيق المدني: "وما كان حديثها معي إلا على الحرام وهو كل خبيث من القول أو العمل والحلال هو العمل الصالح الطيب[2].

فدخل الصبي إلى الكتاب حين بلغ الخامسة من عمره[3]، وبدأ الدراسة فيه بتونس وكان يستمع كل ليلة للدروس التي كان يلقيها جده على كل أفراد العائلة الكبيرة، في مجالات الدين والسيرة النبوية والتاريخ خاصة حول مذابح الاستعمار الفرنسي في الجزائر[4]، ثم سجل بالمدرسة القرآنية في سن العاشرة[5]، وفي سنة 1913م التحق بجامع الزيتونة، وأخذ التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع[6]، كطالب حر فدرس على يد الشيوخ التجلي ومحمد بن يوسف والصادق النيفر ومحمد بن القاضي، ومحمد بن شعبان ومعاوية التميمي، وفي نفس الوقت كان طالبا منتظما بالمدرسة الخلدونية حيث تأثر بأستاذ التاريخ[7]، حسن حسني عبد الوهاب فكان وراء توجيهه بالدارسات التاريخية[8].

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن طبيعة التعليم الذي تلقاه الشاب أحمد توفيق المدني في تونس كان تعليما عربيا أصيلا من تراث الأمة الراقي، وبدأه بالعلوم الفقهية والأدبية وأنهاه بدراسة الحضارة الإسلامية التي أبحر فيها وتعمق في دراسة انجازاتها، لذا فإن ثقافته هذه كانت عربية إسلامية وقد أسهمت في إعداده ليكون واحد من أعلام هذا التوجيه الثقافي والفكري في

---

[1]– بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص335.

[2]– أحمد توفيق المدني، **الحياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 40.

[3]– مسعود كواتي، **المصدر سابق**، ص 221.

[4]– موسوعة أعلام الجزائر، **المرجع السابق**، ص131.

[5]– جيلالي صاري، **المصدر السابق**، ص 80.

[6]– رابح عداله، **المختصر في أعلام الجزائر للبحوث والمطالعة**، (د– ط)، دار المجتهد، 2015، ص81.

[7]– مجموعة مؤلفين، **المرجع السابق**، ص 131.

[8]– **نفسه**، ص 131.

الجزائر[1]، واشتهر الشيخ المدني بحبه الشديد للمطالعة خاصة الصحف[2]، وذلك أنه في سن التاسعة كان يقرأ جل الصحف التونسية، ومن أشهرها: "الراشدية والمرشد والتقدم والمنير والاتحاد الإسلامي" وغيرها، وأظهر خلال ذلك قدرة خطابية مثيرة وكفاءة عالية في الكتابة دفعته إلى تحرير عدد من المقالات الوطنية والاجتماعية والسياسية ونشرها في صحيفة "الفاروق" التونسية التي كانت تصدر أسبوعيا وكان ذلك في 1914م[3].

وكان توفيق المدني كثير التردد على أحد مؤجري الكتب فالتهم الكثير من الروايات الأوربية المترجمة للغة العربية، خاصة مسرحيات و"ليام شكسبير"، وروايات "ميشال زينفاكو" التاريخية كما كان يتابع مختلف أخبار العالم الإسلامي في الصحف[4]، وفي عام 1915م اعتقل اعتقل وسجن لمدة ثلاث سنوات بسبب مناهضته للقوى الاستعمار، ومن ذلك العام أخذ يحرر المقالات يعالج فيها الأوضاع الاجتماعية والسياسية على عهد الاستعمار وينشرها في الصحف والمجلات باسم مستعار (المنصور)[5].

وبعد إطلاق سراحه سنة 1918م عاد لمتابعة دروسه في الزيتونة وتفرغ تماما للحياة النضالية، وانخرط في الحزب الدستوري وقام بعمل مكثف وبسرعة صار الكاتب العام المساعد وعضو في المجلس التنفيذي سنة 1924م[6].

وعليه نقول أنه بدأت دائرة معارفه تتسع، من خلال دراسته في الزيتونة فصار واحدا من الوجوه الجزائرية المعروفة بالوعي والفكر واليقظة والوطنية، وتمكن رغم حداثة سنه من استنشاق واقع الشعبين الجزائري وتونسي المأساوي، ولم يكن من العسير والضعف أن يفكر كثير أو

---

[1]– الجلاني ضيف، **بناة المجد توفيق المدني**، طبعة خاصة، دار الخليل، الجلفة، 2013، ص 26–27.

[2]– يوسف بوغابة، **معالم الفكر السياسي الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دارسة تحليلية**، طبعة خاصة، دار زمورة، الجزائر، 2013، ص 33

[3]– مجموعة مؤلفين، **المدرسة التاريخية الجزائرية**، بحوث الملتقى الوطني الأول حول المدرسة التاريخية الجزائرية اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، ص 134–135.

[4] – بسام العسلي، **المرجع السابق**، ص 169.

[5]– مجموعة مؤلفين، **موسوعة أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 131–132.

[6]– جيلالي صاري، **المصدر السابق**، ص 283.

يتأمل طويلا ليقف على حجم المعاناة التي اوجد فيها الاحتلال الفرنسي البغيض شعبه، ومما أجج عداوته وجعله يكره الاحتلال كونه قارئ ذكيا ونهما للتاريخ[1].

**3- نشاطه السياسي والفكري:**

**أ- في تونس:**

كان المؤرخ والمفكر السياسي احمد توفيق المدني صاحب النشاط المميز في المجال الفكري والسياسي في تونس والجزائر على حد السواء مع اختلاف الفترة الزمنية فقط بالنسبة لهذا النشاط وان كانت بداية انطلاقه كان من تونس، لعدة اعتبارات كان أولها أنه ولد ونشأ فيها وبالتالي أصبح تونسي الجنسية، مما سمح له من خوض غمار هذا النشاط على كافة الأصعدة، فقد كان مشاركا في تحرير جريدة "الفاروق" منذ عام 1914م[2]، والتي كان يصدرها "عمر بن قدور" في الجزائر أول مقالة له بعنوان "الإدمان أول وزراء الموت"، وأصبح له مقال أسبوعي بهذه الجريدة إلى أن توقفت عن الصدور، كما كان له تجربة مع السجن الاستعماري في تونس فقد بقي في السجن إلى غاية نوفمبر 1918م، فاكتسب تجربة كبيرة كما اطلع فيها على العديد من الكتب المتنوعة [3]، كما ساعده ذلك التحرك السياسي مع الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي مؤسس الحزب الدستوري التونسي وذلك في سنة 1919م[4]، وفي 29 ماي عقد الحزب مؤتمر له في منزل الشيخ "حمودة المنستيري بالمرسي"، وبرئاسة الشيخ "عبد العزيز الثعالبي"، وتقرر انتخاب أحمد الصافي أمين عام للحزب[5].

[1]- الجيلاني ضيف، **المصدر السابق**، ص 35.

[2]- بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص 340.

[3] - مجموعة مؤلفين، **موسوعة أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 132.

[4]- بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص 341.

[5]- بسام العسلي، **المرجع السابق**، ص 171.

وقد اختير أحمد توفيق المدني أمين عاما مساعد للقلم العربي[1]، ويتحدث أحمد توفيق المدني على أن "المنصف المنستيري" هو الذي دعاه للانضمام للحزب والانخراط في صفوفه[2].

وإضافة إلى مشاركته بتأسيس الحزب الدستوري التونسي ضمن اللجنة التنفيذية للحزب، تولى إدارة مجلة "الفجر"، ونشر عبر صفحاتها العديد من المقالات المعارضة للسياسة الاستعمارية وكان ضمن الوفد التونسي الذي سافر إلى باريس لمقابلة الحكومة الفرنسية، ورفع مطالب التونسيين إليها وعارض، أحمد توفيق المدني بشدة إطاحة مصطفى كمال أتاتورك للحكم العثماني وإلغائه للخلافة الإسلامية، ودعا الشعوب الإسلامية إلى التصدي للحركة الصهيونية ومقاومة الاستعمار[3]، وكان ذلك بعد نهاية الحرب العالمية الأولى 1922[4]، ومن جهة أخرى قام توفيق المدني في 15 ماي 1924 بتأسيس "المجمع العلمي التونسي"الذي كان يهدف إلى إعادة الأمجاد العلمية لتونس حيث كان المدني هو واضع قانونه الأساسي بعد تنقيح الجماعة المؤسسة[5].

وكي يرفع المستوى العلمي والفكري والاجتماعي والدفاع عن حرية الفكر والقلم اتفق أحمد توفيق المدني ومجموعة من الرفاق بتأسيس "الرابطة القلمية" في ليلة رمضان 1343-1924[6]، وهذا سعيا من المفكرين والكتاب الجزائريين والتونسيين إلى إيجاد وسيلة فعالة للتضامن الفكري والعملي بينهم وخدمته الحركة المالية ببلادهم ونفع شعبهم[7].

---

[1]- محمد السعيد عقيب، **الحزب الدستوري التونسي القديم 1934-1956**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2009-2010، ص 41.

[2]- أحمد توفيق المدني، **مذكرات حياة الكفاح**، ج2، دار البصائر، الجزائر 2009، ص 176.

[3]- رابح عداله، **المرجع السابق**، ص82.

[4]- بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص346.

[5]- خير الدين شترة، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939م**،(د- ط)، دار كردادة، (د- ب)، (د- س)، ص 215.

[6]- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 333.

[7]- خير الدين شترة، **المرجع السابق**، ص215.

ولقد نشطت الحياة السياسية من جديد في سنة 1924، حيث تم انفصال الشغلين التونسيين عن المنظمة النقابية الفرنسية وإنشاء منظمة نقابية وطنية تحمل اسم "جامعة عموم العملة التونسية"[1]، وانخرط فيها توفيق المدني وكان يمثل الدستوريين مع "الطاهر صفر والطاهر الحداد واحمد الدرعي" في النقابة[2].

كما شارك احمد توفيق المدني في المهرجانات الفكرية والمسرحية وأسس فرقة السعادة للتمثيل وشارك في مسرحية "طارق بن زياد"[3]، وأيضا "نكبة الأندلس" وهي مسرحيات تصب كلها لتحريك الحس الوطني ضد الاستعمار، كما انه عبر عن كراهيته للاستعمار كذلك في مقالاته[4].

في عام 1925 نشر مقالا في جريدة "إفريقيا" الفتاة يؤيد فيه ثورة الريف في المغرب الأقصى بقيادة عبد الكريم الخطابي[5]، فكان ذلك المقال ذريعة للحد من نشاطه، إضافة إلى مواقفه المعادية لفرنسا انطلاقا من دعمه للمقاومة التونسية في الجنوب[6].

وإذا كان "أحمد توفيق المدني" قد ساهم في الحياة السياسية بتونس من خلال نشاطه في إطار الحزب الدستوري، فان النشاط الثقافي لم يمنعه عنه من كتاباته في الصحف والمجالات التونسية خاصة التابعة للحزب الدستوري مثلا "الوزير"، فكان من مآثر هذا الإبعاد أن فتح له جسر لتبادل الثقافي بين التونسيين والجزائريين، حيث التقى بنادي الترقي بالجزائر العاصمة نفر من الشعراء والكتاب التونسيين اللذين وفدوا إلى الجزائر من أمثال "الشادلي خزندا" و"الناصر

---

[1]– حمادي الساحلي، **خلاصة تاريخ تونس**، (د ط)، دار الجنوب، (د– ب)، 2001، ص 66.

[2]– خير الدين شترة، **المرجع السابق**، ص 240.

[3]– محمد بوطيبي، **دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900–1930**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2007–2008، ص 117.

[4]– بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص 346.

[5]– مجموعة مؤلفين، **موسوعة أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 133.

[6]– بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص 347.

الصدام"، فكانت كلما أتيحت الفرصة للانتقاء بين هؤلاء الأدباء تقام الاحتفالات في دور الصحف والأندية[1].

وتولى بعدها قرارات الإبعاد الصادرة بحق الجزائريين ممن كان لهم نشاطا بارزا في الحزب حيث شملت سنة 1925، كل من "توفيق المدني" و"عبد الرحمن" بتهمة المشاركة في أعمال الشغب والمناهضة للسلطة والانخراط مع التونسيين في أعمال السياسة، ولقد جاء في كلمة المدني في جريدة النجاح عقب نفيه من تونس مؤثرة جدا، أثبتت مدى تعلق الجزائريين بمبادئ التضامن والوحدة النضالية جاء مطلعها رمت بي حكومة الاحتلال خارج حدود الوطن، وذلك لإبعادي عن أمة كرست حياتي لخدمتها وفكرة سامية بذلت النفس والنفيس في سبيل حقيقها[2]، وكما قامت كذلك بنفي العديد من الوطنين التونسيين إلى الجنوب التونسي وكان منهم "محي الدين القلي"[3].

**ب – في الجزائر:**

بعد طرده من تونس إلى الجزائر يوم 5 جوان 1925، حطت به الرحال في عنابة ثم قسنطينة حيث التقى بالشيوخ "عبد الحميد بن باديس" و"مبارك الميلي"، بالإضافة إلى مالك ابن نبي و"معلم أحمد" و"محمد الصالح"[4]، واستقر به المقام بالعاصمة الجزائر عند أقاربه حيث تزوج وحاول الابتعاد عن النشاط السياسي، لكنه لم يفلح في ذلك أن السياسة هي التي أصبح لها القول الفصل في حياته[5]، فتعرف في الجزائر على الشيخ "عبد الحاليم بن سماية" والفنان "عمر راسم" و" والصحفي "فكتور سبيلمان" والشيخ "احمد بن عليوة" صاحب الطريقة العلوية

[1] – صالح عسول، **اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة 1956–1956**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008–2009، ص 72.

[2]– خير الدين شترة، **المرجع السابق**، ص 278.

[3]– بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص 347.

[4]– مجموعة مؤلفين، **موسوعة أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 133.

[5]– بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص 347.

بمستغانم، بالإضافة إلى الرسام الفرنسي المسلم "نصر الدين ديني"، والشاعر "الهادي سنوسي"، وغيرهم من الشخصيات البارزة في التاريخ الجزائر المعاصر[1].

وكانت أولى خطواته في الجزائر في مجال الكتابة في الصحف إلى جانب حضور الاجتماعات[2]، وفي 1926 تم إنشاء نادي الترقي وكان أول من عمل لإنشائه الشيخ "توفيق المدني"، والوطني "الصالح الغيور" و"السيد محمد الامبراط" جمع هذان طائفة من المصلحين في الجزائر العاصمة منهم "محمود بن ونيش" و"الحاج مماد المنصالي"، و"عمر الموهوب والزاوي الحاج وقدور ابن مراد التركي، ومحمد أزميرلي" وغيرهم [3]، وتفاوضوا في إنشاء نادي يجمع كلمة المسلمين ويحارب الطائفية التي تمزق الجزائر، ويثقف الجماهير بثقافة الإسلام ويحارب الاندماج والآفات الخلقية التي ينشرها الاستعمار في المسلمين بكل الوسائل[4].

حيث من خلال المحاضرات والندوات الفكرية التي كان احمد توفيق المدني يلقيها بنادي الترقي[5]، يقول: "ألقيت يوم 3جويلية 1927 خطاب جامعا معتدلا نسبيا خضوع لظروف المكان المكان والزمان ضمنته كل آرائي وأفكاري مركزا على فكرة أساسية هي الاتحاد الوطني، فليس في الجزائر فرق بين العربي والقبائلي والتركي والميزابي والشاوي فالجميع يجتمعون في الدين الإسلامي واللغة العربية وفي الوطن الجزائري وفي آمال التحرر والانطلاق[6].

وفي عام 1928 أصبح له مكتب خاص لهذا النشاط استقر فيه قرابة عشرين سنة، كانت حافلة بالنشاط الفكري والسياسي كذلك خاصة تأليفه للعديد من الكتب[7]، وفي ظل

---

[1]– مجموعة مؤلفين، **موسوعة أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 133.

[2] – بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص 348.

[3] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص 167.

[4]– محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، (د– ط)، ج2، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 93.

[5] – رابح عدالة، **المرجع السابق**، ص 82.

[6] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص ص 169–170.

[7] – بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص 349.

الاحتفال بالمئوية الجارح أنفقت فرنسا أموال طائلة في تهيئة احتفال دعت إلى حضوره أمم الأرض قاطبة[1]، وكان بمناسبة مرور قرن على احتلال الجزائر، دعا توفيق المدني إلى مقاطعة الاحتفالات وذكرهم بالتضحيات الجسام التي قدمها آبائهم وأجدادهم لطرد الفرنسيين من بلادنا، ولبى الجزائريون النداء الذي وجهه المدني وعلماء البلاد وقاطعوا الاحتفالات، وكان ضربة موجعة للحكومة الفرنسية[2].

ورغم أن الاحتفالات المئوية الفرنسية قد عبرت عن عظمة الاستعمار وقوته في البلاد، فان هذه الاحتفالات نفسها قد جرحت قلوب الجزائريين وداست كرامتهم إلا أنها كانت نقطة انطلاق جديدة للحركة الوطنية الجزائرية، ففي سنة 1930 أنشا أعضاء نجم إفريقيا جريدة (الأمة)، وتضاعف نضالهم الوطني[3]، وفي 05 ماي 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين، المسلمين، ويعد أحمد توفيق المدني من ابرز مؤسسيها، وواضع قانونها الأساسي والتي صادقت عليه الهيئة العامة لجمعية العلماء بتاريخ 5ماي1931[4].

وفي هذا يقول أحمد توفيق المدني: <<كنا أربعة رجال لا خامس لنا انتحينا من نادي الترقي زاوية قرب الشرفة (...) وكان الثلاثة الجالسون حولي هم: "الشيخ محمد العاصي"، و"السيد عمر إسماعيل"، والسيد "محمد عبابسة"[5]، وانتخب أميننا عاما لها عام 1934حتى اندلاع الثورة المسلحة [6]، وشارك مع شيوخ وأساتذة جمعية العلماء في إنشاء النوادي والمدارس الحرة، وكان ضمن الطاقم الإداري ب جرائد الجمعية على غرار "الشهاب والصراط والبصائر"،

[1] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص248.

[2] – رابح عداله، **المرجع السابق**، ص ص 82-83.

[3] – عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى دراسة (تحليلية) تاريخية وأيديولوجية مقارنة**، (د- ط)، دار المداد، (د- ب)،2009، ص 87.

[4] – مجموعة مؤلفين، **موسوعة أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 135.

[5] – رابح عدالة، **المرجع السابق**، ص 83.

[6]– مجموعة مؤلفين، **موسوعة أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 135.

ونشر عبر صفحاتها العديد من المقالات المناهضة للسياسة الاستعمارية[1]، وانطلاق من مبادئ الجمعية القائمة على الإصلاح الديني والفكري فان أحمد توفيق المدني اهتم بالتاريخ لما له من أهمية في تنوير العقول بواقع الأمة وطبيعة الاستعمار وضرورة المحافظة على الذاكرة التاريخية وهذا جعله يكتب على دراسة التاريخ العربي الإسلامي والتأليف فيه>>[2].

وجاءت فكرة مؤتمر جزائري يظم كل التيارات والإصلاحية الدينية خطرت على ذهن ابن باديس منذ مطلع الثلاثينيات، حيث انعقد المؤتمر يوم 7 جوان1936، جمع كل التيارات المعارضة للنظام الاستعماري باستثناء نجم شمال إفريقيا وقبل ابن باديس إن يتبنى الشعار الشيوعي: "الخبز –السلام–الحرية"[3].

ويقول توفيق المدني: <<إني لم أكن راضيا على المطالب المقدمة وما كنت مصادقا على الوسائل المبذولة (...) كنت أقول لقد رأيتم انهيار مطالبكم الاندماجية ورأيتم صادمة المستعمرين لكم، وهو القوة الوحيدة في البلاد وتستمر هذه المقاومة سواء مع الجبهة الشعبية أو بدونها، فطوروا مطالبهم ونادوا بالقومية الجزائرية وبإحراز على تحقيق حكم الأغلبية مع بقائكم مرتبطين بفرنسا إلى حين، ونادوا بوجوب تكوين حكومة جزائرية وانتخاب برلمان جزائري مع حفظ حقوق فرنسا والفرنسيين بالجزائر>>[4].

واستمر الشيخ "أحمد توفيق" المدني في جهاده الفكري والقلمي واللساني[5]، حيث يقول: <<وانغمست في السياسة حتى الأذقان، ثم جاء الاجتماع العام لجمعية العلماء فانتخبت بإجماع عضوا إداريا[6]، ثم انتخب أمينا عاما لجمعية العلماء واشرف فيما بين سنتي

---

[1]– بوضرساية بوعزة، **المصدر السابق**، ص 349.

[2]– أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص ص 254–255.

[3] – محمد الميلي، **المؤتمر الإسلامي الجزائري**، (د– ط)، دار هومة، الجزائر، 2006، ص ص 436–437.

[4] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص 364.

[5] – مجموعة مؤلفين، **موسوعة أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 134.

[6] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص 563.

1950_1956 على نظامها وتنسيق التعليم الغربي الإسلامي في مدارسها ومعاهدها وتنظيم سلك معلميها>>[1].

وبعد أن تم إرسال "البشير الإبراهيمي" 1952 إلى القاهرة بمصر، للقيام بالاتصالات ثقافية وسياسية مع الدول العربية الإسلامية، وقد ساعده في ذلك "الفضيل الورتلاني" وشاركت الجمعية في التحالف الذي جمع الأحزاب في الجزائر يمثلها "العربي التبسي" و"الشيخ خير الدين" و"توفيق المدني"، وسمي هذا التحالف "بجبهة الدفاع عن الحرية" إلا أنها فشلت بسبب تباين المواقف داخلها[2].

وعند اندلاع الثورة المسلحة أصدرت جمعية العلماء الكثير من البيانات التي تبدي فيما تعاطفها مع العمل المسلح، وكان جميعها موقعة من احمد توفيق المدني بصفة الكاتب العام إلى جانب الشيخ العربي التبسي، رئيسا بالنيابة ونائبه الشيخ محمد خير الدين، وكان أخر هذه البيانات بيان حل جمعية العلماء وإعلان الانضمام إلى الثورة عام 1956[3]، وفي 20 أوت 1956 أصبح عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ومع تأسيس الحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958 عين وزير للشؤون الدينية وممثلا للثورة في الجامعة العربية، وكثف الشيخ احمد توفيق المدني من اتصالاته مع رؤساء الدول والحكومات العربية الإسلامية لكسب دعم إضافي للقضية الجزائرية[4].

---

[1] – محمد الصالح الصديق، **شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية**، (د– ط)، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 329.

[2] – الوناس الحواس، **نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927–1945**، (د– ط )، دار شطايبي، بوزريعة، 2013، ص 207.

[3] – مجموعة مؤلفين، **موسوعة أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 135.

[4] – رابح عداله، **المرجع السابق**، ص ص 83–84.

كما كان الناطق الرسمي لجبهة التحرير وعضو في الحكومة المؤقتة [1]، وكان وزيرا للشؤون الثقافية [2]، وظل فيها إلى سنة 1961 ليشرف على توجيه وتنظيم ورعاية الطلبة الجزائريين بالبلاد العربية والبلاد الأوروبية المختلفة[3].

وعين في عام 1960 ممثلا دائما للجزائر لدى الجامعة العربية وفي نفس الوقت رئيسا للبعثة الجزائرية بالقاهرة[4]، وفي سنة 1961 عين الشيخ المدني وزيرا للأوقاف فتح خلال استوزاره سبعة عشرة معهدا للتعليم العربي بالجزائر واستقدم من مصر نخبة من العلماء وشيخ الأزهر، وبعدها عينة الدولة الجزائر سفيرا فوق العادة لدى حكومات العراق تركيا وإيران، واتخذت العراق مقرا له[5].

وجاءت سنة 1971 حيث عين سفيرا للجزائر في باكستان[6]، وعندما تأسس المركز الوطني للدراسات التاريخية عين مستشارا مؤرخا ومشرفا على القسم العثماني به[7].

**4- وفاته:**

بعد أزيد من ثمانية عقود من الزمن قضاها الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله في مشوار حافل على مسرح الحياة، عاش فيها الرجل فترتين من حياته الثرية بالعطاء، فترة الاحتلال التي رأى فيها بؤس شعبه وحرمانه من أبسط حقوقه، وعايش اضطهاد المحتل واذلاله

---

[1] – خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956**، (د- ط)، ج3، دار البصائر، الجزائر، (د- س)، ص 90.

[2] – عبد الرحمن حمادوا الكتبي، **مرجعيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، (د- ط)، ج1، (د- د- ن)، الجزائر، 2016، ص 232.

[3] – محمد صالح الصديق، **المصدر السابق**، ص 330.

[4] – مجموعة مؤلفين، **موسوعة أعلام الجزائر**، المرجع السابق، ص 135.

[5] – موسى صاري، **سلسلة أعلام الجزائر أحمد توفيق المدني علم العروبة والإسلام 1887-1983**، ابتكار، الجزائر، ص16.

[6] – يوسف بوغابة، **المرجع السابق**، ص 34.

[7] – موسى صاري، **المرجع السابق**، ص 16.

لإخوانه، وناله من ذلك نصيب لا يمكن تجاهله، واندلاع الثورة التي وقف في صفوفها جنديا باسلا وفترة ما بعد الثورة حيث أسهم في بناء الدولة[1].

حيث توفي الشيخ أحمد توفيق المدني[2] فجر يوم الثلاثاء 18 أكتوبر 1983م، وبذلك خسرت الجزائر أحد أبنائها الذين كرسوا حياتهم للعمل الدؤوب المستمر من أجلها، تاركا بصماته الواضحة في الأحداث السياسية أثناء فترة الكفاح والاستقلال، وعاملا عن تعريف تاريخ الجزائر للأجيال المتلاحقة[3]، فبوفاته فقدنا واحدا من أقطاب الفكر والثقافة والجهاد والإصلاح، كما فقدت الجزائر دبلوماسيا ورجلا سياسية، وعالما من أعلام الحركة العلمية في الجزائر والعالم العربي[4].

وترك وراءه تراثا فكريا[5]، وهي مجموعة من الكتب وتعد مرجعا هاما لتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر[6]، وبعد الدراسات التاريخية رفقة الشيخ "عبد الرحمان الجيلالي" و"الشيخ مبارك الميلي"، هؤلاء الثلاثة الذين يمثلون وجهة النظر الجزائرية ما بين (1929-1962) التي كانت تهدف إلى تحريك الهمم وبث الشعور الوطني في نفوس الناشئة[7].

## ثالثا: أبرز أعماله التاريخية[8]

مع بزوغ القرن العشرين أطلت الجزائر بوجهها الثقافي الجامد، وظهر الستار الحديدي مضروبا حولها حسيا ومعنويا، وما زاد في عزلتها اقتناع الرأي العام الأجنبي ومن الأشقاء من اعتقد بأن الجزائر لا تشكل جزء من العالم العربي أو الإسلامي، إنما هيا قطعة فرنسية حسب

---

[1] - جيلاني ضيف، **المصدر السابق**، ص 126.

[2]- أنظر الملحق رقم (02)، ص 136.

[3]- مسعود كواتي، **المصدر السابق**، ص 121.

[4]- جيلاني ضيف، **المصدر السابق**، ص 126.

[5]- مسعود كواتي، **المصدر السابق**، ص 121.

[6]- رابح عدالة، **المرجع السابق**، ص 84.

[7]- مسعود كواتي، **المصدر السابق**، ص 121.

[8]- ننوه القارئ أنه كان لأحمد توفيق المدني مؤلفات صدرت في تونس، من بينها (تونس وجمعية الأمم سنة 1923) و(الحرية و(الحرية ثمرة الجهاد عام 1923) تطرق فيه إلى نضال إرلندا ضد الإنجليز، لكن يؤسفنا أننا لم نستطع الاطلاع عليها.

ما أشاعت فرنسا، ورغم أنها لم تنفك على اتصال بإخوانها في العالمين العربي والإسلامي بكل الوسائل، متخطية جميع العقبات والحواجز، وهكذا شهدت الجزائر استفاقة ونهضة ثقافية، ونشطت حركة التأليف والاهتمام بالتاريخ والشعر، حيث أصبح الحديث يدور حول الوضعية المتدهورة للشعب الجزائري، وعن الوطنية الجزائرية وعن التاريخ الحافل للعرب. وقد أردنا في هذه الالتفاتة العلمية إلقاء الأضواء على بعض من إسفاره، التي كان لها الصدى والتقدير لدي الكثير من المفكرين والمصلحين والمعاصرين لصدورها[1]، وله عدة كتب معظمها في التاريخ العام للمغرب العربي والجزائر[2]، وبذلك برز "أحمد توفيق المدني" بمؤلفاته العديدة التي تصدرت تصدرت انتاجات الكتاب آخرين للحركة الإصلاحية التي تشهد له بالثقافة الواسعة والموهبة الأدبية والخاصة والمتميزة والمعلوم أن معظم مؤلفاته نشرها بعد نفيه إلى الجزائر، إلا ثلاثة منها نشرها خلال تواجده بتونس[3].

ويمكننا تتبع أعماله التاريخية على النحو الآتي:

**1- تقويم المنصور:**

صدر سنة 1922 الجزء الأول وضم 320 صفحة[4]، والجزء الثاني صدر في تونس سنه 1923، بإضافة إلى الجزء الثالث صدر في تونس، أما عن الجزء الرابع وفصدرا في الجزائر سنة 1926[5].

[1] – عبد القادر خليفي، **الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية**، دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني خلال الفترة 1931– 1950– قسم التاريخ، جامعة مسيلة، ص8.

[2] – ميسوم بالقاسم، **المرجع السابق**، ص 172.

[3] – عبد القادر خليفي، أحمد **توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983**، المرجع السابق، ص104.

[4] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص 439.

[5] – المصدر نفسه، ص 123.

**2- قرطاجنة في أربعة عصور:**

صدر سنة 1927م[1]، ضمن 176 صفحة يتناول تاريخ إفريقيا الشمالية خلال أربعة قرون تحت حكم قرطاجنة بالكشف عن تلك القرون الممتدة ما قبل التاريخ إلى الفتح الإسلامي، وأسباب البحث في هذه الحقبة تعود إلى كون المؤرخين العرب وبدون استثناء لأبن خلدون لم يدونوا تاريخ تلك الفترة بصفة جلية، وانصب اهتمامهم بالحقبة الإسلامية، إذ خصوها بإسفار عديدة وذلك كان إهمال الحضارات السابقة للفتح العربي دافعا لسد تلك الفجوة لأن التاريخ المغاربي لا يبدأ من العصور الإسلامية فقط ولكن له جذور تمتد إلى عشرين قرنا، و"توفيق المدني" يلتقي مع "الميلي" في النظرة إلى بدايات التاريخ الوطني، بدون أي تعصب للدين الإسلامي، كما أن كتاب قرطاجنة كان استجابة لإرادة بعض دعاة الإصلاح أمثال "ابن باديس" "والإبراهيمي" وغيرهما، واشترطوا عليه أن يكون ردا من حيث المحتوى على مزاعم بعض المفكرين الفرنسيين الذين عملوا على تشويه هوية وأصالة هذه المنطقة، وذكر "توفيق المدني" أنه رد خرافة المغرب اللاتيني التي نادى بها الاستعماريون مثل لوي برتران[2].

وقد أنجز تحرير هذا الكتاب وقام بتنقيحه كما اختار له أبدع الصور الأثرية، لم يسبق نشرها إطلاقا من طرف "عمر راسم" ذا شكل واضح، وقدمه للطبع بتونس في دار المطبعة الأهلية ثم أعلن عنه في الصحف بالشمال الإفريقي عامة وما انتهي الشهران الأولان حتى كان عدد المشتركين يكاد يغطي عدد النسخ المطبوعة، وقد أخذ توفيق المدني بنظرية أبن خلدون حول النشأة والنهاية للدول، فقال بأنها كالأفراد تنشأ ثم تنمو، ثم تكتهل[3].

[1]- ينظر الملحق رقم (03)، ص137.

[2]- ميسوم بلقاسم، المرجع السابق، ص 176.

[3]- نفسه، ص 179.

**3- كتاب الجزائر:**

أُصدر في سنة 1930م[1]، بعد أن قضي أربع سنوات في الجمع والترتيب، أحتوى الكتاب على (382) صفحة، ومن بين الأسباب التي أدت إلى تأليفه لهذا الكتاب[2]، هي الاحتفالات المئوية التي أقامتها فرنسا، احتفالا بمرور مئة عام لاحتلالها الجزائر[3].

فالكتاب كشف الزيف الاستعماري والخرافات ودحض مبدأ فرق تسد، خاصة عندما جعل هذا الأخير الميزابين في نظر السنيين شر من اليهود، ونوه على اختلاط وتماسك العناصر السكانية في الجزائر، وقد وحدهم في ذلك الإسلام، الكتاب مهدي للشباب المسلمون في أرض الجزائر وألح على دورهم في الحياة ومصير الأمة، فهم يجهلون تاريخ بلدهم، وطبيعة نظمه، وقوانينه، وعناصر حالته الأدبية وقوته الاقتصادية، هذا ما أحدث فيهم إحساس بأنهم غرباء عن وطنهم وحثهم على الاجتهاد والاتحاد والنشاط والوطنية، وأن يتخذوا كشعار الإسلام ديني اللغة العربية لغتي، الجزائر وطني[4].

ولعل سعي توفيق المدني إلى إثبات وحدة الشعب الجزائري المتجذرة فيما سبق من العصور، كانت من أولى غاياته ومراميه، وهذا ما جعل الكثيرون يستنتجون هذه الحقيقة للوهلة الأولى عند تصفحهم له فها هو سعد الدين بن شنب يقول عنه: (أن الكتاب من صفحته الأولى إلى صفحته الأخيرة ما هو إلا محاولة من صاحبه لإثبات أن الجزائر لا يمكن دمجها أو إلحاقها بفرنسا، وإنها تملك شخصيتها المتميزة[5].

---

[1] – ينظر الملحق رقم (04)، ص 138.

[2] – أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، (د– ط)، منشورلت رويبة، ANEP، الجزائر، 2010، ص18.

[3] – عبد القادر خليفي، أحمد **توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983م**، المرجع السابق، ص108.

[4] – بكاكرية جودي، **المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2008–2009م، ص193.

[5] – جيلاني ضيف، **المرجع السابق**، ص157.

ومن خلال ما سبق نجد أن حصة المواضيع التاريخية قليلة جدا، والمقصود بها التأريخ للدول الماضية، ومدى تواجدها وحضارتها ودور الجزائريين عبر التاريخ، وتأليف هذا الكتاب هو دليل عن الوطنية الجزائرية العربية الإسلامية، أما المضمون التاريخي الذي أريد به، تقديم الحالة الشخصية للجزائريين بإثبات مراحل تاريخهم وحضارتهم وذلك ليجعل منهم امة قائمة الذات وان إدماجها في فرنسا لا يعني شيئا غير تمويه للحقيقة التاريخية وتشويها للماضي[1].

ويظهر أن "مبارك الميلي" و"توفيق المدني"، يلتقيان في إظهار شخصية البربري والعربي عبر التاريخ، على أنها شخصية لا تذوب في الغير، وأن الجزائريين يقنطون هذه المنطقة منذ القديم، ولأجل أن "يحفر الخندق بين الجزائريين والاستعمار" كما يعبر احد منظري الاستعمار نفسه فإن "توفيق المدني"، إلى جانب الصورة القاتمة التي يقدمها عن الاستعمار الروماني بالجزائر، يقدم صورة مشرفة مليئة بالتمجيد للفتح الإسلامي، والحضارة التي جاءت معه، إذ يقول هذا الأخير: "رأي البربر أن الفاتحين الجدد يختلفون كل الاختلاف عن الفاتحين الأقدمين ورأوا أنهم لأول مرة في تاريخهم اعتبروا سادة ولم يعتبروا عبيدا ورأوا أنهم بواسطة المساواة الإسلامية يمكنهم أن يحققوا رغبتهم فأقبلوا على الإسلام يدخلون في دين الله أفواجا[2].

أما الأتراك فلهم الفضل لأنهم من أنقذ البلاد من المخالب الأيبيرية، ويبدو أن العرض التاريخي الموجز كان بمثابة مدخل للجزائر الواقعة تحت قانون الأنديجينيا، ولذلك فان الحجم الأكبر للكتاب يتمثل في القضايا الراهنة (1830م) والتي عرضها وأعطي أبعادها، وانتقدها واقترح البديل[3].

---

[1]– الطاهر عمري، **النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بداية القرن العشرين الي ما بين الحربين العالميتين**، (د– ط)، الوطنية، الجزائر، 2009م، ص185.

[2] – الطاهر عمري، **المصدر السابق**، ص185.

[3] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص186.

**4- محمد عثمان باشا (داي الجزائر):**

صدر الكتاب[1] في 1938م، تناول فيه المدني حياة محمد عثمان باشا أحد دايات الجزائر فقد عالج فيه مرحلة من أهم مراحل التاريخ الجزائري إلا وهو التواجد العثماني بالجزائر[2].

وقد بين فيه الحقائق التاريخية التي حاول الفرنسيين طمسها حيث قال طوال مائة عام، أن الجزائر كانت مستعمرة تركية في حالة بؤس وشقاء، وحروب أهلية إلى أن جاء الفرنسيون فحرروها ومدنوها، فبين المؤلف حقيقة النجدة العثمانية للجزائر ضد العدوان الصليبي، ونشأة الدولة الجزائرية واستقلالها وبطولاتها، كما بين فضائل وأهوال الاحتلال الفرنسي، ويعد هذا الكتاب أيضا مدرسة تاريخية اعتمد عليها كل من كتب من بعده في هذا الموضوع[3].

تضمنت مقدمة الكتاب أفرده المؤلف للشيخ "عبد الحميد بن باديس"[4]، كما ركز على المذابح التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في الجزائر وقارنها مع قمع الأتراك لمختلف الثورات ليبرز فظاعة الفرنسيين مقارنة بالأتراك[5]، ينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام[6].

إن الأقلام التي تناولت هذا العهد لم تكن كلها نزيهة، فالكتابات الأوربية متشبعة بالروح الدينية والسياسية، أما المصادر العربية فهي أقل من مثيلتها الأوربية علماء الجزائر في العهد الفرنسي لم يهتموا بدراسة العهد العثماني، ولولا بعض الصفحات التي كتبها عثمان خوجة في المرأة، والأمير باشا في تحفة الزائر وتوفيق المدني في كتاب الجزائر وتراجم ابي القاسم

---

[1] – ينظر الملحق رقم (05)، ص 139.

[2] – أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر**(1766– 1791)**سيرته حروبه أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، (د– ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص17.

[3] – محمد الصالح الصديق، **المصدر السابق**، ص336.

[4] – عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983**، المرجع السابق، ص 111.

[5] – رابح لونيسي، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920– 1964)**، ط1، كوكب العلوم، الجزائر، 2009، ص369.

[6] – عبد القادر خليفي، **الكتابات التاريخية وبعث الوطنية في ظل الحقبة الكولونيالية**، المرجع سابق، ص12.

الحفناوي في تعريف الخلف بالرجال السلف لانقضى النصف الأول من القرن العشرين بدون معرفة شيء عن العهد العثماني من مؤلفات الجزائريين، ذلك كان المدني من القلائل الذين اهتموا بهذا العهد[1].

## 5-المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا:

صدر سنة 1946م، وهو أول كتاب[2] عن صقلية بالغة العربية[3]، بداية الكتاب كانت مع "تقويم المنصور" إذا ذكر تاريخ صقلية في بعض البحوث، وبعد مدة عكف في دراسة الموضوع بطريقة علمية واسعة حول جغرافيا صقلية وتاريخها القديم[4]، واحيا به تاريخ صقلية في العهد الإسلامي منذ الفتح إلى الانهيار، أي خلال ثلاثة قرون ونيف، وقد شمل تاريخ الولاة والملوك والوقائع الحربية[5]، وعن محتوي الكتاب، فقد قسمه إلى مقدمة وتسعة أقسام[6].

ويتحدث أحمد توفيق المدني عن هذا الكتاب وأسباب نشره بالقول: <<واني بالنادي عشية، إذا جاءني عون سري يطلب إلى الذهاب فورا لدار العمالة، لماذا؟ لا ادري وذهبت ودخلت مكتبا بالدور الأول، إذا بموظف فض، ما رأيت من قبل موظف مثله في شراسة وسماحته وقلة أدبه، يقول لي منذ دخلت أنت المدعو توفيق المدني؟ قلت بشدة: أنا هو فماذا تريد مني؟ قال لي بشدة أعنف كلفوني بأن أبلغك إنذار نهائيا لا يكون بعده إلا ارتكاب وسائل

[1] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص199.

[2] – ينظر الملحق رقم (06)، ص 140.

[3] – مسعود كواتي، **المصدر السابق**، ص231.

[4] – بكاكرية جودي، **المرجع السابق**، ص194.

[5] – محمد الصالح الصديق، **المصدر السابق**، ص337.

[6] – عبد القادر خليفي، أحمد **توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899-1983م**، المرجع السابق، ص ص 114-113.

أخري نود أن لا نصل إلى استعمالها أن الحالة حرجة وأنت مستمر حسبما علمنا بتأكيد على سلوك سياستك العدوانية الطائشة، وأقوالك التي يمكن اعتبارها إجرامية>>[1].

**6- جغرافية القطر الجزائري:**

طبع بالجزائر سنة 1948م، وهو أول كتاب[2] من نوعه بالعربية موجه إلى طلبة المدارس التي تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين، سد هذا المؤلف فراغا كبيرا، وربط فيه بين التاريخ والجغرافيا، وملأه بالمشاعر السياسية الوطنية[3]، وقد جاء في تقديم المدني لكتابه قوله: <<فهذا أول كتاب جغرافي، وضع عن القطر الجزائري المحبوب>> وخاطب الشبان موجها السائل سياسة عميقة، فكتب: <<أيها الشباب المسلم الجزائر على حب الوطن ينشأ شبان الدنيا قاطبة، فهم في سبيل أوطانهم يعيشون وفداء أوطانهم يستشهدون>>[4].

قسم الكتاب إلى أربعة أقسام[5].

**7- حنبعل:**

وهو كتاب صدر سنة 1950م وهو عبارة عن مسرحية تاريخية كتب في المقدمة "الى الشباب المغربي، حامل راية الكفاح، في سبيل حرية الأمة وشرف الوطن، أقدم هذه الرواية التي تحيي صفة من جهاد أبطاله الأولين، وفيها عبرة وذكري" وأوضح فيها توفيق المدني خفايا تأليف هذا الكتاب في مذكراته: <<لا أكتم الحقيقة ولا أكذب التاريخ لقد كان للخيبات المتوالية في ميدان السياسية بالشمال الأفريقي وكان للنكبة العارمة التي دهت العرب والمسلمين في فلسطين، وقع أليم جدا على كل الطبقات الجزائرية، فأصاب الكثير منها يومئذ نوع من اليأس

[1] – مسعود كواتي، **المصدر السابق**، ص ص 232- 233.

[2] – ينظر الملحق رقم (07)، ص 141.

[3] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 7، المصدر السابق، ص 420- 421.

[4] – أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، (د-ط)، المطبعة العربية، الجزائر، 1948م، ص3.

[5] – بكاكرية جودي، **المرجع السابق**، ص196.

القاتل، لكننا كنا نشعر بوجوده وبانتشاره وكنا نخشى تفاقم أمره، قلت في نفسي: ولماذا لا أجرب المسرح؟ أن رواية تمثيلية وطنية صادقة تعرض على الشعب في قالب فني مدروس، وتلقي عليه أثناء حوارها ما يجب أن يقال من أجل التغلب على الصعاب والصبر والثبات[1].

وعن اختيار الموضوع يقول: <<لقد أخترت هذا الموضوع بالذات، لأنه يتعلق أولا بميلاد الدولة الجزائرية الحقيقية لأول مرة في تاريخنا، دولة ذات معالم معينة، حدود مرسومة فوق تراب شكلت منه أرض الوطن، وتكونت فوقه وحدة سياسية اقتصادية واجتماعية، بعد الوحدة الدينية التي كانت القاسم المشترك الأعظم، وقامت على رأسه دولة لا تنسب لعائلة ولا لقبيلة، أنما تنسب لوطن معين ثم اخترقت هذه الدولة في ميادين الكفاح والجهاد، ثلاثة قرون ونيف مرفوعة الرأس، خفاقة الأعلام، سائرة ضمن دائرة الخلافة العثمانية نحو استكمال السيادة المطلقة والاستقلال التام.. ثم أخترته ثانيا لان هذه الدولة الجزائرية الأولى، قد برزت إلى الوجود وشبت وشابت، نتيجة لحملة صليبية استعمارية...>>[2].

## 8- هذه هي الجزائر:

قام بتأليف هذا الكتاب[3] سنة 1957م، بالقاهرة تحدث عنه بقوله: <<لم اكتبه للدعاية وإنما كتبته تسجيلا للواقع وتعريفا بهذا القطر، وبهذا الشعب>>[4]، فهو يعتمد على الصادق من إنباء التاريخ، وعلى الثابت من أرقام الإحصاء، ويصف الحالة الحقيقية كأنها صورة طبق الأصل فلا مبالغة ولا تهويل، ويقول في هذا الصدد: من هذه الأمة التي أدهشت العالم بجهادها وبهرت الدنيا بثباتها أمام أعظم قوة استعمارية، واشرأبت إليها أنظار سائر الشعوب تشهد على يدها مصرع الظالمين وتمزيق آخر صفحة من صفحات الاستعمار الدنيء القذر؟ تلك هي أمة الجزائر وذلك هو قطر الجزائر تلفت هذه الأمة من أجدادها فوق أديم هذا الوطن علما وسيفا

[1] – مسعود كواتي، **المصدر السابق**، 224.

[2] – **نفسه**، ص236.

[3] – ينظر الملحق رقم (08)، ص 142.

[4] – مسعود كواتي، **المصدر السابق**، ص236.

وضميرا وتوارثت ذلك كابرا عن كابر منذ أقدم العصور، فما سقط ذلك العلم، علم الحرية من يد شهيد حتى تلقيه أيدي الذين يقتلون في ميدان الشرف خطاه[1].

**9- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792:**

صدر هذا الكتاب[2] 1968م، والكتاب كما هو واضح من عنوانه، تاريخ أحداث عسكرية وسياسية، دار معظمها على شواطئ الجزائر أو بمواقع متعمقة بالداخل، وقد اتسم سرد تلك الأحداث بشيء من الإسهاب والتفصيل، مما جعل الكتاب من أكثر المؤلفات بالغة العربية توسعا في هذا الموضوع، وأوفرها مادة[3]، جاء محتوي الكتاب في تمهيد طويل عن الثلاثة قرون التي سبقت صلة الجزائريين بالعثمانيين، وتسعة عشر فصلا، جعل تحت كل فصل عناوين فرعية، نظمت بطريقة مدرسية تساعد القارئ المشرع على العثور على ما يريد[4].

فقد اختار هذا الموضوع لأنه يتعلق أولا بميلاد الدولة الجزائرية الحقيقية، لأول مرة في تاريخها دولة ذات معالم، وحدود مرسومة، فوق تراب تشكلت منه أرض الوطن وتكونت فوقه وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية، بعد الوحدة الدينية، وثانيا إظهار أن بروز هذه الدولة كان نتيجة حملة صليبية استعمارية عنيفة[5].

وقد أورد أن هذه الدوافع الأساسية التي دفعته للقيام بهذا الكتاب ويعرف التاريخ على أنه "لا عرض وتحليل، وتعليل، وحكم، فلمؤرخ الحق، إنما هو حاكم نزيه حر الضمير، يدرس الوثائق والمستندات يستخرج الحقائق من بين النصوص ويستمع بإمعان مؤولا ما يقوله هؤلاء، ثم ينظر إلى الملابسات، ويدرس المحيط، فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا، اصدر حكمه

---

[1] – محمد الصالح الصديق، **المرجع السابق**، ص338.

[2] – ينظر الملحق رقم (09)، ص 143.

[3] – عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية بتونس والجزائر 1899-1983م**، المرجع السابق، ص116.

[4] – أبو القاسم سعد الله، **ابحاث واراء في تاريخ الجزائر**، ط2،ج 1، الشركة الوطنية للنشر وتوزيع، (د- د – ن)، (د- س)، ص ص348- 349.

[5]- بكاكرية جودي، **المرجع السابق**، ص 201.

عادلا، لا عاطفة ولا رياء ولا محاباة، وأكد انه يحكم على الأشخاص والأحداث بنزاهة، وأن الإسلام كان عامل أساسي ذو تأثير كبير في تاريخ الجزائر وأبرز الدور البطولي الذي قام به الأتراك في قيادة الشعب الجزائري ضد الغزو المسيحي[1].

**10- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر:**

صدر سنة 1974، يغطي الفترة العثمانية للجزائر ما بين 1754-1830م، عالج فيه كاتب المذكرات فترات حكم (11) باشا تدخل المحقق فذكر الأحداث التي أغفلها أو أهملها المؤلف بعد ذكر كل ولاية تحت عنوان" الحوادث التي لم يذكرها المؤلف" زيادة إلى التعاليم التي تتعلق بكل فصل في الهوامش شارحا بعض المصطلحات أو المفردات مما زاد الكتاب فائدة وهو محلى بمجموعة من الصور[2]، تناول في المقدمة الهدف من التحقيق في الكتاب وهذا لإظهار الجانب الإيجابي للمرحلة العثمانية في الجزائر عكس ما يدعيه الغربيون، واللغة التي كتب بها نجد بعضها بالعامية، وقام "توفيق المدني" بكتابتها بالفصحى وتقسيم الكتاب بطريقة منهجية دون أحداث تغيير في الوقائع التاريخية، وقد قسمه إلى إحدى عشرة جزءً[3].

**11- مذكرات حياة كفاح:**

لقد صدرت المذكرات في ثلاثة أجزاء سنوات 1976، 1977[4]، أما الجزء الثالث[5] كان موعده سنة 1979 إلا أن صدوره تأجل إلى أواخر سنة 1981، وهذا يرجع إلى الظروف السياسية التي لم تكن تسمح بنشره في تلك الأيام[6]، وهي تشكل زبدة المسيرة النضالية للرجل

---

[1]- بكاكرية جودي، **المرجع السابق**، ص 201.

[2] - مسعود كواتي، **المصدر السابق**، ص237.

[3] - بكاركرية جودي، **المرجع السابق**، ص204.

[4]- عبد القادر خليفي، أحمد **توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899-1983م**، المرجع السابق، ص234.

[5] - انظر الملحق رقم (10)، ص 144.

[6]- أحمد توفيق المدني ، **حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية**، (د- ط)، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 13.

على مستوي الجسد والفكر فهذه المذكرات بصفحاتها التي تتجاوز الألف والثلاثمئة بل هي بالضبط (1386 صفحة)، تعطي صورة حية عن نضال رجل وعناده، وصمود أمة، وقد أدركت أحمد توفيق المدني الوفاة دون إتمام الجزء الرابع المتعلق بمرحلة الاستقلال وهي فترة دقيقة خضعت فيها الجزائر لكثير من المسخ والاستغلال[1].

**12- رد أديب على حملة أكاذيب:**

وهو كتاب[2] موثق في الرد على من كذبوا مذكراته وهاجموه[3].

**استنتاج جزئي:**

إن ما نميزه في الكتابات التاريخية الجزائرية أنها مثلت في مجملها الخطاب الثوري في الفترة الاستعمارية وكان هدفها البارز هو التشهير بالثورة ضد الاستعمار، وكان مثال ذلك أحمد توفيق المدني الذي تميز بأعماله المناهضة للاستعمار ومثال ذلك "مسرحية حنبعل"، وذلك لان الجزائر بحاجة إلى قائد مثل حنبعل، وكذلك كتابه "هذه هي الجزائر"، حيث كان أحمد توفيق المدني من رواد الاتجاه الوطني في كتابته، حيث جعل الإسلام عقيدة لا تاريخ أوطان، حيث كتب على الجزائر والمغرب العربي من القديم إلى المعاصر، وبذلك يعد الرجل جامع للتاريخ الوطني وليس مؤرخا، إذا الهدف من كتابته هو تكريس الوعي الوطني للخروج به من بوتقة الارتباط بالمدرسة الفرنسية الاستعمارية.

كرس أحمد توفيق المدني في سبيل بعث النهضة التاريخية الجزائرية في مراحل صعبة، ألا وهي فترة الاستعمار وما بعده، حيث عمل الرجل على محاربة الكتابات الاستعمارية وتصحيح تاريخ الأمة الجزائرية.

---

[1] – عبد القادر خليفي، أحمد **توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر1899-1983م**، المرجع السابق، ص234.

[2] – ينظر الملحق رقم (11)، ص 145.

[3] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص174.

لقد كانت لهذا الأخير اهتمامات غير التأليف؛ تمثلت في الصحافة التي كانت أول بداياته في الكتابة حيث حظيت جريدتي "الشهاب والبصائر" على مقالات المدني المناهضة بالاستعمار كما عرف عنه دائما.

# الفصل الثاني

# تصنيف الكتابات التاريخية عند "أحمد توفيق المدني"

**أولا: الفترة القديمة**

**ثانيا: فترة الفتح الإسلامي وعصر الدويلات**

**ثالثا: الفترة الإسبانية والعثمانية**

**رابعا – الفترة الاستعمارية الفرنسية**

كانت لأحمد توفيق المدني عدة مؤلفات تناول من خلالها موضوعات متنوعة، اختلفت باختلاف قضاياها في كل المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية وحتى الحضارية، حيث أبدع في تتبع المراحل التاريخية التي مرت بها الدولة الجزائرية، من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر.

## أولا: الفترة القديمة

### 1- كتاب قرطاجنة في أربعة عصور:

نجد أن الكاتب ذكر في مؤلفه سكان المغرب الأصليون، الذي قسمه إلى أربعة كتب، حيث ضمّن كتابه الأول (دولة قرطاجة) فذكر فيه موقعها وبداية ظهور السكان الفينيقيون والجانب التنظيمي السياسي لهذه الدول، كما تحدث عن اقتصادها بقوله: "كان شغلهم الشاغل في الحياة هو اكتساب الثروة وجمع الأموال والمقتنيات الثمينة بواسطة التجارة، وهم أول اصطنع السفن وسافروا بحرا، كما أنشئوا المستودعات التجارية". كما تحدث أيضا عن الجوانب الاجتماعية والدينية في قوله: "كانوا يعبدون الأوثان وإلههم الأكبر يدعى بعل وهو الشمس وله تمثال باسط ذراعيه"[1].

أما في الجانب السياسي فتحدث على قرطاجنة كيف تأسست وتوسعت لتصبح مدينة عظيمة، وكيف أخضعت مدن الساحل واستعمرتها كما ارتبطت مع الرومان بمعاهدات أثناء نشأتها، إضافة إلى الحرب على صقلية لما عزمت قرطاجنة على التوسع الاستعماري، كما تحدث الكاتب على (المملكة القرطاجنية) فيما يتعلق بحكومتها وسياستها في قوله: "يتولى أمرها رئيسان ينتخبان لمدة العمر أولهما المجلس الأعلى وثانيها مجلس القدماء"، إضافة إلى الحياة الدستورية والنظام السياسي واتبعت قرطاجنة سياسة الرفق واللين مع البربر[2].

كما وصف قرطاجنة اقتصاديا في: <<كانت مخازنها الجسيمة غاصة بالسلع والرياش الفاخر"، وفي الجانب الديني كانوا يعبدون الإله بعل وثانيت (القمر)، وشاركوا في إقامة

---

[1]- أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، (د- ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 24.

[2] - **نفسه**، ص ص 24-28.

الحفلات الدينية وأخذوا عادة تقديم القرابين للآلهة[1] من البربر>>[2]، أما فيما يخص الجانب العلمي والثقافي لقرطاجنة لخصه في كتاب "الزراعة" لماغون وهو سفر جليل عن الزراعة المحلية، وقد تم ترجمته إلى اللاتينية ليكون مرشدا للمستعمرين، ورحلة (حنون البحار) وهو الذي أرسلته قرطاجنة ليكتشف سواحل المحيط الأطلسي، كما تطرق المؤلف إلى التصادم الاستعماري بين روما وقرطاجنة وأسباب الحرب البونيقية إضافة إلى الحروب في سبيل التوسع، وكيف كان الصلح وشروطه في قوله: "واضطرت قرطاجنة لعقد الصلح، وكان من شروط الصلح أن قرطاجنة تدفع لروما غرامة حربية، وتسلم جزيرتي صقلية وكورس"، إضافة إلى حرب المستأجرين التي أسفرت عن هلاك الجند الثائر واستسلام قائدها استمرت هذه الحرب ثلاثة أعوام وتسعة أشهر[3].

ونبقى في الجانب السياسي حيث تطرق الكاتب إلى فترة حكم كل من القائد "علملكرض" ثم جاء بعده ابنه حنبعل هذا الأخير الذي امتلك ميزات خولت له هذا المنصب، وظلت قرطاجنة تقوم بالحروب في سبيل التوسع حيث أعادت الكرة على روما وذلك الانتقام منها في الحرب الأولى، وقد انتصرت قرطاجنة وظلت محافظة على تفوقها، إلى أن تغلبت روما عن قرطاجنة واستولت عن مدينة سرقوقة في عهد حنبعل، إلى أن فقد أمله في الانتصار عليها، وبعد ذلك انتقلت الحرب إلى إفريقيا بين "ماسينيسا" وسيفاكس إلى أن استطاعت قرطاجنة استمالة سيفاكس إليها، لكن "سيفاكس" ما لبث أن هزم ماسينيسا وكانت ضربة قاضية إلى قرطاجنة[4].

---

[1]– أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، المصدر السابق، ص ص 34–35.

[2]– وقد اختلف المؤرخون في شرح كلمة البربر، فمنهم من يرى أنها مشتقة من الفعل العربي بربر، بمعنى همس ويرى البعض الآخر البربر مكرر (بر) تعني الصحراء بالغة العربية. للمزيد ينظر، حسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ص 34.

[3]– أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، المصدر السابق، ص ص 48–51–58.

[4]– أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، المصدر السابق، ص 60.

وظلت العلاقات مضطربة بين قرطاجنة وروما فتارة حرب وتارة صلح، حيث يعقب كل حرب خسائر وكل صلح معاهدات وغرامات، فنجد حنبعل سعى لوضع حد للحرب مع قائد روما شيبو قائد[1]، لكن بعد ذلك فضل القائد حنبعل[2] أن يدخل في معركة حتى إن كانت مآلها الانكسار على قبول ما طلبه "شيبو" من مطالب، وهنا نجد الكاتب قد لخص سياسة حنبعل في أنه قام بإصلاح الجانب الاقتصادي لقرطاجنة إضافة إلى انه تعامل مع البربر بسياسة اللين والرفق، لكن ظل على أسلوبه في الأخذ بالثأر من روما إلى أن جاءت نهايته[3].

كما تحدث الكاتب في الجانب السياسي على دولة البربر، حيث أن بلاد المغرب عندما قدمت إليها الجاليات الفينيقية لم تكن بها نظم ولا ممالك ولا سياسة، إلى انتصبت قرطاجنة فانتشرت وارتقت وتوسع نفوذها، حيث أصبحت البلاد بعد انتهاء الحرب ذات ممالك ونظام، كما تحدث المؤلف عن شخصية ماسينيسا الذي كان أعظم ملوك البربر وأعماله لأنه يعد هو مؤسس المملكة النوميدية، وتطرق إلى حربه مع روما لكن هذه الأخيرة صممت على القضاء على قرطاجنة وكان النصر لها وموت ماسينيسا وعزمت روما على حرق المنطقة كليا[4].

أما فيما يخص (الكتاب الثاني) فقد تعرض فيه إلى الجانب السياسي حيث عدد ملوك قرطاجنة، فنجد في ذلك ماسينيسا ويوغرطة ويوبا الأول والثاني إضافة إلى ملوك نوميديا، حيث شرح ردة فعل كل ملك تجاه الاحتلال الرومي، فنجد في قوله عن حرب روما ويوغرطة: "فرأى مجلس الشيوخ أنه لابد من محاربة يوغرطة وإلا فان مآل المغرب أن يقع بتمامه بين يديه، وما كان من يوغرطة إلا أن جمع جنده وهاجم القوى الرومانية فدحرها"، أما الجانب الاقتصادي تحدث عن الضرائب وامتلاك الأرض والأعمال الفلاحية، وفي الجانب الاجتماعي والثقافي

---

[1]– أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، ص 62.

[2]– عاش ما بين (234–138ق.م) هو ابن القائد القرطاجي هملكار كان مولعا بالحروب والمعارك منذ سن مبكر ورث عن أبيه كره الرومان وقطع وعدا له مادام حيا شغل منصب رئاسة الجيش القرطاجي وأشهر معاركه كناي وزاما. للمزيد ينظر، نجيب ابراهيم طراد، **تاريخ الرومانيين من بناء روما إلى تلاشي الحكومة الجمعوية**، (د– ط)، المطبعة اللبنانية، لبنان، 1886، ص 222.

[3] – أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، المصدر السابق، ص ص 63–64.

[4]– **نفسه.**

والحياة المدنية للبربر والرومان حيث جاء في قوله[1]: "إذ أنشىء الرومانيون مدنهم الخاصة وما كان البربر يستفيدون منها إلا عرض، إذ أثرت المدينة القرطاجنية في نفوسهم وعلومهم وآدابهم"، والجانب الديني تكلم الكاتب على الديانة المسيحية وأشار إلى الدوناتيون، حيث كان الرومانيون يعبدون الأوثان والبربر كذلك التي ورثوها عن قرطاجنة "كبعل وثانيت"، ولما استقرت رومان في البلاد أخذوا أصنام البربر وسموها بأسماء رومانية والبربر العكس سموها بأسماء بونيقية [2].

كما عنون (كتابه الثالث) "بقرطاجنة الوندالية" حيث تعرض من خلاله إلى أصل الوندال تمثل ذلك في: "هم أمة جرمانية صقالبية مستقرها بأوربا بين نهري الفستول ولأودر، وهم من الأمم التي كان الرومانيون يطلقون عليهم اسم الوحشيين"، ولما تدهورت سلطة روما هاجمتها أمة الوندال، ثم أشار إلى الحياة السياسية لدى الوندال من ناحية التقسيم الإداري والملوك اللذين تعاقبوا عليها أمثال "جنصريق"، وكان الوندالين أشد بغضا للنظام الروماني حيث لم يقلدونهم في أي مجال حتى عملوا على تحطيم كافة آثارهم الباقية، ونجد يقول في هذا الصدد: " لم يكن البربر راضخين لسلطة الوندال ولم تكن سلطة الوندال إلا سطحية في البلاد"[3].

وفي الجانب الاقتصادي فقد قسم الملك جنصريق الأرض الفلاحية إلى أربعة القسم الأول لأولاده والثاني وزعه على جنوده والثالث تكفل بها بنفسه والرابع تركها في أيادي المالكين الأقدمين ولكن يقومون بدفع الضرائب، ومن الناحية السياسية عدد الكاتب خلفاء جنصريق حيث ذكر "هونريق" و"غوتاموندا" و"تراسموند" و"هلدريق"، حيث ذكر في فترة حكم هذا الأخير أنه: <<لما تولى عرش الوندال أخذ يجامل صديقه إمبراطور الشرف بتبعية له وهي شبه اعتراف بذلك، وكان جوستنيان يضمر في نفسه تدمير ملك الوندال وبسط سلطان روما على البلاد، وفي هذه الأثناء أعلن البربر الثورة على الوندال>>، وبعد ذلك جاءت الحرب الوندالية مع الروم

[1] – أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، ص ص 82-83.

[2] – **نفسه**، ص 108.

[3] – **نفسه**، ص ص 105-112-122.

وكانت الغلبة للروم حيث مارسوا في البلاد المظالم وكل أنواع الاغتصاب، فسلبوا وقتلوا وانتهكوا الحرمات، ثم عادوا إلى قرطاجنة واخفوا كل ما اغتنموه وسلبوه[1].

فجاء (كتابه الرابع) والأخير تحت عنوان "قرطاجنة البيزنطية"، نجد الكاتب قد تعرض في هذا القسم إلى الحياة السياسية البيزنطية من جانب الإدارة المدنية حيث أوكلت أمور المغرب إلى حاكم عام رومي وكان مقر حكمه مدينة قرطاجنة وله السلطة العليا في جميع الأمور في المسائل الإدارية والمالية والعدلية، وفيما يخص السياسة الداخلية فكانت سياسة شريرة بداية من الخلافات الدينية، وذلك بتتبع المخالفين لهم في العقائد واضطهادهم، ومصادرة الأراضي من قبل الروم ويعدها قرر جوستنيان، أن يرجع للرومانيين أراضي أجدادهم وللكنيسة الكاثوليكية أملاكها[2].

أما من حيث المجال الثقافي فقد كتب عن الفنون والأدب وفي هدا الأخير الذي تمثل في المنظومة اللاتينية، التي نظمها الشاعر الروماني الإفريقي كوريبوس وصف فيها حالة المغرب وصفا تفصيليا، وفي الجانب الاجتماعي تطرق إلى قبائل البربر التي قسمها إلى ثلاثة أقسام أما الأولى (لوا) وفيها سبعة فرق، والثانية (صنهاجة) وفيها أربعة عشرة فرقة[3]، و(زناته)[4] وفيها أحدة عشرة فرقة، كما تطرق في الأخير إلى الصراعات المسيحية مع الفاتحين المسلمين والفتن وتمزق جسم الدولة العربية، كما تحدث عن الملك كسيله ومملكته لتأتي بعده الكاهنة، بعدها

---

[1] – أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، ص 127.

[2] – **نفسه**، ص 133.

[3] – **نفسه**، ص ص 139–140

[4] – تفرقت قبائل زناته من زانات بن يحي بن جانا، ومنهم قبائل كثيرة نجد مغراوة وبنو يفرن وغيرهم، ويعود نسب زناته حسب ابن خلدون إلى أصل بربري وبالتالي إلى كنعان، وهناك من يردهم إلى أصل عربي وينتسبون إلى قيس بن عيلان. للمزيد ينظر، إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضرق14هـ–20م من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين**، ط1، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1978، ص 11.

تعرض إلى تهديم القيروان من قبل حسان بن النعمان الذي كان هدفه من ذلك هو بقاء عاصمة واحدة في البلاد وهي القيروان ليجمع حولها كل السكان[1].

**2_ كتاب الجزائر:**

لخص الكاتب في هذا الكتاب من الناحية الحضارية تاريخ بعض المناطق الجزائرية، مثل: منطقة الأصنام التي أطلق عليها العرب هذا الاسم نظرا لكثرة التماثيل فيها، ومنطقة تنس وسكيكدة وقالمة وقسنطينة وهذه الأخيرة التي أطلق علها اسم سيرتا وهو اسم كنعاني فينيقي وتعني المدينة أو القرية، كما ذكر في الفصل الرابع النظام السياسي للوندال في البلاد التونسية جول قرطاجنة، إلا أن وجودهم في الجزائر كان قليل، مما أدى بالبربر إلى استرجاع حريتهم واستقلالهم وأراضيهم هدا نجده من الناحية السياسية، أما في ما يخص الجانب الاجتماعي كان هناك تشابه في التعامل، حيث أن كل من الرومان والوندال والروم كانت المظاهر البارزة في مستعمراتهم هي التشرد[2].

كما أفرد القسم الرابع في التحدث عن سكان الجزائر، وأخص بذلك العنصر البربري من ناحية عاداته وأخلاقه والنظام الاجتماعي في منطقة وادي ميزاب، وفي هذا الأخير تميز النظام الاجتماعي فيه أنه متكون من عشائر ومن العشائر تختار الهيئات ذات النفوذ، أما الجانب السياسي تعرض فيه إلى التشريع حيث كانت بلاد ميزاب لديها هيئات تشريعية تتألف من علماء يقومون بوضع القوانين والأحكام، والقضاء الذي كان يجري بيد هيئات لغرابة وهي التي تقوم بالفصل بين المتخاصمين، والاستئناف وهي محكمة استئنافية تتكون من قضاة وبعض العلماء وتقوم بالنظر في النوازل المفصولة في المحاكم الابتدائية[3]، أما (القسم الخامس) فكان بعنوان "العنصر العربي بالجزائر"؛ حيث تحدث فيه على أصول القبائل المهاجرة وفروعها، إضافة إلى مواطن بقاياها اليوم في الأرض الجزائرية.

---

[1]– أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، المصدر السابق، ص ص 141-145.

[2] – أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص 22.

[3] – **نفسه**.

في (القسم السادس) ذكر العناصر الأخرى بالجزائر، حيث تحدث عن العناصر التي استوطنت الجزائر غير العرب[1]، وأشار إلى اليهود[2] وهم ينقسمون إلى قسمين الأول النازحون من فلسطين، والثاني بربري أخذ على أولئك النازحين الديانة الموسوية، أما الفرنسيون فهم بذلك ينقسمون إلى قسمين أساسيين، الأول هم أبناء فرنسا الأصليون والثاني الأجانب من الإسبان والايطاليين والمالطيين، وحمل (القسم السابع) "عنوان الجغرافية الطبيعية العامة للقطر الجزائري"، وأشار إلى تسميتها العرب؛ المغرب الأوسط لكونها تتوسط المملكة التونسية والمغرب الأقصى، كما تطرق في هذا القسم إلى حدود الجزائر وتاريخها ومساحاتها وسواحلها وجبالها وصحرائها، وطقسها وأمطارها وغاباتها أضف إلى ذلك ذكر عمالاتها وملحقاتها، مثل عمالة قسنطينة والجزائر وملحقاتها مثل تقرت وغرداية والواحات[3].

### 3- هذه هي الجزائر:

تطرق الكاتب في مؤلفه هذا من خلال فصل الكتاب الثالث إلى تعريف الفينيقيون اللذين كانوا أمة أمازيغية ويطلق عليهم البربر؛ يعيشون عيشة بدائية في كامل تراب المغرب العربي، وكانوا مقسمين إلى عشائر متعددة وممالك صغيرة محلية، إلى أن جاء النور من الشرق العربي منذ ثلاثة آلاف سنة، وكما نعلم أن الفينيقيون عمالقة الحضارة القديمة ومخترعي الأحرف الهجائية، ومكتشفي أقطار العالم بواسطة مغامراتهم البحرية، واستقروا في سواحل المغرب العربي ولم يكونوا مستعمرين ولا فاتحين وإنما زوار مدينة[4]، هذا في ما يخص الفينيقيون[5] أما

---

[1]- أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص 23-24.

[2]- عرف تواجد اليهود في بلاد المغرب منذ القديم فوضع المؤرخون فرضيات تؤكد تاريخ بداية التواجد اليهودي في شمال إفريقيا، فذهب بعضهم إلى أن وصولهم في عهد سيدنا سليمان عليه السلام سنة (960-922)، وهناك من يقول أن تواجدهم في بلاد المغرب جاء وفق موجات متعاقبة منذ الفتوحات الإسلامية، فأتوا إلى المغرب بعد الاضطهادات التي تعرضوا لها ببلاد المشرق خاصة فلسطين، من طرف الرومان فانتقلوا إلى المغرب وخلال اتصالهم عمدوا إلى نشر الديانة اليهودية. للمزيد أنظر، هيكل أحمد الشحات، **يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية**، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، 2007، ص11.

[3]- أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص ص -189-203-232.

[4]- أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، النهضة، مصر، 2001، ص 45.

[5]- وهم قوم منسوبون إلى وطنهم فينيقيا، هم أمة سامية من ولد كنعان بن عمليق بن لاذين سام ابن نوح عليه السلام، كانوا بجزيرة العرب على الخليج الفاسي وانتقلوا إلى الشام، وبما أن الفينيقيون أمة تجارية ففي القرن 13ق.م زاحمهم اليونانيون في المشرق، فاستوطنوا البحر الأبيض المتوسط بسفنهم التجارية وأسسوا بجزره مراكز تجارية بصقلية والجزائر وسردينيا، كما=

عن القرطاجنيون وكما نعلم أن بلاد المغرب تعرضت لحدث غير مجرى تاريخه؛ وهو الأم أميرة فينيقية أسست مع جماعة من الأشراف مدينة جديدة في الشمال الشرقي من مملكة تونس، أسمتها (القرطة حدثت) بمعنى القرية الحديثة وهي التي أصبحت عند تحريفها قرطاجنة، هذه الأخيرة التي وطدت أركانها في كامل أطراف المملكة التونسية، ثم بسطت نفوذها على كامل المغرب العربي وبالأخص بلاد الجزائر وهي التي أنشأت بقطر الجزائر دولة نوميديا العظيمة[1].

أما فيما يخص نوميديا التي حاول ملوكها أن يجمعوا شمل كامل قطر المغرب الأوسط، فيما بين دولة موريطانيا (مملكة مراكش) ودولة، قرطاجنة (مملكة تونس) ونجحوا إلى حد بعيد في ذلك، فانتظمت الدولة الجزائرية وتوحدت لأول مرة في التاريخ، وهنا اصدم القطر الجزائري بدولة روما الناشئة التي أخذت تتحدى دولة قرطاجنة المترفة، ودخلت معها في سلسلة من الحروب الفظيعة التي دامت نحو المائة عام، ظهرت أثنائها شخصية أعظم قادة الدنيا على الإطلاق (حن بعل)، الاستعمار الروماني الذي خيم على البلاد بصفة قاسية، وانقسم تاريخ تواجدهم في المنطقة الذي دام 700 عام إلى خمسة أدوار؛ أما الدور الأول هو دور الحماية من خلال الاعتراف بمملكة نوميديا، والدور الثاني هو النزاع بين الوطنية النوميدية وبين الجيوش الرومانية، وأما الثالث انتهى أمر نوميديا ورضخت البلاد لسلطة روما القاسية، والدور الرابع اتفقوا على تسميته بعصر السلام الروماني، والخامس وهو الدور النهائي الطبيعي[2].

أما عن الوندال وهو الشعب الجرماني الذي هاجم بلاد اسبانيا واستقروا بها، وأصبحت تعرف باسمه (وندلوسيا) (الأندلس)، فما كاد ذلك الشعب يرى اختلال أمر الرومان بالمغرب حتى عزم على مهاجمته والاستقرار فيه، فانهارت تلك النظم الظالمة واستقر الونداليون بكامل البلاد، واكتفوا بحكمه حكما سطحيا فاستطاع الأمازيغ الأحرار استرجاع أرض آباءهم وأجدادهم، وفيما يخص الروم اللذين هم رجال القسم الشرقي من إمبراطورية الرومان الذي استقر في بيزنطة (استامبول)؛ هؤلاء رؤوا ما لحق بمستعمري الرومان في بلاد المغرب فأرسلوا جندا وأسطولا وافتتحوا البلاد من جديد، لكن الأمازيغ كانوا بالباب ولم يتركوا الاستعمار ينال

=أسسوا قرطاجنة على الخليج التونسي وأصبحت عاصمة الفينيقيين. للمزيد ينظر مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ص ص 131-132.

[1] – أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص 46.

[2] – **نفسه**، ص ص 49-51.

منهم فاكتفى الروم بإبعاد الوندال، وحكموا البلاد اسما إنما الأمازيغ كانوا أصحاب السلطان الحقيقي وأصحاب الأرض[1].

## 4- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792):

تحدث الكاتب في مؤلفه هذا على الجانب الثقافي، حيث أشار إلى أن التاريخ أثبت منذ القديم وجود الطباعة، والتي تعني إخراج نسخ عديدة من نص واحد بواسطة عملية آلية، وأن أول طباعة من هذا النوع وقعت في سومر ببلاد ما بين النهرين (العراق) قبل المسيح بنحو 28 قرنا، وكان الطبع يقع يومئذ بواسطة نقش النصوص بصفة ناتئة فوق صفحة من الحجر، ثم توضع فوقها على التوالي ألواح من طين، فتأخذ الأشكال المنقوشة ثم يجفف على النار فيصبح نسخ عديدة ترسل إلى الأمكنة النائية[2].

## 5-المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا:

تطرق في هذا الكتاب من الناحية السياسية باختصار عن الفينيقيون والإغريق والقرطاجنيون والرومان، حيث وصف الإغريق اللذين أتوا من الشرق بالنور الجديد، الذي بسط على صقلية شعاعه مع رجالها ذوي المدينة الزاهرة الزاهية، فاستوطنت جموع كثيرة منهم شرقي الجزيرة فعمروها وأنشئوا بها مدن شهيرة، مثل (سرقوسة) سنة 734 قرن قبل الميلاد، و(مسينا) في ذلك التاريخ أيضا واستمر نفوذ اليونانيين نحو مائتين عام إلى سنة 536 قرن قبل الميلاد، وتحدث في ما يخص قرطاجنة أنه قد تضائل شأن الإغريق بسبب التناحر والانقسام حول الحكم، فاشتعلت نيران الحرب الأهلية واحتلت قرطاجنة كل من جزيرتي سردينيا وكورسكا، وكان النزاع مستفحما بين الإغريق والفينيقيين في صقلية، فاغتنمت قرطاجنة الفرصة وجهزت أسطولها واستولت عن المنطقة[3].

---

[1] - أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 52-53.

[2] - **أحمد** توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)**، (د- ط)، البعث، الجزائر، (د- س)، ص ص 22-23.

[3] - أحمد توفيق المدني، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا**، (د- ط)، البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 33-34.

وذكر فيما يخص الحكم الروماني إلى أن الجزيرة أصبحت من ممتلكات روما، تابعة لها في حياتها الإدارية والاقتصادية، وأصبح تاريخها في ذلك العهد جزءا من تاريخ الإمبراطورية الرومانية نحو عدة قرون، وعندما انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شطرين؛ بيزنطية شرقية ورومانية غربية، كانت صقلية من نصيب الرومانيين الغربيين ونالها في عصر الانحطاط والفتن في الداخل، وتدهور في الأخلاق وانحطاط في النفوس وأخيرا السقوط تحت ضربات الشماليين[1].

### 6- حياة كفاح الجزء الثاني:

نجد المؤلف تعرض في مذكرته[2] هذه إلى الحياة الاقتصادية للقرطاجنة، من خلال وصفه لكتابه قرطاجنة في أربعة عصور قال أنه رغم الزراعة الرومانية الزاهرة، إلا أن ابن البلاد البربري المسكين كان أيام الدولة القرطاجنية يدفع لها ربع المحصولات، وذلك إن كان في ترابها الوطني وان كان في خارجه لا يدفع لها شيء، فأصبح البربري تحت سلطة روما لا يملك شبرا من الأرض، فجميع الأراضي الزراعية ببلاد المغرب أصبحت ملكا للرومانيين، حيث إنهم اغتصبوها رسميا من أصحابها وضموها إلى ممتلكات الدولة، فكان بعضها خاصا بالإمبراطورية وبعضها لأبناء الرومان[3].

## ثانيا: الفترة الفتح الإسلامي وعصر الدويلات

### 1- كتاب الجزائر:

تناول الكاتب في مؤلفه كل من دولة بني حماد والموحدين وبني زيان، فتحدث في الجانب الثقافي والحضاري فيما يخص دولة بني حماد على أنهم من أسسوا الدولة الجزائرية بحدودها الحالية وكانت بربرية بأتم معنى الكلمة، لغتها العربية ودينها الإسلام وعملوا على نشر التعليم بالغة العربية، أما عن الموحدين فأشار إليهم من الناحية الدينية فهم يعبدون الله ولا

[1] – أحمد توفيق المدني، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا**، (د– ط)، البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 38–39.

[2] – ينظر الملحق رقم (12)، ص 146.

[3] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص 163.

يشركون به شيء وهم موحدين في السياسة والاجتماع، وبشأن الدولة الزيانية فنجدها انقسمت إدارتها إلى قسمين، الأولى إدارة عسكرية والثانية إدارة مدنية[1].

طغى الجانب الديني في الفصل الرابع حيث تحدث عن العرب اللذين خرجوا للفتح والتوحيد، تحت شعار الآية الكريمة: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [2]، و﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[3]، وفي الفصل الخامس تحدث عن دولة تيهرت الرستمية وفي الجانب الديني أيضا، التي تأسست على المذهب الإباضي وهي أول دولة وطنية إسلامية، تأسست سنة 160 هجري، وبعدها كان ظهور الدعوة الشيعية تحت سلطة عبيد الله المهدي[4]، أما في الفصل الثامن تحدث عن الإدارة الأغلبية[5]، حيث كانت تحكم بين الناس بالعدل ولا تفرق بين العرب والبربر، فمن الناحية الاقتصادية كانوا يتقنون صناعات مختلفة وبذلك كانت زيادة في الأموال والثمر، كما كانت الحضارة في العصر الأغلبي من أزهى الحضارات الإسلامية ببلاد الجزائر، وفي الفصل التاسع تطرق إلى الإدارة الفاطمية من الناحية الحضارية في عهد المعز، ففتحت كل من مصر والشام وأسست مدينة القاهرة، وكان هدفها من ذلك بسط نفوذها على العالم الإسلامي، أما في الفصل العاشر تطرق إلى دولة مسيلة التي أصبحت عاصمة إسلامية كبرى وكانت عاصمتها مدينة المهدية[6].

وحمل (القسم الثالث) عنوان "خلاصة الحالة الأدبية والعلمية في البلاد الجزائرية من العصور القديمة إلى يومنا هذا"، فتحدث عنها من القديم إلى الفتح الإسلامي فتميزت هذه الفترة

---

[1]– أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص 163.

[2]– سورة البقرة، الآية: 256.

[3]– سورة البقرة، الآية: 190.

[4]– أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 26–29–31.

[5]– تأسست في 184 وسقطت في 262 فمدتها 112 سنة، وهي مرتبطة بالدولة العباسية وتستمد من أنظمتها ومعارفها وحضارتها، فلما جاءت الفتنة داخل البيت العباسي ظهر الأغلب بن سالم التميمي الذي ولاه ابن الأشعث على بلاد الزاب في سنة 148، وبالتالي فالدولة الأغلبية تابعة لبني العباس اسما مستقلة فعلا، وكان سقوطها على يد أبي عبد الله الشيعي. للمزيد ينظر، مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (د– ط)، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د– س)، ص 126.

[6]– أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 32–33–34.

بعلومها وآدابها ولم تكن يوما فاقدة لثروتها الفكرية، وذلك ابتداءً من البربر اللذين اخترعوا الأحرف الهجائية، أما عن الفترة الممتدة بين الدولة الرستمية والأغلبية مرورا بالسلطة الفاطمية ثم دولة بني حماد والموحدين، فنجد الرستميين اللذين أقبلوا على العلوم الإسلامية والأدبية خاصة علم الكلام، والبحث في المذاهب الإسلامية كما أسسوا مكتبة عربية إسلامية، أما الفاطميون اللذين اشتهروا بعلم الكلام والجغرافيا والتدوين، وبخصوص دولة بني حماد فقد جمعت وورثت من كل الدول الرستمية والأغلبية والفاطمية، من مدينة وعلوم وآداب، إلا أن رقيهم العلمي كان دون ذلك، والدولة الموحدين التي عرفت في فترتها حركة أدبية بظهور الشعر الملحون ونظم الموشحات، أما الدولة الزيانية فقد أصبحت تضاهي سمعتها القاهرة وبغداد وقرطبة، وذلك مما ورثته من رقي علمي وأدبي من الموحدين وملوك بني حماد[1].

كما فصّل الكاتب في ذكر جمع المناطق الجزائرية وتاريخها، فنجد على سبيل المثال تبسة المشتهرة بالآثار الرومانية وكانت تابعة للدولة الأغلبية والحفصية، فقد عرف عنها مراكزها الفلاحية والتجارية وبنسيج الزرابي والتطريز، كما ذكر كل من منطقة تيارت والقل ومستغانم وثنية الأحد ودلس وغيرها من المناطق، وقد تحدث عن هذه الأخيرة أنها كانت مدينة إسلامية ذات قيمة علمية وأدبية وفنية، وكانت تابعة لدولة بني حماد إلا أنها أصبحت محل نزاع بين الدولة الحفصية والزيانية ثم أخضعتها اسبانيا[2].

**2- هذه هي الجزائر:**

تطرق الكاتب في مؤلفه هذا إلى التوحيد الفاطمي فتحدث في هذه الفترة عن انقراض ثلاث دول في المغرب العربي، دولة "بني الأغلب" بتونس ودولة "تيهارت" بالجزائر ودولة "الادارسة" بالمغرب الأقصى، لتحل محلها دولة مغربية عربية واحدة هي دولة "الفاطميين الشيعية"، التي تأسست بالمغرب الأقصى وجعلت عاصمتها مدينة المهدية ووحدت المغرب العربي في دولة واحدة، وكان من مميزات هذا العصر التوحيدي الفاطمي بقطر الجزائر إن اتسعت تجارته نحو الجنوب ببلاد السودان، ونشأت علي سواحلنا الأساطيل البحرية التجارية

[1]- أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 99-102-109.

[2]- **نفسه**، ص ص 258-270.

والحربية، وأما من حيث العلوم والفنون والآداب فقد كادت البلاد تزاحم مملكة الأندلس، ونشأ ونبغ فيها في ذلك العهد أمثال ابن تميم[1].

فبعد انتقال خليفة الفاطميين المعز بدين الله الفاطمي إلى مصر فعهد بأمر المغرب إلى القائد بلقين ابن مناد الصنهاجي الذي أسس عدة مدن جزائرية، فتأسست بعد ذلك دولة بني حماد التي دامت 171 عاما[2]، لتعقبها دولة الموحدين[3] التي جاءت لتجمع الأمة في كامل بلاد المغرب على الهدى ودين الحق، فتأسست سنة 524 هجري وتم القضاء على دولة المرابطين في المغرب الأقصى، فعمّرت هذه الأخيرة أكثر من ثلاثمائة سنة وامتازت بأمرين: الأول وهو كثرة تهالك الأسر على الحكم والثاني قضاء الإسبان بصفة فضيعة على مملكة غرناطة هذا في ما خص الجانب السياسي[4].

أما الجانب الاقتصادي نجد في عهد دولة بني حماد كل من تجارتها وصناعتها واقتصادياتها مضرب المثل في الازدهار، وفي الجانب الثقافي فمن أشهر أعلام الأدب ورجال العلم وكبار الشعراء، اللذين ألفوا عدة كتب مثل: (البستان) لابن مريم، ومن المفسرين أمثال محمد ابن مرزوق، ومن المؤلفين أحمد ابن يحي الونشريسي ومحمد السنوسي والمقري صاحب ديوان نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ليأتي بعد ذلك نورا جديدا من المشرق لإنقاذ المغرب بواسطة الدين المحمدي، عن طريق الفتح الإسلامي من طرف عبد الله ابن سعد وعبد الله بن الزبير، فحاربا الروم وانتصرا عليهم ثم جاء عقبة بن نافع لتوطيد أركان الفتح، فاصطدم بالقومية الوطنية الأمازيغية التي لم تكن تريد الخضوع لأحد فوقعت معارك كبرى دامت وقت طويلا، لكن بمجيء الدولة الرستمية اتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية، ومما سجله التاريخ لأمة المغرب

---

[1]- أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر، المصدر السابق**، ص 57.

[2]- **نفسه**، ص ص 58-61-65.

[3]- عمّرت فيما بين (541-668هـ) أول داع لقيام هذه الدولة هو محمد بن تومرت، الذي عمل على نشر دعوته في بلاد المغرب بالتحريض ضد المرابطين، وكانت نهاية المرابطين على يد صديقه عبد المؤمن الذي تولى من بعده سنة 537هـ، ففكر هذا الأخير في توحيد المغرب والأندلس بعد أن أتم تنظيم شؤون مملكته، وبدأ في محاربة النصارى في الأندلس فانتصر عليهم وحقق بذلك توحيد كل من المغرب والأندلس. للمزيد ينظر، محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحماني، **المفيد في تاريخ المغرب**، (د- ط)، دار الكتاب، المغرب، (د- س)، ص ص 132-137.

[4]- أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر، المصدر السابق**، ص ص 54-55-56.

الأوسط أنها كانت أول أمة حققت استقلالها ضمن دائرة الإسلام، وكان نظام الدولة الرستمية نظاما محكما قائما على المذهب الإباضي، مقاما على الشورى وانتخاب الإمام ودامت هذه الأخيرة 136 عاما[1].

**3- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا:**

لقد تعرض المؤلف في كتابه هذا من الناحية السياسية إلى بداية طلائع الفتح الإسلامي تبسط أنظارها على الأرض توجهت أنظار الفاتحين إلى صقلية، وبدأ دخول في دين الله والجهاد في سبيله، فعقد موسى ابن نصير لوائها لابنه عبد الله، فنزل بأرض صقلية ودحرى قوى الروم وكانت هناك غزوات متعددة، قادها عبد الله ابن الحبحاب وحبيب ابن أبي عبيد الله ابن عقبة ابن نافع، وكان من أسباب العزم على الفتح بصفة قارة مستعمرة، السبب الأول هو تمهيد السيل لفتوح البلاد الأوربية من الوسط، حيث أخفق المسلمين عليها من ناحية الشرق عند جدران القسطنطينية، كما أخفقوا من الغرب كذلك، أما السبب الثاني الرئيسي لهذا الفتح هو محاولة قطع دابر القرصنة البيزنطية الرومية، وقد زاد هذين السببين سبب ثالث هو رغبة الملك الأغلبي في قطع دابر الفتن الداخلية والثروات التي تجتاح البلاد، واستطاع المسلمون أن يحتلوا كامل الجنوب الصقلي فقد سهلوا بذلك على أنفسهم تموين الجند ووصول النجدات إليهم من الأرض الإفريقية، فحفروا خندقا عظيما يمنع خروج جنودها للمهاجمة[2].

ولقد تطرق المؤلف في (القسم السادس) من هذا الكتاب إلى تاريخ تأسيس الدولة الفاطمية التي يعتبر عهدها عصر الاستقلال الذاتي، ثم عاد المسلمون إلى الجهاد وفتح (طبرمين)، وقد حل بالمسلمين الفتن والشقاقات والخلافات وتقاعس أهلها على دفع الجزية لهم، فما كان من المسلمين إلا مهاجمتهم ودام الحصار سبعة أشهر فتمكنوا منها، وأطلق عليها اسم المعزية نسبة إلى المعز الفاطمي[3]، وجرت بين الفاطميين[4] وجيش الروم حرب كان الفريقان

---

[1] – أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر، المصدر السابق**، ص ص 54-55-56.

[2] – أحمد توفيق المدني، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا**، المصدر السابق، ص ص 69-71-72.

[3] – **نفسه**، ص ص 79-72.

[4] – هم من أبناء علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما، وقد كان الصراع على أشده مع العلويين فأصبح كل واحد منهم يرى في نفسه أحق بالزعامة باعتباره من نسب شريف، وبعد قيام الفاطميين بجهود كبير توجوا بذلك قيام دولتهم في بلاد المغرب سنة (297هـ- 909م)، فقامت على أساس الفكر الشيعي الإسماعيلي، وكانت أنظارهم متوجهة إلى المشرق ونحو مصر باعتبارها مركز العالم الإسلامي، فقد عمل الفاطميون على القضاء عن الخلافة العباسية، وكان لهم ذلك وانتقلت الخلافة=

يعلمان أن نتائجها ستكون إما خسارة صقلية وجنوب ايطاليا نهائيا، وانقطاع أمل الروم بصفة باتة هناك، أو تقلص ظل المسلمين وانهيار سلطانهم نهائيا في البلاد الأوروبية وجزيرة صقلية، لكن بعد تلك المعارك استطاع المسلمين رغم قلتهم على جيش الروم وذلك بقوة الإيمان[1].

ولقد تطرق الكاتب إلى الجانب الاقتصادي لصقلية عند مجيء العرب، من حيث الزراعة نجد أول ما اهتم بها العرب فأدخلوا على المنطقة غراسة القطن، وقصب السكر والزيتون، وأحدثوا في سبيل خدمة الأرض قنوات الري، أما الصناعة فقد استغلوا ثروات البلاد الطبيعية من فضة وحديد ونحاس وكبريت الرخام، وأدخلوا على الجزيرة صناعة الحرير وفن صباغة الثياب، والتجارة فقد كانت من قبلهم ليست لها قيمة وأصبحت بفضلهم واسعة النطاق، ودليل ذلك ما كانت تتقاضاه (الديوانية) من مكوس على الصادرات والواردات في عهدهم، من الناحية الحضارية تحدث العمران والآثار في صقلية، حيث لم يبقى من آثار المسلمين إلا (قصر العزيز) و(قصر القبة)، وقد تحدث الرواة ووصفوا أبهة وفخامة قصور ما أبدع المسلمين من عمران[2].

ونجد في الجانب الثقافي في تلك الفترة التي عاشها المسلمون في ربوع صقلية، ازدهرت العلوم والفنون والآداب رغم ما عاشته المنطقة من فتن وحروب، فكانت المساجد والجوامع تقوم مقام المدارس الثانوية والعليا، وكانت الكتاتيب القرآنية المنتشرة انتشارا غريبا لتثبت التعليم الابتدائي العربي الديني، لتصل إلى تأهيل الأطفال للوصول إلى المعارف العليا في صقلية نفسها، أو ببلاد إفريقيا أو الأندلس أو الشرق[3].

فلما استولى المسلمون على "دمياط" اشتدت نقمة المسيحيين عليهم، وهنا ثارت ثورة التعصب المسيحي فاستطاع رجال الكهنوت استرجاع نفوذهم وسلطانهم، وقاموا برد الفعل حيث أخذوا يمعنون في تتبع الكفار والتنكيل بهم، ونال المسلمون من ذلك جانبا عظيما فبدأ المسلمون

=الفاطمية إلى مصرفي عهد المعزبدين الله الفاطمي سنة (358هـ-969م)، للمزيد ينظر، عبد الرؤوف جرار، **سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع**، (د- ط)، جامعة القدس، فلسطين، (د- س)، ص 120.

[1] - أحمد توفيق المدني، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا**، المصدر السابق، ص ص 157-158-160.

[2] - **نفسه**، ص ص 221-222-223.

[3] - **نفسه**، ص 216.

يغادرون صقلية فلم يبقى منهم إلا القليل، وكانت دولة الموحدين التي تركت بذرتها الطيبة وهي دولة بني حفص، التي ضمنت للمسلمين حقوقهم ودينهم لكن سرعان ما تكالب المسيحيون وطغيانهم والتضييق عليهم مرة أخرى، حتى استسلموا ولجئوا إلى البحر ليأخذهم إلى الأرض الأفريقية، كما أخرجوا كل من بقى من المسلمين في جزيرة مالطة[1].

وفي ما يخص الجانب السياسي من الناحية الإدارية فإنه بعد ما أتم المسلمون فتح صقلية، بدئوا فيها بعصر التنظيم والترتيب ولق كانت الجزيرة مقسمة منذ عهد الفينيقيين إلى ولايتين: سرقوقة وبالرمة، لكن العرب قسموها إلى ثلاثة ولايات وكان لكل والٍ من الولاة في هذه الأقاليم تحت إمرته طائفة من القواد يحكمون النواحي أما القضاء فكان المفتي وهو القاضي ينتصب في مدينة بالرمة، وفي كل مدينة من المدن كان يوجد بها قاض وكاتب، وعن الجباية والديوان وكان في كل مدينة يوجد مستخلص للضرائب والعشور، وهناك بالرمة مجلس أكبر يدعى الديوان من خصائصه ضبط أموال الدولة وفحص الحسابات العامة، أما عن المسيحيون الصقليون فإنهم يتمتعون في كل ما ليس له مساس بالصالح العام، بقوانينهم الدينية والمدنية ولهم كذلك حق الحكم في ما بينهم، ومن الجانب الديني فقد احتفظ المسيحيون أيام سلطان المسلمين بقوانينهم وعاداتهم وحرية معتقدهم[2].

## ثالثا: الفترة الإسبانية والعثمانية

### 1- محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791) سيرته وحروبه وأعماله ونظام الدولة والحياة العامة في عهده:

تطرق الكاتب في (القسم الأول) لمؤلفه هذا إلى "خلاصة عن الولادة والحوادث في العصر التركي وكان ذلك بين سنتي 1551-1830)"، فتحدث عن الظروف التي على إثرها ولدت أرجل الأتراك في منطقة الشمال الإفريقي، عقب استيلاء الإسباني عليها وتراجع الدول الثلاثة فيها، الأولى (الحفصية) في تونس والثانية (بني مرين) في المغرب والثالثة (بني عبد

[1] - أحمد توفيق المدني، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا**، المصدر السابق، ص ص217-218.

[2] - **نفسه**، ص ص 220-221.

الواد) في تلمسان، وفي ظل هذا التراجع عملت القوة الإسبانية على الاستيلاء على الشمال الإفريقي بعد نكبة الأندلس ونشر الدين المسيحي، وفي هذه الأثناء ظهرت القوة التركية[1].

فتحدث الكاتب من الناحية السياسية تقسيم فترة حكم الأتراك في البلاد إلى خمسة أدوار، الدور الأول وهو عصر الفتح وتمثل في بابا عروج وخير الدين من (1512-1546) ودام 34 عاما، أما الدور الثاني وأطلق عليه حكم الولادة البايلر باي (باي البايات) من (1546-158) ودام 41 عاما، والثالث وهو الباشوات الثلاثين (أي لمدة ثلاثة أعوام ) من (1587-1659) دام 72 عاما، أما الرابع وهو حكم الأغوات من (1659-1671) ودام 12 عاما، والخامس والأخير وهو حكم الدايات من (1671-1830) ودام 160 عاما، وكان مجمل فترة حكم الأتراك للقطر الجزائري 319 عاما[2].

وخص القسم الثاني الذي جاء بعنوان "سيرة الداي محمد عثمان باشا عن مذكرات نقيب الأشراف بالجزائر"، حيث أعطى الكاتب تعريفا مفصلا عن هذه الشخصية أصوله وولادته وذكر في هذه الأخيرة: " ولد حوالي 1781 بمدينة الجزائر، وتفقه بها وأخذ العلوم عن فحول رجالها، ثم خلف المرحوم المبرور والده الحاج علي على نقابة الأشراف"، حيث كان محبا للجهاد مستعدا دائما له كما ذكر حروبه، فخاض حربا مع الدانمارك وانتهت بالصلح وثلاث حروب مع الإسبان وانتهت الأخيرة بالصلح، وكانت نتيجتها خلاص الأسرى المسلمين من أيدي النصارى الإسبانيول، وعن ولايته فعند مرض علي باشا جمع وزرائه وأوصاهم بولاية محمد باشا وكان ذلك، أما سيرته كان محبا للعدل والانصاف ملتزما لأحكام الشريعة، كان محبا للجهاد وينتصر في كل حرب، أما عن زواجه فقد تزوجت العلجة التي خلفها علي باشا فبات ليلة واحدة ومن الغد طلقها وقال: " أنني تزوجت لئلا أموت عازبا وأحشر شيطانا "، وعن أعماله فقد بنى عدة أبراج للجهاد (برج سردينيا وبرج الجديد وبرج رأس عمار)، وهو أول من صنع النجور وهي مراكب الحرب، وأعاد بناء المسجد العتيق وجدده[3].

---

[1] – أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، المصدر السابق، ص 21.

[2] – **نفسه**.

[3] – **نفسه**، ص 102.

وعن نظام الدولة والحياة العامة في عهده كان هناك الجهلة، اللذين لا يعرفون الإسلام وكان هناك من يتبع الكتاب والسنة، كان فيهم من يقطعون الطرقات على السافرين ويمنعون البنات من الإرث، ومن مات منهم فإن أخاه أو ابن عمه يرث زوجته، فما كان من محمد باشا إلا أن يبعث لهم محلة لمقاتلتهم سنة 1181، فهزموا الأولى والثانية إلى أن بعث لهم سبعة أمحال أي فرق عسكرية فطلبوا الأمان وادعوا التوبة، كما تميز عهده بكثرة الخلافات بين الآغا والباشا، وغلاء القمح ووقع القحط أي جوع الناس مما أدى إلى الموت في بعض الأحيان[1].

وفي ما يخص الإدارة في عهده فوجب ترتيب الدنوش التي تعني المحاسبة على الضرائب، ويقوم بها الخلفاوات وهو خليفة الباي الذي يأتي إلى الجزائر مرتين في السنة لمحاسبة الدولة، وكل ثلاثة أعوام يقدم الباي بنفسه ولا يقدم معه الخليفة، ويجب على الباي تقديم الهدايا للملك وقد تكون دراهم أو خيول أو عبيد أو ذهب أو سمن أو الجوز، وتختلف هذه الهدايا بالاختلاف مراتب الإدارة، كما كانت هناك هدية الخزناجي وعوائد الباشكاتب والكاتب وخوجة الخيل وكانت تتم في أوقات معينة[2]، كما تحدث الكاتب على سلطة كل من الآغا[3] وخوجة الخيل، وأما في ما يخص وفاة محمد باشا وولاية حسن باشا بعد مرض الأول، ولما أشرف عن الهلاك تكلم علي برغل خزندار مع الخزناجي حسن، أنه إذا توفي الباشا فإنه يرسل خليفة ليقدم إلى دار الإمارة ويتولى باشا، فبموت الأمير بايع أهل الحل والعقدة حسن باشا ولبس الخلعة، وأطلقت المدافع ونادى مناديه في الأسواق بموت الأمير وتولية حسن باشا[4].

وبالنسبة إلى تذييل مذكرات نقيب الأشراف، كان محمد باشا من أبرز الشخصيات الحاكمة في الفترة العثمانية، وقد برز في عهده كذلك بطلين هما صالح بن مصطفى باي قسنطينة في الولاية الشرقية، ومحمد الكبير بن عثمان باي وهران في الولاية الغربية، وقد قدم

---

[1]– أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، المصدر السابق، ص 105.

[2]– **نفسه**، ص ص 110–117–130.

[3]– وهي كلمة تركية من المصدر "أغمق" ومعناه الكبر وتقدم السن، وقيل أنها من الكلمة الفارسية "أق" وتطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة، وقيل أنها من أصل منغولي وتعني كبير وشريف ورئيس، ولقب بالآغا رئيس الانكشارية، وقد عرف هذا اللقب في مصر في العصر المملوكي، حيث كان الأغوات يشرفون عن تربية خدم الطباق أو الحاشية. للمزيد ينظر، مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية من الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات (1517–1924م)**، **(د– ط)**، دار غريب، 2000، ص ص 173–174.

[4]– أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 133–141.

حياة وأعمال هذين الشخصين بالتفصيل، حيث أعطى تعريفا واضحا لصالح باي بداية من مولده ونشأته وشهرته وتعليمه، وأعماله حيث قام بضم بلاد ميزاب وتقرت وبني جلاب وأخضع المرابطين، أما محمد الكبير ذكر كذلك نشأته وتعليمه وسياسته وما أبداه من صلابة في محاربة الإسبان بوهران[1].

أما فيما يخص (القسم الثالث) الذي جاء بعنوان "مقتطفات من دفتر التشريفات الرسمي سجل فيه عهد محمد عثمان باشا"، فجاء ذلك في قول الكاتب عن تعريف الدفتر: "ويعني (دفتر التشريفات) وهو اسم السجل الرسمي الحكومي، الذي كانت الإدارة التركية الجزائرية ترسم فيه أعمالها ومذكراتها وما تقرره من نظم وقوانين، وهو سجل محفوظ في خزائن الباشاوات ويتولى الباشكاتب تسجيل ما يستحق الرسم فيه، فهذا السجل يعتبر من أغرب الوثائق المتعلقة بتاريخ بالعصر التركي الجزائري"[2].

فذكر الكاتب في هذا الدفتر بالتفصيل الهدية الأولى المقدمة للباشا[3]، إضافة إلى هدية استانبول للباشا وهدية ثانية لسلطان استانبول، وهدايا أخرى من استانبول للجزائر وأخرى انكليزية، وكانت الهدايا مذكورة في موعد بعثها وقيمتها والمشرف عن بعثها، وتحدث في الجانب الاقتصادي عن توزيع الغنائم وقيمتها وتجارة الملح، وعن خزينة الدولة وسك النقود وصناعة الحديد للدولة والسفن والمدافع، إضافة إلى شراء المدافع من الانكليز[4].

وفي (القسم الرابع) الذي جاء تحت اسم "مقتطفات من مذكرات فونتيردى بارادى المتعلقة بهذا العصر"، تطرق الكاتب في هذا القسم مولد ونشأة كاتب هذه المذكرات، وقد عمل توفيق المدني على تعريبها حيث تعرض إلى الجانب الاقتصادي، إلى كل ما يتعلق به المخزن في الجزائر من الداي والديوان، فتطرق بذلك إلى وصف مالية ولباس ونساء محمد بن عثمان باشا،

---

[1]– أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، المصدر السابق، ص142.

[2]– **نفسه**، ص ص 149.

[3]– وأصل المصطلح (باي شاه) ففي الفارسية معناها قدم الملك، وبالتركية (باش) رأس أو طرف أو قمة أو زعيم أو قائد، وباشا هي صيغة مخففة لكلمة (باشكال) ومعناها حاكم عسكري، وأول ما ظهر هذا اللقب في القرن 8هـ–14م، وكان علاء الدين أخو أورخان بن عثمان أول من لقب بلقب الباشا. للمزيد ينظر، مصطفى بركات، **المرجع السابق**، ص ص 80–81.

[4]– أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 161–164.

كما ذكر المحاكم والمساجد في عهده، ولقد وجد في الجزائر على عهده 12 مسجدا، وعدد كبير من المساجد المتخصصة في مذهب مالك ابن انس مثل الجامع الكبير[1].

إضافة إلى ذلك ذكر عادات أهل الجزائر مثلا أوقات تناول الوجبات الغذائية الفطور والغداء والعشاء، والجنائز والودائع العمومية والعقود والالتزامات وهي كل ما هو ممضي بين طرفين من كتب بشهادة شاهدين، وأيضا فيما يخص الحياة الاقتصادية من صناعة وتجارة، فمدينة الجزائر تصنع أقمشة من الكتان وحاشيات من الحرير، كذلك الشاشية والجلود والتطريز والأحذية والزرابي والبرانيس، أما الزراعة فهي تصدر القمح والشعير والخضر والزيت والشمع والصوف والجلد[2].

كما أشار إلى الرايس الذي يعينه الداي ويعلم بذلك وكيل الخرج وعوائد القرصنة، أما في ما يخص الأسير الذي يمكن أن يصل بسيرته الحميدة إلى درجة كاتب في البحرية أو كاتب سجن، وعن افتداء الأسرى فلا يجوز لأحد سواء كان تركيا أو عربيا أو مسيحيا، أن يغادر القطر الجزائري دون ترخيص له في ذلك، وعن الجانب الإداري حيث ذكر في هذا أعضاء الحكومة في الجزائر منهم الداي محمد عثمان باشا، والخزناجي حسن ومحله آغاسي وأغا المحلة علي، وأعضاء الديوان هم اللذين يعينهم مجلس الدولة والحياة الإدارية هي حياة جد وعمل وكل أحد من رجال الإدارة لا يشتغل إلا بعمله فقط[3].

## 2- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792):

نجد المؤلف تحدث في مؤلفه هذا عن الحرب الإسبانية الجزائرية، فمن الجانب السياسي تطرق إلى بلاد الأندلس وما فعلته اسبانيا التي حطمت آخر مماليك المسلمين فيها، بينما كان نجم الدولة العثمانية يعلو فوق القارات الثلاثة أوروبا وآسيا وإفريقيا، وبينما كانت أوروبا تضع الأسس المتينة لحضارة جديدة بعد أن ورثت المسلمين، وبداية نهضة اقتصادية عظيمة والاكتشافات التي غيرت مجرى التاريخ، كان المغرب مقسما إلى ثلاث دول دولة (بني حفص) في تونس وطرابلس والشرق الجزائري، ودولة (بني زيان) بالوسط والغرب من أرض الجزائر

[1]- أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، المصدر السابق، ص 170.

[2]- **نفسه**، ص ص 172-173-174.

[3]- **نفسه**، ص ص 181-183.

ودولة (بني مرين) بالمغرب الأقصى، كما بدأت الانقسامات تدب في هذه الدول الأخيرة والحروب الداخلية، ومظاهر الانحطاط والتدهور، ذلك مما جعل الاستعمار المسيحي يتطلع إلى هذه المنطقة والبداية كانت بمدينة (تيطوان) في سنة 1400 فأخذتها وحطمتها، ثم تطاولت البرتغال عن مدينة (سبتة) سنة 1415[1].

ونبقى مع الجانب السياسي حيث بدأ احتلال المرسى الكبير لما عزم الملك فريدناند والكنيسة الكاثوليكية عن احتلال المغرب الأوسط وجلاء مسلمي الأندلس، فجاءت حامية الإسبان المكونة من خمسة آلاف جندي لطرد المسلمين من الأندلس، فلم يستطع سكان المنطقة المواجهة لان عددهم قليل، فبدؤا المسيحيون بتفتيش عن الأموال والذخائر التي يكون قد تركها المسلمون ورائهم، لأنهم أجبروا على أن لا يأخذوا شيء مما يملكون، فلما تم الاستيلاء عن المرسى الكبير أعلنوا فيها العيد[2]، وما إن تمركز الإسبان في المنطقة فتحوا فيها سوقا تجاريا لتزويد حامياتها بالمواد الغذائية، وبدأ الإسبان التوسع لكن استطاع المسلمون الانتصار في مسرغين بفضل الجو الذي كان يسوده الضباب فلم يستطع الإسبان استعمال أسلحتهم، فأخذ المسلمين الغنائم والأسرى وجندوهم في الحرب[3].

ومن حسن حظ المسلمين أن خرج الإخوة عروج وخير الدين[4] حاملين راية الإسلام مجاهدين في سبيل الله، وكان ذلك في عهد السلطان سليم العثماني فبعثوا له الإخوة الهدايا وأعلموه بما فعلوه من أجل الإسلام والمسلمين وتطهيرهم من الصليبية الإسبانية، فقبل السلطان هذه الهدية وقرر أن يرسل الإعانة لإخوة المجاهدين في سبيل الإسلام، فبعث كميات من

---

[1] – أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا**، المصدر السابق، ص ص 64-65-66.

[2] – **نفسه**، ص ص 96-97-98.

[3] – **نفسه**، ص ص 101-106.

[4]– هما من أب روميلي وأم مسيحية فأنجبا أربعة أبناء إلياس واسحاق وعروج والخضر(خير الدين)، وكان عمل الوالد صناعة الخزف والأواني، فاشترى سفينة لان عمله يتطلب ذلك وأسند مهمة القيادة إلى عروج وإلياس لكن الخضر اشتهى ركوب البحر، وبدأت رحلة الأخوين فيه وقد وجد الخضر الفرصة مواتية عند الصراع القائم بين الأخوين سليم الأول وقرقود، فالتحق خير الدين بصفوف سليم الأول والتقى مع أخيه في جزيرة جربة، وهنا أدرك الأخوين أن بلاد المغرب بحاجة إليهم، فوضعوا أنفسهم تحت تصرف السلطان الحفصي، وفي هذه الأثناء تصادموا مع مأساة الأندلس. للمزيد ينظر، مبارك بن محمد الهلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (د- ط)، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص ص 33-34.

الأسلحة والعتاد الحربي والسفن، وبهذا بدأت العلاقات الودية الجهادية الهادفة بين الجانبين العثماني والجزائري[1].

فبعد فترة من الجهاد بلغ أهل تلمسان مدينة الجزائر بفاجعة استشهاد الملك عروج، فعرضوا الإمارة على أخوه خير الدين من بعده لكن لم يوافق في بادئ الأمر، لكن أقنعه العلماء بالبقاء وبهذا أصبحت الدولة الجزائرية جزءا من الإمبراطورية العثمانية، ولم يتأخر السلطان بالرد فوافق على أن تشمل الدولة العثمانية الجزائر برعايتها، وتكون مشاركة معها في الدفاع ضد المسيحية، وأضفى على خير الدين لقب (البيلرباي) وتعني أمير الأمراء[2]، وأرسل أسطول إسلامي يحمل المتطوعين الأتراك والعتاد والسلاح، ونزل الأسطول على ساحل باب الوادي مستعدا إلى مجابهة حملة الإمبراطور شارلكان.

وتعتبر مرحلة حسان باشا بداية للعلاقات الجزائرية الفرنسية، حيث كانت سياسته تقوم على ثلاثة أمور: الأمر الأول هو جمع وحدة البلاد وتحصينها من أي احتلال، والثاني استرجاع المدن الجزائرية التي احتلها الإسبان بالخصوص بجاية ووهران، والأمر الثالث بعد تطهير وهران أن يعمل على إنقاذ ما تبقى من مسلمي الأندلس، وعمل بهذه الأمور الثلاثة ولما بدأ يعد العدة لتحقيق مشاريعه جاء إلى الجزائر السفير الفرنسي[3].

وعرض على حسان باشا إعانة الدولة الفرنسية لكنه رفض، فذهب السفير الفرنسي إلى استامبول وكان واسع النفوذ مسموع الكلمة، فكلم رجال الديوان السلطان في الأمر، وقال إن هذه السلطة الواسعة المطلقة التي أعطتها الدولة العثمانية لحسان باشا، فهو يحاول توسيع ملكه وسلطته ويوشك أن يحطم وحدة الدولة العثمانية ويهدد كيانها بالانقسام، وهنا قرر الديوان دعوة حسان باشا لاستامبول ليعرب على حقيقة سياسته، وهكذا غادر هذا الأخير مدينة الجزائر مؤقتا وخلفه على الكرسي صالح رايس، ومن الناحية الاجتماعية تحدث الكاتب على الأعراب اللذين يقطنون وهران والمرسى الكبير الخاضعين لإسبان، فهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول وهم قسم (الدواوير النبيلة) ويطلقون على رجال (فرسان المملكة) في وهران، والقسم الثاني

[1]– أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا**، المصدر السابق، ص 172.

[2]– **نفسه**، ص 197.

[3]– **نفسه**، ص ص 198–331.

(الدواوير المنحطة والمستضعفة)، وأخيرا قسم (الدواوير المختلطة) تجمع جماعة من هؤلاء وجماعة من أولئك[1].

ونجد العرب من الدواوير النبيلة، ويدفع شيوخ هذه الدواوير الجزية فيأخذ بذلك له ولدواره الأمان، والقبائل التي تسكن المنطقة الإسبانية محددة الميول والسلوك فمنها الخبيث ومنها الطيب فمن قسم الطيب؛ أولاد عبد الله وأولاد قلطة والغرب وقد اشتهر عنهم أنهم من الرجال المسالمين، أما القسم الخبيث؛ قبائل الطرادة وأولاد زعير وحميان فقد كانوا محسوبين من جماعة الخونة، وجماعة سويد كانت تعتبر من أنصار اسبانيا، وجماعة بني راشد لم تكن أبدا من الجماعة المسالمة، كانت تشتمل على لصوص يحبون القتال ويستحيون دائما لكل من ينادي بالجهاد ضد النصارى[2].

وتحدث من الناحية الثقافية عن الشعر الشعبي في الجزائر أيام الاحتلال الإسباني، فمثلا ما أنتجه الشعراء من شعر لاستفزاز وتحريض على فتح وهران وإنقاذها، وعن منقذها من الأيادي الإسبانية، فمن الشعراء اللذين برزوا في هذه الفترة أمثال: أبي عبد الله محمد المعروف بابن يوسف الجزائري، ومحمد بن محمد بن علي بن سيدي المهدي الجزائري[3].

ونرجع إلى الناحية السياسية حيث تحدث عن تبادل الأسرى، حيث اتفق كل من الجزائريين والإسبان على تبادل الأسرى سنة 1768 الموجودين عند الجانبين، واشترط الجزائريون أن تطلق اسبانيا جميع ما لديها من أسرى، مقابل أنها تستطيع افتداء الأسرى الإسبان اللذين بالجزائر وهكذا أطلقت اسبانيا سراح 1200 أسير مسلم، وأطلق الجزائريين سراح 712 أسير اسباني مقابل مال جزيل، وأعيدت نفس الاتفاقية سنة 1773 واشترطت الجزائر فك أغلال أسيرين مسلمين مقابل إطلاق الجزائريين سراح 570 أسير من الإسبان [4].

---

[1]– أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا**، المصدر السابق، ص ص 333–334.

[2]– **نفسه**، ص 334.

[3] – **نفسه**، ص ص 466–467.

[4] – **نفسه**، ص ص 509–510.

## رابعا – الفترة الاستعمارية الفرنسية:

### 1- كتاب الجزائر:

تناول مؤلف في هذا الأخير "العلائق مع فرنسا"، التي كانت أغلبها اقتصادية وذلك بتخصيص الجزائر لفرنسا كمية من قمح البلاد فكانت العلاقة ودية، حيث تطرق فيه صاحبه إلى العنوان خلاصة تاريخ الجزائر من الاحتلال إلى اليوم: فتحدث في (فصله الأول) من الناحية الاقتصادية عن بداية الخلاف بشأن القرصنة الجزائرية التي كانت سفنها قد توجهت إلى المشرق، حيث اغتنمت فرنسا الفرصة في وإيجاد خلاف لإعلان الحرب، فتمثل ذلك في خلاف الجنرال دوفال مع حسين باشا عن مسألة ديون البكري وبوشناق وهم تاجران يهوديان فتم إعلان الحرب على الجزائر[1].

كما تطرق إلى الجانب السياسي عن دولة الأمير عبد القادر الهاشمي، وكيف تمت مبايعته من ناحية الغرب أما من الناحية الشرقية لقسنطينة اِلْتف الشعب حول الحاج أحمد باي، ونجد أكبر غلطة قام بها الأمير وهو التعاقد مع جنرال فرنسا، فحين نكث الأمير العهد كانت بداية الحرب مع فرنسا فعملت على تحطيم سلطة الأمير[2].

ومن الناحية السياسية تعرض المؤلف إلى الإدارة والاستعمار من عام (1830 إلى 1870) حيث تم إنشاء مكتب المغرب العربي الذي مهمته إعداد كل ما يتعلق بالأهالي من ترجمة المكاتيب والوثائق، كما تطرق للإدارة الأهلية التي تزامنت وهذه الفترة مع إعلان الجزائر أرض فرنسية سنة 1848، وفقد تحدث الكاتب عن الإدارة الاستعمارية من عام 1970 إلى 1914، نجد من الجانب الديني ظهور الكاردينال لافيجري أسقف الجزائر الذي تكفل باليتامى وتربيتهم في الكنيسة الكاثوليكية[3].

وأشار إلى الإدارة الفرنسية سنة (1914 إلى 1931)، من الناحية الاجتماعية تحت بطش القوانين الأنديجينا والضرائب الفادحة نال الجزائريون وعودا كثيرة في ظل الحرب العالمية

---

[1] – أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص 53-60.

[2] – **نفسه**، ص 67.

[3] – **نفسه**، ص ص 79-82.

الأولى، وانتهت الحرب بالنصر للفرنسيين وفي عام 1919 اكتفت فرنسا بإصدار قوانين لتحسين حالة المسلمين بإزالة أحكام الأنديجينا كما وسعت حقوق الانتخابات، ومن الجانب الثقافي واصل التعليم دروسه في المساجد والزوايا إلا أن الحالة العلمية تدهورت بسبب الحرب والاحتلال وهجرة العلماء[1].

وتعرض الكاتب إلى المدن الجزائرية أيام الاحتلال الفرنسي، فذكر كل من منطقة بجاية التي احتلت من طرف فرنسا التي هاجمتها على يد الدوق دومال الذي استولى عليها وترك بها حامية، إلا أن أهل المنطقة أزاحوا هذه الحامية لكن أعادت فرنسا احتلالها مع منطقة الزيبان والزعاطشة، ومنطقة الحراش التي تعد أيام الفترة الاستعمارية المرتكز الديني حيث يوجد بها المقر الرسمي للآباء البيض، وهم أشد رجال المسيحية على رأسها الكاردينال لافيجري، هذا الأخير الذي خصص الآباء البيض لنشر الدين المسيحي بين الأوساط الإسلامية في إفريقيا، كما تطرق إلى منطقة سيدي بلعباس التي كانت مرتكزا لفرقة اللفيف الأجنبي الفرنسي والأهالي، وطولقة التي تعتبر مرتكز الزاوية الرحمانية، وغرداية التي يسكنها الأغلبية اليهودية، حيث لما أعلنت فرنسا تجنيس اليهود لم تشتمل هذه البلاد، لأنها كانت تابعة لفرنسا بل هي بلاد حماية، وتعد منطقة غيليزان في الفترة الاستعمارية مدينة ذات قيمة فلاحية كبيرة، فهي شديدة الحرارة صيفا ووافرة المياه[2]، وبها أشجار وبساتين مثمرة ونالت شهرة كبيرة لاكتشاف آبار النفط فيها، أما عن منطقة معسكر لما اجتمعت كلمة العرب حول الأمير عبد القادر[3]، فاتخذ معسكر عاصمة له وتحصن بها، فتعرضت للحرق من طرف الجنرال كلوزيل، لكن الأمير أعاد بناءها وضرب فيها النقود باسمه ونظم هو الإدارة بها تنظيما متقنا، ومع الجانب السياسي أيضا تحدث توفيق المدني على الحكومات المركزية والإدارات العامة في الجزائر[4].

---

[1]– أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا**، المصدر السابق، ص ص 89–119.

[2]– أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 248–269..

[3]– هو عبد القادر ناصر الدين الابن الرابع لعبد القادر محي الدين، ولد في شهر ماي 1807 في قرية القيطنة على ضفة وادي الحمام في منطقة اغريس التي تقع في إقليم وهران في الجزائر، ويعتبر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، توفي في 1883. للمزيد ينظر، شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، تر: أبو القاسم سعد الله، (د–ط)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 39.

[4]– أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 274–280.

فتعرض إلى الحكومة وإدارتها التي تتمثل في حق التشريع وتاريخ الولاية العامة والوالي العام ومجلس الحكومة، أما عن إدارتها فتضم الإدارة العامة والحربية والبحرية والتعليم العام والبريد والمالية، أما المبحث الثاني فتضمن إدارة العمالات حيث تختلف هذه الأخيرة عن التي في فرنسا، فالعمالات في الجزائر هي عمالة إدارة فقط، كما أشار إلى البلدية التي هي الوحدة الحقيقية في النظام الإداري في الجزائري، والبلديات العاملة والقياد والبلديات الممتزجة والبلديات الأهلية، وعن المبحث الرابع فضم إدارة أراضي الجنوب وهي ذات حكم أو أرض عسكرية موضوعة تحت نظر الوالي العام المباشر[1].

وتطرق المؤلف إلى التعليم العام في الجزائر وخص به الجانب الثقافي، حيث ضم التعليم الرسمي والابتدائي والثانوي والتعليم العالي، هذا بالنسبة للتعليم الفرنسي أما الجزائري فيتكون من التعليم الابتدائي العربي والتحضيري والتعليم الثانوي والعالي، وأما التعليم العربي الحر فلولاه لانعدمت اللغة العربية والإسلام، كما كان هناك التعليم الفلاحي والصناعي والتجاري، وختم هذا الفصل بحث الأمة على الاهتمام بالمدارس القرآنية والمدارس المفتوحة[2].

وفي ما يخص القسم (الثاني عشر) الذي أخذ عنوان "النظام القضائي والعدلي في الجزائر"، فتطرق فيه إلى الجانب السياسي فقسمه إلى ثلاث بحوث: ففي البحث الأول تحدث عن القضاء الفرنسي وأنواع محاكمه ومراكزها، والبحث الثاني القضاء الزجري والذي يمثل الأنظمة والقوانين التي طبقت في الجزائر وتسمى بقوانين الانديجينا، أما البحث الثالث فقد تناول القضاء الإسلامي الذي تميز بالإنصاف والعدل منذ العهد الإسلامي إلى آخر العهد التركي، وتحدث في (القسم الثالث عشر) عن الجانب الاجتماعي وخص في ذلك حالة المسلمين العامة في القطر الجزائري، ووضعيتهم القانونية وتجنسهم وخدمتهم العسكرية ووظائفهم في ظل سلطة الاستعمار الفرنسي، إضافة إلى الحياة الصحية والمرأة هذا في ما يخص الجانب الاجتماعي، والى الموسيقى العربية والتمثيل والصحافة العربية ثقافيا، ومن

[1] – أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص 292.

[2] – **نفسه**، ص ص 306-361-382.

الجانب الديني تحدث عن الدين الإسلامي والجمعيات الدينية والطرق والزوايا، وتحدث في لآخر هذا القسم عن الجزائر الحديثة في كل المجالات[1].

وفي (القسم الرابع عشر) الذي عنونه بالحالة الاقتصادية العامة فقسمه بذلك إلى بحوث، فجاء البحث الأول بعنوان الفلاحة، والثاني عنوانه الماشية، والثالث المعادن والمناجم، أما الرابع تحت عنوان الصناعة، والبحث الخامس التجارة، والأخير والسادس عنوانه الطرق والمواصلات[2].

**2-هذه هي الجزائر:**

تحدث المدني في كتابه هذا عن الفترة الاستعمارية، فنجده تناول في القسم الثالث من الكتاب عن: احتلال الجزائر وذلك كان في يوم العيد لما ذهب القنصل دوفال لتهنئة الداي حسين باشا، حيث قال الباشا: "ولماذا لم أتلقى إلى الآن جوابا من المسلك عن رسالتي"، وهنا تعمد القنصل على الإجابة بأسلوب متعجرف فقال: " هل تظن أن جلالة ملك فرنسا يتنازل لجواب داي الجزائر"، فقال الداي: "اخرج يا ابن الكلب وأشار بمروحة من ريش إلى الباب "، فادعى القنصل إنها لمست وجهه فحرج وقام بإعلام كافة قناصل الدول بما حدث، فهيأ شارل العاشر أسطولا ضخما من السفن يحمل عدد من المدافع والمقاتلين، فجعل من منطقة سيدي فرج قاعدة لإعماله ضد الجزائر التي هي على بعد 20 كيلوا متر غربي الجزائر، حسب الخطة التي هيئها الجاسوس الفرنسي بوتان، وكانت نتيجة هذه المعركة هي الهزيمة واستسلام مدينة الجزائر، حيث دخلها الجنود فرنسا يوم 5 جويلية 1830[3].

ولقد كانت ردة الفعل الجزائرية في هذه المعركة أنها لم تستسلم، ويشهد لها تاريخها بنضالها الطويل وكفاحها المستميت ومقاومتها العنيفة، فقد تنوع أسلوب الكفاح لدى الجزائريين فكان أحيانا معارك ودماء ودمار وسياسية أحيانا أخرى، فكانت المقاومة في كل جهات الجزائر التي أخذت شكلين: أما الشكل الأول من المقاومة الرسمية الحكومية والمقاومة الشعبية، فالمقاومة الأولى حكومية تولى زمامها الحاج أحمد باي باي قسنطينة، لكن في الأخير

[1]- أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 385-412-458.

[2]- **نفسه**، ص ص 464-491.

[3]- **نفسه**، ص ص 78-80.

استطاعت فرنسا احتلال جانب الشرقي وذلك لان المنطقة لم يصلها أي إعانات خارجية وبذلك لا يمكنها لأن تهزم ذلك العدد من الجنود وتلك الأسلحة المتنوعة[1].

فضنت فرنسا بذلك أنها قد تخلصت من المقاومة الشعبية، إذ ظهر الأمير عبد القادر الذي بايعوه سكان معسكر الذي كان يبلغ من العمر أربعة وعشرين سنة، فأسس فيهم دولة إسلامية عربية فجهزت له فرنسا كل ما تملك من قوة لتحطيمه ودولته، فاستطاعت ذلك لأنه لا يقدر عن مجابهة تلك القوة من ناحية العدد والسلاح، وقد تخلل فترة الحرب عدة معاهدات لكنها معاهدات في مجمل اتفاقات غش وخداع، وكانت مقاومة الأمير سنة 1832 وفي 1840 اشتعلت نيران المعارك الكبرى، وأخذت فرنسا تبيد الشعب الجزائري وأمام فضائعها وأهوالها وإحراقها للقبائل، لم يسع الأمير إلا الاستسلام في 23 سبتمبر 1847، فبقي خمسة سنوات في فرنسا ثم أفرج عنه وسير به إلى بلاد الشام[2].

وما كادت تستقر أقدام فرنسا في بعض أجزاء البلاد الجزائرية، فعملت على تحطيم الأمة رغم المقاومات والحروب، حيث تبلورت سياستها حول غايتين: الأولى إقطاع الأرض للفرنسيين والإتيان بأكبر عدد منهم إلى البلاد، والثانية هي حكم البلاد حكم مباشرا لا دخل لأهل البلاد فيه، وفي ما يخص النظام الإداري فإنها وضعت أسسه سنة 1849 فقسمت الأرض إلى مناطق الشمال المدنون وبلاد الجنوب يحكمها العسكريون[3].

وأما (القسم الرابع) الذي كان بعنوان "تحطيم أمة" تحدث فيه عن الجانب السياسي، فنجد سنة 1881 التي أصدرت فيها فرنسا قانون الجنسية، والعمالات كانت بلاد الجزائر مقسمة إلى يوم الثورة الكبرى، إلى عمالات في مقاطعات فرنسية هي: قسنطينة والجزائر ووهران، أما البلاد الجنوبية وهي الصحراء فيحكمها العسكريون حكما عرفيا، والبلديات إلى ثلاثة أنواع: البلدية التامة وهي تشمل كل المدن في الجهة الشمالية، والبلدية العربية ليس لها من العربية إلا الاسم

[1]– أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص 83.

[2]– **نفسه**، ص 84.

[3]– أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 84-89-96.

وتوجد في بلاد الجنوب العسكري، والبلديات الممتزجة وهي توجد في الجهات التي يقل فيها العنصر الأوروبي، ولها نظاما خاصا يديرها موظف فرنسي[1].

ونبقى مع الجانب السياسي ومع المجالس التي تنوعت فنجد منها:

1- المجالس العمالية: حيث أن لكل عمالة مجلس منتخب بقي إلى غاية إعلان الثورة الجزائرية يتألف من ثلاثة أخماس للنواب الأوربيين وخمسين للنواب المسلمين.

2- المجالس البلدية: فلكل مدينة أو بلدة تنتخب مجلس بلديا لإدارة شؤونها.

3- مجالس الجماعات: فتوجد في القرى والمداشر والقبائل الجبلية والبدوية.

4- المجالس الفرنسية: كان الجزائريون ينتخبون المجالس النيابية الفرنسية (المجلس الوطني- مجلس جمهوري-مجلس الاتحاد الفرنسي)[2].

كما تحدث في هذا القسم على الجانب الاقتصادي حيث عمل النظام الفرنسي على مصادرة معظم الأراضي الفلاحية، عن طريق اللصوصية والقتل فاغتصب المستعمر أكثر الأراضي الزراعية الخصبة وأحسنها، فإنه يستثمرها لصالحه الخاص دون مراعاة صالح البلاد، فغرس جميع أنواع الخمور في السهول الخصبة ضواحي عنابة والجزائر، فتحدث الكاتب عن زراعة القمح المشهور به أهالي الجزائر، أما عن السدود وأعمال الري وخزن المياه فلا تفكر الإدارة الاستعمارية بالاهتمام بها، ونجد الدخان هو الشيء الوحيد الذي يقتصر على الأهالي الجزائريين، وينفردون في غراسته سكان الجبال تحت رقابة إدارية صارمة، كما تطرق إلى زراعة الزيتون والنخيل والبرتقال والليمون واللوز وعن أماكن زراعتها[3].

فبالإضافة إلى الثروة الزراعية تحدث عن الثروة المعدنية التي تمثل ما تحت الأرض، من مناجم والفوسفات والحديد والفحم الحجري والنفط، أما في ما يخص الصناعة فإن الاستعمار استولى تخلص من الصناعات الجزائرية لتحل محلها الصناعات الفرنسية، ولم يبقى من

[1] - أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 98-100.

[2] - **نفسه**، ص 102.

[3] - **نفسه**، ص ص 105-107-113.

الصناعات الجزائرية سوى بعض معامل الزيت والصابون والتبغ، ولم تبقى من الصناعات المحلية لا نسج الزرابي ولا حياكة الأصواف لاستهلاك المحلي، لقد قضى المستعمر عن الأمة الجزائرية من حيث الصناعة نهائيا، والتجارة فان فرنسا تحتكر التجارة الجزائرية والميزان التجاري الوطني في عجز مستمر، فأهم ما تصدره الجزائر: الغنم أو الصوف والتبغ والحلفة وأوراق الدخان والسماد والتمر والزنك والرصاص والحديد والزيت، أما الواردات فأهمها: الآلات الحديدية والسيارات والمنسوجات والسكر والقهوة والأخشاب والوقود والعطور، كما تعرض الكاتب إلى المأساة الاقتصادية من خلال الأجور والبطالة والمسكن والمرض والهجرة[1].

ومن الناحية الثقافية تطرق الكاتب في نفس الفصل حيث تحدث عن التعليم، فإن الأمية لم تكن سائدة في الجزائر قبل مجيء الاحتلال الفرنسي، فيتم التعليم في المساجد والزوايا وتنشئة الأمة تنشئة عربية دينية صالحة، فأول ما استعمرت فرنسا الجزائر قضت على الكتاتيب القرآنية وحجرت التعليم في المساجد وهدمت أكثرها، وابتداءً من سنة 1883 فتحت فرنسا أبواب المدارس أمام أبناء الجزائريين، لكن التعليم كان تعليما فرنسيا حيث اللغة الفرنسية هي لغة الوطن، وتعليم آدابها وعلومها حتى يسهل إخضاعهم، فالمدارس الفرنسية الابتدائية في الجزائر تضم أبناء الأوربيون واليهود[2].

كما تطرق إلى التعليم الحر حيث لم يستسلم الشعب الجزائري إلى التعليم الفرنسي، فأقدم على إنشاء المدارس العربية الإسلامية الحرة تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم تم إنشاء معهد (عبد الحميد بن باديس التعليمي) فكان همزة وصل بين المدارس العربية الحرة والمعاهد العليا بالشرق وتونس، كما كان هناك التعليم الفني الذي خص الزراعة وكان مقره الحراش[3].

أما من الناحية الدينية أيام الاحتلال الفرنسي كان الدين الإسلامي غريبا في داره، منكوبا في أوقافه ومساجده ومؤسساته، فعمل الاستعمار مع بداية عهده بالجزائر على تحويل الأوقاف الإسلامية إلى ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة سنة 1830، هكذا قاومت الأمة الجزائرية

[1] – أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 124-127-137.

[2] – **نفسه**، ص ص 139-145.

[3] – **نفسه**، ص 147.

الاستعمار في المضمار العلمي، وفي الميدان الديني كما قاومته في حلبة السياسة، إلى اندلاع الثورة الكبرى، كما تطرق المؤلف في كتابه هذا إلى المقاومات الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي في سبيل تحقيق الاستقلال، فمن هذه المقاومات مقاومة الزعاطشة في الجنوب تحت قيادة أبو زيان سنة 1852، ومقاومة أولاد سيدي الشيخ في سنة 1864 بالجنوب الغربي قادها الباش أغا سليمان بن حمزة بن أبو بكر، فدامت 5أعوام واستطاعت فرنسا التغلب على قبائل المنطقة، إضافة إلى مقاومة جرجرة الذي تولاه الباش أغا الحاج محمد المقراني، وأعانه الشيخ محمد بن الحداد[1].

إضافة إلى المقاومات الشعبية التي كانت عسكرية في مجملها تغيرت بعد ذلك إلى المقاومة السياسية، فاتخذت أشكالا مختلفة فنجد الهجرة الجزائرية للبلدان الإسلامية الحرة، وأول مقاومة قلمية كانت من طرف حمدان بن عثمان خوجة[2]، هذه كانت المقاومة السياسية في دورها الأول التي كانت على شكل الدفاع بالقلم، أما في الدور الثاني من خلال قانون 4 فيفري 1919 الذي دعا إلى إلغاء قوانين الأنديجينا، والتساوي في دفع الضرائب بين الجزائريين والمعمرين، كما نجد مقاومة الأمير خالد الهاشمي وجهوده من خلال توجيهه مذكرة حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره إلى الرئيس الأمريكي ويلسون، أما سنة 1926 كان هناك حدثين أثرا على مستقبل القطر الجزائري، أولهما جمعية نجم شمال إفريقيا في باريس، وثانيها تأسيس نادي الترقي بالعاصمة الجزائر[3].

ثم تحدث في الأخير عن اندلاع الثورة الكبرى في 1 نوفمبر 1954 على الواحدة بعد منتصف الليل، كما تطرق إلى جبهة التحرير الوطني التي دعت إلى التحاق الشعب مهما كانت طبقاتهم الاجتماعية، ومهما كانت أحزابهم وحركاتهم الجزائرية الخاصة، ويندمجوا في

---

[1] – أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 148-154-157.

[2] – ولد بالجزائر حوالي سنة (1189هـ-1775م) وهو من الكراغلة، أي من أب تركي وأم جزائرية درس على يد والده إلى أن دخل الكتاب، فاجتاز التعليم الأولي بتفوق مما جعل واده يهتم به، حيث لقنه أصول الإدارة والحكم وأمور السياسة، ونمى فيه= =روح الشريعة وكان واعيا بمبادئ الطب والفلسفة، قام برحلات عدة متعته بثقافة وإطلاع واسعين، ساعدته على في كتابة بعض من آثاره مثل (المرآة). للمزيد ينظر، محمد الطيب عقاب، **حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي**، (د- ط)، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص ص 23-24.

[3]- أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص ص 194-167.

معركة التحرير دون أي اعتبار للآخر، والهدف هو الاستقلال الوطني من أجل دولة جزائرية ذات سيادة ونظلم ديمقراطي اشتراكي، في دائرة المبادئ الإسلامية مع احترام جميع الحريات الأساسية، دون أي تمييز في الدين أو المعتقد[1].

**3- جغرافية القطر الجزائري:**

بدأ توفيق المدني كتابه هذا (بالقسم الأول) الذي عنونه بالجغرافيا الطبيعية، حيث ذكر في فصله الأول معلومات عامة حول الموقع القطر الجزائري، وحدوده والأرض الجزائرية، فتقع الجزائر في منطقة معتدلة تمتد من الشرق إلى الجنوب، أما الحدود فالحد الطبيعي الوحيد للقطر الجزائري هو الحد الشمالي المتكون من ساحل البحر الأبيض المتوسط، والحد الشرقي والغربي والجنوبي، والأرض الجزائرية مرتفعة وبها إلا القليل من السهول المنخفضة، والفصل الثاني تحدث فيه عن الساحل الجزائري ومناظره ووصفها وصفا طبيعيا، والفصل الثالث تعرض فيه إلى إقليم التل وحدوده، وذكر جباله وأوديته وسدوده وسهوله، إضافة إلى مناخه والحمامات المعدنية وغاباته، وأشار الكاتب إلى إقليم النجود او الهضاب المرتفعة، فذكر ارض الهضاب المرتفعة ومياهها ومناخها وأوديتها وشطوطها، كما تحدث عن المرتفعة وهيئتها، التي بذلك تحتل كامل الوسط الجزائري وتقع ما بين الأطلسين: "الأطلس التلي شمالا والأطلس الصحراوي جنوب، ولهذه النجود شكل مستطيل"[2].

كما تطرق الكاتب في الفصل الخامس عن إقليم الصحراء الجزائرية، التي تمتد في ما بين الحدين التونسي والمغربي، جنوب جبال الأطلس الصحراوي حيث تحدث عن صفة هذا الإقليم أمطاره وأوديته وواحاته وآباره الفوارة، وقد ذكر الواحات الجزائرية أكبرها وأشهرها، هي واحة الزيبان وبوسعادة إضافة إلى واحة وادي ريغ ووادي سوف وواحة ورقلة، كما تحدث عن الآبار الفوارة وعن الري في الواحات وقرى الصحراء، لا يقع مباشرة بواسطة الأودية والآبار المعتادة ويعتمد كذلك عن الآبار الفوارة[3].

---

[1] – أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص 202.

[2] – أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، المصدر السابق، ص ص 8-12.

[3] – **نفسه**، ص 44-47.

أما في (القسم الثاني) الذي جاء بعنوان "الجغرافيا الاقتصادية": وهي تخص بذلك الجانب الاقتصادي حيث قسمها الكاتب إلى عدة فصول فتناول في الفصل الأول الثروة النباتية، التي تتكون من القمح والشعير والحمص والكروم والدخان والتين والنخيل، كما تحدث عن أماكن زراعتها ونموها والمناطق التي تزرع فيها بكثرة، وعلى نسبة زراعتها ومحصولها، والثروة الحيوانية التي تمثلت في الماشية والصيد البحري، أما الفصل الثاني فجاء بعنوان "المعادن والمناجم" يعني الثروة الباطنية، كالفوسفات والحديد الرصاص والزنك والاسمنت والنفط، والفصل الثالث تكلم عن الصناعة في الجزائر التي من أشهرها الزرابي والفرنان وصناعة الأحذية والمصبرات وصناعة الأخشاب المختلفة، والأثاث والأدوات المنزلية ومعامل الخزف والفخار والأقمشة الصوفية والقطنية والى غير ذلك من الصناعات[1].

أما الفصل الرابع المعنون "بالتجارة" فالمصانع الجزائرية في هذه الفترة كلها كانت مشغولة بصناعة الأسلحة، وهذا ما جعل التجارة في الجزائر متدهورة لكن بالنسبة للمراسي التي كانت مركز التصدير والتوريد، فكانت مجهزة بأحسن التجهيزات وكانت تقبل كل السفن سواء كبيرة أم صغيرة ومن هذه المراسي نجد مرسى الجزائر ووهران وعنابة، وفيما يخص القسم الخامس فقد تطرق فيه المؤلف إلى الطرق والمواصلات في الجزائر، فالطرق تنقسم إلى ثلاثة: الطرق الوطنية الكبرى والطرق الكبرى المتفرعة والطرق البلدية، والمواصلات تتم من خلال السكك الحديدية التي تخترق كامل القطر الجزائري[2].

وجاء (القسم الثالث) بعنوان "الجغرافيا السياسية" حيث تحدث عن السكان، فيقطن في القطر الجزائري تسعة ملايين من السكان وكلهم من النوع الأبيض، وينقسمون بذلك إلى قسمين: المسلمين والأوربيين، ووضح في جدول سكان القطر الجزائري حسب الإحصاء الإداري في كل من عمالة قسنطينة ووهران والجزائر، كما أضاف بعد ذلك بلاد الجنوب كما تحدث عن مساكن السكان، وفي الفصل الثاني الذي جاء بعنوان التقسيم الإداري الوالي والولاية العامة، حيث أشرف على أمور القطر الجزائري عامة الذي مثل السلطة المركزية الفرنسية ويلقب بالوالي العام، والولاية العامة وهي التي تشمل عدة إدارات يشرف على كل واحدة منها متوظف

[1]– أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، المصدر السابق، ص ص 51-55-59.

[2]– **نفسه**، ص ص 67-62-69.

سامي يدعى المدير العام، كما يوجد مجلس الحكومة الذي هو بمثابة دستور جزائري يشرف على الأعمال العمومية كلها ويسهر على تنفيذ مقررات المجلس النيابي الجزائري[1].

وبالنسبة للفصل من (القسم الثالث) الذي عنونه "بالمجالس المنتخبة" التي تمثلت في المجلس النيابي الجزائري الذي يهتم بالضرائب والميزانية، والمجلس العمومي والمجلس البلدي فالأول ينتخبه المسلمون والأوربيون، أما الثاني يخص كل مدينة أو قرية بالاستثناء بلاد الجنوب، إضافة إلى النيابة البرلمانية بفرنسا حيث يقرر الدستور الفرنسي أن أرض الجزائر قطعة من البلاد الفرنسية[2].

أما الفصل الرابع الذي تطرق فيه المؤلف إلى النظام القضائي بالجزائر هو نظام مدني هذا الأخير الذي يخص المحاكم الفرنسية، والقضاء الإسلامي فلا يحكم قاضي المسلمين إلا في الأمور المتعلقة بالحالة الشخصية بين المسلمين، من قضايا الزواج والطلاق والنفقة والحضانة والمواريث، ونجد في الفصل الخامس تطرق فيه إلى الجانب الثقافي في الجزائر خصوصا التعليم العمومي، والتعليم الرسمي العربي والتعليم الحر العربي والفلاحي والصناعي والتجاري، والتعليم في القطر الجزائري بأسره إجباري ومجاني قانونيا ونظريا، أما في (القسم الثالث) الذي جاء تحت عنوان "العمالات الجزائرية وأشهر مدنها"، فذكر في ذلك عمالة قسنطينة التي تعد من أعظم العمالات الجزائرية شأنا وتتكون من ثلاث مراسي سكيكدة وعنابة وبجاية، وعمالة وهران التي تتمتع بقيمة زراعية كبيرة ويجد بها سدود عظيمة، أما عمالة الجزائر هي أصغر العمالات مساحة[3].

## 4- حياة كفاح الجزء الأول:

تحدث توفيق المدني في كتابه[4] هذا من الناحية السياسية عن دفاع كل من أهل برقة وطرابلس عن بلادهم أمام الاستعمار الإيطالي[5]، كما ذكر أيضا دفاع أهل تونس في معركة

[1]- أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، المصدر السابق، ص 69.

[2]- **نفسه**، ص ص 75-78-82.

[3]- **نفسه**، ص ص 85-88- 92-108.

[4] - ينظر الملحق رقم (13)، ص 147.

[5]- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص ص 65.

الزلاج سنة 1911[1]، التي كانت بشأن مقبرة الزلاج التي أرادت بها الإدارة الفرنسية تسجيل الأرض الزراعية التونسية لصالحها، وإخراج عموم الشعب من رعاية الحكومة التونسية وأحكامها الإسلامية إلى دائرة القانون الفرنسي، وانتهت الحرب بموت عدد كبير من التونسيين واثنين أو ثلاثة من الفرنسيين والايطاليين، كما تحدث عن تأسيس الحزب الدستوري التونسي الذي كان في 29 ماي 1921، فكان هذا الأخير بداية التاريخ الثوري السياسي لتونسيين[2].

وتعرض الكاتب في ما يخص تونس كذلك إلى الإصلاحات التي كانت تريد منها فرنسا توجيه جملة من الاتهامات للحزب ومؤسسيه بتهم مثل محاولة طرد الفرنسيين من تونس إلى غير ذلك، إضافة إلى ذلك فقد تعرض إلى قانون التجنيس الذي كان في 20 ديسمبر 1923، القاضي بمنح الجنسية الفرنسية للتونسيين الذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة، كان هدف فرنسا من ذلك هو تضخم عدد جالياتها في المنطقة، وتحدث من الناحية الثقافية عن العلم والأدب والاجتماع، فتكلم عن حياته التي كانت تتعدى العمل السياسي ضم ن دائرة الحزب أو بالعمل الصحفي في الصحف والمجلات، بل وصل إلى دائرة النشر والتأليف، فأخرج كتابه الأول سنة 1922 الذي كان بعنوان (تقويم المنصور)، الذي ضم 320 صفحة وجاءت أبوابه على النحو التالي: الأول القسم الفلكي والثاني المباحث العلمية والثالث ثمرات من سياسيين العلوم، أما الباب الرابع فكان عنوانه مرآة العالم والخامس باقة من رياض الأدب والسادس العالم الإسلامي، وجاء الباب السابع بأشهر الحوادث وأعظم الرجال والثامن العالم الاقتصادي والتاسع القسم السياسي والعشر عرائس الأفكار، أما الباب الحادي عشر بعنوان العملة والثاني عشر مطبوعات السنة والثالث عشر في عالمي الشرق والغرب[3].

---

[1]– التي كان سببها الرئيسي هو غضب الشعب التونسي على الاحتلال الأجنبي، وانتفاضة سياسية للتخلص من الاستعمار، إضافة إلى الأسباب نجد كذلك الحرب الطرابلسية من طرف ايطاليا، واحتلال المغرب من طرف فرنسا، حيث كانت مقبرة الزلاج وقف للمسلمين نظرا لقيمتها الروحية لدى الشعب التونسي، وقد سجلت هذه المقبرة على أنها تابعة لمحكمة العقارية المختلفة، وكل هذه الأحداث كانت في نفس السنة. للمزيد ينظر الجيلاني بن الحاج يحي ومحمد المرزوقي، **معركة الزلاج 1911**، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1974، ص ص 14–17.

[2] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص ص –74–264.

[3] – **نفسه**، ص ص 379–441.

كما تحدث عن (المجمع العلمي التونسي) حيث يقول أنهم لما كانوا يدافعون عن البلاد بجهادهم السياسي، أحسوا بنقص علمي كبير فقرروا من خلال اجتماعاتهم بنادي قدماء الصادقية ضرورة تأسيس مجمع علمي تونسي، يرفع المؤهلات العلمية ويعيد لتونس أمجادها العلمية، إضافة إلى تأسيس (الرابطة القلمية) في ليلة رمضان سنة1924، من خلال اتفاق الكتاب والمفكرين اللذين تجمع بينهم الوحدة القومية والفكرية، إلى السعي في إيجاد وسيلة فعالة للتضامن الفكري والقلمي بينهم[1].

## 5- حياة كفاح الجزء الثاني:

تحدث الكاتب في هذا الجزء عن حياته نشأته إلى غاية نفيه إلى الجزائر، إضافة إلى تعليمه وسجنه وخروجه منه والحزب الدستوري التونسي، كما تطرق فيه إلى احتلال المغرب من طرف فرنسا سنة 1911، وحرب طرابلس بإعلان ايطاليا الحرب، عليها في 29 سبتمبر 1911، في الجانب الثقافي الجزائر واحتكاكه بعلمائها أمثال مبارك الميلي الذي تعرف عليه أثناء معركة التحرير بتونس[2]، وعبد الحميد بن باديس[3] الذي عرف في منابر الكفاح وأعماله الإصلاحية، التي أخذت تحجم الظلام الذي سعى إليه الاستعمار، وقد قام "توفيق المدني" بمقارنة منهج كل من الشيخ "عبد الحميد بن باديس" و"مبارك الميلي"، اللذين كانا متفقين أنهما ضد الطرقية وكلاهما يرى إيجاد مدارس حرة تعلم الصغار وتنشئتهم تنشئة صالحة، وأشار إلى الجانب الاجتماعي في دعوته إلى تأسيس نادي قبل التحدث عن السياسة وقبل تشعب الحديث لإصلاح المجتمع، يكون هذا النادي في أحسن حي وأحس أثاث يلم شملكم ويجعلكم تجتمعون

[1] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص ص 449-452.

[2] – **نفسه**، ص ص 8-13.

[3] – (ه1308-1359ه) (1889-1940) هو عبد الحميد بن محمد بن مكي ابن باديس، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ بدأ قيامها سنة 1931 إلى وفاته، ولد بقسنطينة ودرس فيها ثم بتونس وتخرج منها، أصدر جرائد مثل المنتقد والشهاب ومن الصحف مثل الشريعة والصراط. للمزيد ينظر، عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980، ص 28.

مرغمين كل يوم، حيث تظهر فيه الأفكار وتناقش المشاريع، فقد يلزم في ذلك المال والرجال وكون ذلك النادي في أقرب وقت وهو نادي الترقي[1].

ومن الجانب الديني والثقافي تطرق الكاتب إلى الإسلام والهوية حيث وجب المحافظة عن الدين والهوية، ويجب أن يكون هو البرنامج الوحيد والأمة بأسرها، حيث كان الإسلام واللغة العربية في هذه الفترة سائرين نحو طريق الموت والاضمحلال، وتكاد تفقد إسلامها وعروبتها، إذ كان الشعب الجزائري لا يعمل العمل الجدي الصالح في سبيل الحياة، واللغة كيف لها أن تبقى وقد أهملت دراستها منذ دخول المستعمر، فالبرنامج الذي رآه المدني مناسبا في هذه الظروف هو المبادرة في تشكيل لجنة عليا للتعليم العربي الإسلامي بالجزائر، تجمع نحو العشرة من أوسع مسلمي الجزائر علما وأشدهم خبرة، وتقرر منهجا مدرسيا مفيدا يختصر ما يحتاجه الشاب الجزائري المسلم من علوم دينية ودنيوية[2].

ومن الناحية السياسية تحدث عن المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي قابله المسلمون الجزائريون بحركة جماعية، حيث قاموا باجتماعات عدة في النادي وبغير النادي واتفقوا على أن يعقدوا مؤتمرا عاما، لأول مرة في التاريخ الجزائري يشمل كافة النواب الشيوعيين والمناضلين والعلماء، وقرر النواب في هذا الاجتماع المطالبة بالحقوق الفرنسية للمسلمين، مع بقاء تعاملهم بالحقوق الشخصية الإسلامية، والمطالبة باستعمال اللغة العربية لغة دراسة بالمدارس الأهلية واستقلال الدين الإسلامي عن الحكومة، وكان المؤتمر يوم 7 جوان 1936، وكان المدني راضيا بمطالب المؤتمر[3]، كما أشار إلى رأي كل من فرحات عباس[4] وابن باديس، إلا أن توفيق المدني لم

---

[1]– أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، الصدر السابق، ص ص 22–29–166.

[2]– **نفسه**، ص ص 244–247.

[3]– **نفسه**، ص 247.

[4]– ولد فرحات المكي عباس يوم الخميس 24 أوت 1899 بدوار الشحنة (جيجل)، تأثر منذ نشأته الأولى بوسطه الذي يعيش فيه التي تحكمت في تكوين شخصيته، كما تأثر في كبره بأفكار الأمير خالد في ميدانه السياسي بالمطالبة بالمساواة، وبالتالي فهو مفكر ومؤلف وخطيب وسياسي، كان مدافعا عن تحرر الشعب الجزائري منذ بداية نضاله، إضافة إلى تأثره بالثقافة الفرنسية، وكانت له أثار معتبرة من مقالات وكتب ونذكر من هذا الأخير الشاب الجزائري وليل الاستعمار. للمزيد ينظر، عز الدين معزة، **فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1889–1985)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004–2005، ص ص 28–60.

يحضر المؤتمر لان عذره هو أنه تونسي دستوري لا يتدخل في شؤون الجزائريين[1].

كما تحدث المؤلف عن مقتل الشيخ ابن دالي عمر (كحول) الذي كان قد نشر نص برقية بعث بها إلى الحكومة الفرنسية، تتضمن عبارات جارحة من الوفد ومن المؤتمر وتبين إخلاص المسلمين لفرنسا وموالاتهم لها، وقد تعرض إلى القتل من طرف فدائي من عامة الناس، وتطرق إلى مجار 8 ماي 1945 وخص بذلك منطقة قالمة، حيث عمد الجيش الفرنسي على إعدام الشباب اللذين يحملون الشهادة الابتدائية فيه، فتمكنوا في أربعة أيام من قتل خمسة وأربعين ألف جزائري مقابل مئة ونيف من الأوربيين، وكان هدف الفرنسيين من هذه الجزرة هو التخلص من أكبر عدد ممكن من المسلمين، وضرب الحركة الوطنية في الصميم[2]، وفي نفس هذا الوقت تم في الجزائر القبض عن كل من فرحات عباس والبشير الإبراهيمي[3] وثلة من أنصار البيان والعلماء[4].

## 6- مجلة البصائر:

لقد كتب المدني في هذه المجلة جملة من المقالات واكتفينا بالتطرق إلى أربعة منها والتي كانت في مجملها تصب في الجانب السياسي، حيث جاء فيها:

1- مقالة "الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين": فقد تعرض في مقاله هذا إلى الاجتماع الذي افتتح جلسته "البشير الإبراهيمي" بفصاحة لسانه وبلاغته في التحدث عن حياة الجمعية، ودعا إلى التضامن العام من كل هيئات البلاد الحزبية لجمعية العلماء، والتنويه إلى أعمالها والإشادة بجهودها والاعتراف بفضلها في ميدان العلم والدين، وما بذلته من مساع موفقة لجمع وحدة الأمة وتكوين الاتحاد بين المكافحين في سبيل الحرية والحق، فتكلم الإبراهيمي باسم

---

[1]- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص ص 363-364.

[2]- **نفسه**، ص ص 367-528.

[3]- (1889-1965) من مواليد منطقة سطيف وينتمي إلى بني ابراهيم، بدأ المشاركة في جماعة الشهاب سنة 1925، أصبح عام 1931 نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين، ساهم في نشر أفكار الجمعية في منطقة تلمسان ومنطقة وهران عام 1940، حكم عليه بالإقامة الجبرية عام 1951، ثم هاجر إلى بلاد المشرق عام 1954، ورجع في 1955 طلب منه بن بلة بدعوة الشعب الجزائري إلى الجهاد لكنه رفض، وفضل التحالف مع مصالي الحاج، وبعد فشل سياسة جبهة التحرير الوطني حكم عليه بالنفي إلى باكستان. للمزيد ينظر، محمد حربي، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، (د- ط)، موفم، (د- ب)، 1994، ص ص 178-179.

[4]- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص 531.

حركة انتصار الحريات الديمقراطية وباسم حزب البيان والحزب الشيوعي وفي الأخير تكلم باسم الجبهة الجزائرية لدفاع عن الحرية[1].

2- مقالة "اندفاع جريء": وخص بذلك هذه المجلة التي دخلت دورا جديدا وأنشأت لنفسها مطبعتها الخاصة في قلب الجمعية، ثم تحدث عن معهد عبد الحميد بن باديس الذي أصبح يستقطب عدد كبير من الطلبة من كل مناطق القطر الجزائري، لنهل العلم الإسلامي والمعرفة العربية واستكمال المعلومات، وهذا الأخير حقق نتائج علمية علنية تحصل عليها طلابه، وهذه كانت جرأة معهد ابن باديس الذي انتصب بالمسجد الأعظم بقسنطينة، فكان بمثابة الصفحة الجديدة التي فتحت في التاريخ العلمي الثقافي بالجزائر، وبهذا كان النظام الجديد المؤطر الأركان بين المسجد الأعظم وفروعه بالمسجد الأخضر وبمركز المعهد القديم، ينتظم في قسنطينة تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حياة جامعية إسلامية عربية[2].

3- مقالة "أفضع جرائم الاستعمار": لقد تحدث المدني في الجانب الاجتماعي عن فضائع الجرائم المرتكبة من طرف المستعمرين من بداية الاحتلال، من كوارث ونكبات واغتصاب الأرض واختلاس خيرات البلاد، إضافة إلى تشريد أقوام واستئثار بالسلطة وزجر مهين وفقر منهك، زيادة عن الأمراض الفتاكة وإهمال شنيع شمل بنقمته سائر الطبقات في كل الجهات، وفي المجال الثقافي من نفس المقال تطرق إلى الكارثة الأدبية التي تعمد الاستعمار اقترافها، وذلك بقتل اللغة العربية والفتك باللسان الأمة لتنفصل عن دينها وتقطع الصلة بماضيها، وقفل أبوب المستقبل في وجهها عن طريق التعليم الممنهج بالنظام الفرنسي المحكم، لكن الجمعية لم تقبل بهذا الوضع فعملت على تأسيس المدارس الحرة التي يقرأ فيها كتاب الله ويدرس الدين وتزهر اللغة العربية[3].

---

[1]- أحمد توفيق المدني، "الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين "، **البصائر**، لبنان، العدد 172، المجلد 65، 1381هـ-1952م، ص 304. للمزيد ينظر الملحق رقم (14)، ص 148.

[2]- أحمد توفيق المدني، "اندفاع جريء"، **البصائر**، العدد 207. المجلد 66، الاثنين 29 صفر 1372-17 نوفمبر 1952، ص 213. للمزيد ينظر الملحق رقم (15)، ص 149.

[3]- أحمد توفيق المدني، "أفظع جرائم الاستعمار"، **البصائر**، لبنان، العدد 267، المجلد 67، الجمعة 13 شعبان 1373هـ-16 أفريل 1954م، ص 329. للمزيد ينظر الملحق رقم (16)، ص 150.

4- مقالة "كيف يمكن أن تحيا الجزائر": فعبر عن نفاق الاستعمار الفرنسي الذي يزعم أن القطر الجزائري مجرد عمالات فرنسية، ففرنسا لا تستطيع أن تنكر أو تمحوا تاريخ هذه الأمة التي سجلت ذكر ممالك نوميديا في التاريخ القديم مع أبطاله: ماسينيسا ويوغرطة، وبذلك فإن التاريخ يثبت بذلك الوحدة الجزائرية قبل أن تنشأ الوحدة الفرنسية أو الألمانية، وبالتالي فإن الشعب الجزائري لن يقبل الرضوخ لأي سلطة أجنبية، وبذلك فإن مشكل الجزائر هم مشكل سياسي والحل هو الاعتراف الفرنسي للجزائريين بحقهم في إدارة بلادهم بأنفسهم[1].

## استنتاج جزئي:

من خلال تصنيفنا لمؤلفات الشخصية نستنتج أنه تحدث فيها عن الفترات التي مرت بها الجزائر من العصر القديم أي من قبل الميلاد إلى عصر الفتح الإسلامي، ثم بفترة العثمانية وبعدها الفترة الاستعمارية، حيث تطرق في كتبه إلى نفس الموضوع قد نجده تحدث مثلا عن الاستعمار الفرنسي للجزائر والتواجد الفينيقي في "كتاب الجزائر" و"هذه الجزائر" وكتاب " قرطاجنة في أربعة عصور"، حيث فصل فيه الكتاب الأول، إضافة إلى تحدثه بإسهاب عن الحرب فنجده خص في بعض كتبه عن فترة معينة مما جعلنا نتطرق في المؤلفة الواحدة إلى أكثر من خمسة صفحات من نفس المصدر ولهذا كان هناك نوع من التكرار في بعض المراجع نفسه والمرجع السابق، ومثال ذلك نجده في كتاب "قرطاجنة في أربعة عصور "خص الفترة القديمة من بدايتها إلى نهايتها، ومحمد عثمان باشا داي الجزائر الذي كان في الفترة العثمانية و"المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا " و"حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا اللذين تحدثا عن الفترة الإسبانية من أول الكتاب إلى آخره، وبما انه فصل تطبيقي فما كان علينا إلا شرح بعض الشخصيات أو المصطلحات لتفادي كثرة التكرار، و" كتاب الجزائر " و"هذه الجزائر" بالفترة الاستعمارية.

[1]- أحمد توفيق المدني، "كيف يمكن أن تحيا الجزائر"، **البصائر**، لبنان، العدد 318، المجلد 69، الجمعة 21 رمضان 1374هـ-13ماي 1955م، ص13. للمزيد ينظر الملحق رقم (17)، ص 151.

# الفصل الثالث

# دراسة في أسلوب الكتابة عند "توفيق المدني" وآثار كتبه لدى معاصريه

**أولا: أسلوبــه**

**ثانيا: مصادره ومراجعه**

**ثالثا: آثار كتبه لدى معاصريه**

**رابعا: ردود أحمد توفيق المدني على منتقديه**

واكبت مرحلة "توفيق المدني" الثانية التي كانت بعد نفيه من تونس إلى الجزائر ما بين (1925-1954) فقد واكبت الحراك الوطني والسياسي، إضافة إلى ما تميزت به هذه الفترة من صبغة دينية والنزوع إلى اعتناق الفكر الإصلاحي، وكان ذلك نتيجة تعرفه على بعض رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية من أمثال "العلامة عبد الحميد بن باديس" "والبشير الإبراهيمي" اللذان كان لهما الأثر الكبير في توجيه فكره واهتمامه واستشعار الواقع الذي تعيشه الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي، وقد رصد الواقع السياسي في ظل تشكل مختلف التيارات الحزبية الوطنية، واختلاف وجهات نظر زعمائها وتباين آرائهم حول واقع الشعب الجزائري، وكانت بداية إيقاظ الروح الثورية نتيجة لخيبات أمل الشعب من الحل السياسي لمشاكلهم، حيث قام بدوره في هذه المرحلة إلى الدعوة لتشبث بالقيم العربية الإسلامية الجزائرية وذلك لكبح المخططات الاستعمارية التي تهدف إلى مسح الهوية الوطنية.

## أولا: أسلوبــه

نلاحظ تنوع أسلوب توفيق المدني وذلك بتنوع المواضيع والفترات التي كتب فيها، فنجد هذا الأخير في مذكراته لجأ إلى الأسلوب الوصفي، وذلك للكثير من الظروف والوقائع التي عاشها الجزائريون، حيث نقل لنا الأحداث التي كانت في هاته الفترة من وجهة نظر المؤلف، وذلك من خلال وصفه لحالة الشعب الجزائري أيام الحرب العالمية الثانية 1940م من خلال قوله[1]: <<لقد رأيت في حياتي يومين من أيام الجذل الشعبي جذلا وحبورا جعل الناس يندفعون في غمرة فرحا وسرور يهنئ بعضهم بعضا، كان يوم الأول هو يوم انهيار فرنسا واستعدادها لإمضاء الهدنة المخجلة، المهينة التي أملاها عليها الألمانيين، أما اليوم الثاني فقد كان دون منازع يوم غرة نوفمبر 1954>>[2].

[1] – أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص 196.

[2] – **نفسه**.

كذلك استخدم الأسلوب الوصفي من خلال وصفه لمساكن سكان الجزائر بقوله: <<أما غير المسلمين فيسكنون كلهم سواء كانوا في المدن أو في البوادي الديار مختلفة الحجم والمظهر وهم بعداء عن خصاصة والفقر وإن كانوا مختلفين في درجات الثروة، أما المسلمين فأغلبيتهم في فقر مدقع، وفي حالة إهمال شنيعة سببها انهيار ثرواتهم وفقدوا أهم من أراضيهم اثر وقائع الاحتلال>>[1].

ونلاحظ في كتابه "المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا " قام المدني بتوظيف المحسنات البديعية وذلك من خلال قوله: << انبثقت بعد ذلك من الشرق نورا جديدا بسط على صقلية شعاعه مع رجال الإغريق ذوي المدينة الزاهية الزاهرة>>[2].

كما وظف في أسلوبه بعض الألفاظ القرآنية وذلك نتيجة تأثره بالحركة الإصلاحية مثال ذلك في كتابه "حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا":<<وبعث السلطان العثماني سليم الأول هدايا إلى خير الدين وعروج المتمثلة في إعانة لهذين المجاهدين في سبيل الإسلام، وجاءت هدية السلطان ردا على هديتهما، فكانت بردا وسلاما على قلوب المؤمنين>>[3].

وتبرز ذاتية المؤرخ بالتعبير عن الاستعمار الفرنسي في الجزائر بقوله "وقد اكتست المقاومة الأولي شكلين، شكل المقاومة الرسمية الحكومية، وشكل المقاومة الشعبية، أما المقاومة الحكومية فقد تولي زمامها الحاج احمد باي قسنطينة، وطالت الحرب بينه وبين الغاصبين في تلك الجهات الشرقية والجنوبية"، وفي قوله كذلك: <<فالنظام الاستعماري القذر والعفن قد استولى عنوة واقتدارا بواسطة اللصوصية والقتل على الأراضي الفلاحية الجزائرية>>[4].

[1] – أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، المصدر السابق، ص87.

[2] – أحمد توفيق المدني، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا**، المصدر السابق، ص33.

[3] – أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا**، المصدر السابق، ص174.

[4] – أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص107.

كما استعمل المنهج المقارن حين قارن كل من شخصيات "عبد الحميد بن باديس" و"مبارك الميلي" في قوله: <<إن كلاهما ضد الطرقية وكلاهما يرى إيجاد مدارس حرة تعلم الصغار وتنشئتهم نشأة صالحة ويأخذ الشيخ بن باديس طريقة تهيئة الصغار الطلبة للاضطلاع بمسؤولياتهم في الحياة وهداية الأمة لطريق الخير والصلاح، فمبارك الميلي يكوّن وعبد الحميد بن باديس يدفع للميدان، ولا يتم عمل احد بدون الأخر>>[1].

وكان فكر الأستاذ "أحمد توفيق المدني" سياسي له جذور إصلاحية وذلك تأثراً "بابن تيمية" و"رشيد رضا"، ويعرج على ليبرالية "لطفي السيد"، ويتأثر بالجو التقليدي للزيتونة وللإصلاح السياسي الذي كان معروف أثناء الحرب العالمية الأولى، أما أسلوبه في التعبير وفق السلوك فقد كان ثوريا بالنسبة إلى الأوساط التي عايشها وتأثر بتقاليدها ثقافيا وسياسيا[2].

كما نجد أن "توفيق المدني" ازدهر في ما بعد الحرب العالمية الأولى بالفكر الثوري وبقي إصلاحيا سياسيا متمردا على جمود وسطه من الذين لم يتأثروا بالأفكار الجديدة،[3] ولقد عايش توفيق المدني في تونس الوسط الارستقراطي الإصلاحي الليبرالي، وعايش في الجزائر منذ 1925م الوسط الجزائري البورجوازي التقليدي، فلقد شارك المدني في تأسيس نادي الترقي وكان الممثل الشرعي له وكان هذا النادي يحتضن الإصلاح السياسي والديني في نفس الوقت النواب وجمعية العلماء. كما كان في كل مراحله إصلاحيا ليبراليا توفيقيا، يمثل الصحفي السياسي المحلل للأحداث بأسلوب ثوري، وهو في سلوكه توفيقي وصبغته الصحفية النضالية طغت على الصفات الأخرى[4].

---

[1] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح، ج2**، المصدر السابق، ص29.

[2] – محمد قنانش، **مذكراتي مع مشاهير كفاح**، (د– ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص141.

[3] – **نفسه**.

[4] – **نفسه**، ص142.

ففي "كتاب الجزائر " إذا ما ربطنا تاريخ تأليف الكتاب ضمن السياق التاريخي الذي ظهر فيه نجد أن توفيق المدني يكون تأثر بالجلبة والفوضى التي تعالت حول موضوع الهوية الجزائرية، وارتفاع الأصوات المنادية بالإدماج والذوبان في فرنسا، حيث أراد "توفيق المدني" أن يرد على هذه الدعوات التي أنكرت أن للجزائر تاريخ يحول بينها وبين الانضمام إلى فرنسا، فأراد أن يكون رده علميا يستند إلى التاريخ الذي لا يقبل هذه الدعوة[1].

وقد خالف توفيق المدني فريق التيار الإصلاحي الذي اكتفي بالمقالات والخطب الأدبية الحماسية التي كانت تقف في وجه دعوات الاندماج والذوبان، وأولى المختصون لهذا الكتاب اهتماما يتناسب مع قيمته العلمية ومنهجه في تناول الموضوع، وقد خلص أحدهم إلى إن (أحمد توفيق المدني بقي وفيا لطريقة كتابته والمتمثلة في قراءة الحاضر الاستعماري من خلال الماضي التاريخي)، "فتوفيق المدني" كان يريد إثبات الحقيقة المتمثلة في أن الحاضر امتدادا للماضي وتاريخ فرنسا الاستعماري الحديث ما هو إلا حلقة جديدة من حلقات سابقة، يقول "رابح لونسي": <<يتميز الكتاب بمنهج علمي صارم، ومع ذلك فقد حقق الهدف المبتغى منه، وهو الأمر الذي جعل "ابن باديس" يعلق على الكتاب ويطالب كل مسلم جزائري بقراءته بهدف جعله أكثر بغضا وكرها للاستعمار الفرنسي، وبالتالي يغرس فيه الرغبة والاستعداد للثورة عليه مادام أن الحب والبغض سلاحان لازمان في الحياة ولا بقاء لأمة بدونهما إذا تم استعمالهما في محلها>>[2].

ومما يسجل عنه في "كتاب الجزائر" أنه كان يطلق العنان لقلمه ليعبر عن جانب من مشاعره وذاتيته، وكيف لا يفعل وهو يكتب عن تاريخ وطنه الذي يري العابثين يفسدون تاريخه وينكرون عليه حقائق آملين بذلك أن يستطيعوا مسخ هذا الماضي وتحريف أبنائه عنه، وكأنه كان يجد المسوغ والمبرر ليفعل ذلك، ومن الأكيد أننا نجد الحماسة تسري في جمله وعباراته

[1] – جيلاني ضيف، **المصدر السابق**، ص157.

[2] – **نفسه**، ص160.

وكأنه ما كان يكتب ليقدم التاريخ، وإنما يكتب ليرافع في تاريخ امة، ويسعي إلى ربط هذا التاريخ بواقع هذه الأمة التي تعاني تحت مظلة الاحتلال الفرنسي الذي يريد ان يفنيها بعد أن حاول جاهدا لتمييع ماضيها وأمجاد أبنائها الأولين[1].

كما تميز الكاتب في كتابة "هذه هي الجزائر" بلغة ثائرة تحمل عاطفة قوية وناقمة على الاستعمار الفرنسي وتظهر بشاعة جرائمه في حق الجزائريين ومن يقرأه يقف على هذه العواطف والثورة الموجودة في نفس "توفيق المدني"، والتي تخرجه عن موضوعية وهدوء ورزانة المؤلف في التاريخ، لكن عذره أنه يكتب عن وطنه الجريح، وطنه الذي هو تحت سلطة الاحتلال الفرنسي والذي قام بحملة منظمة ومدروسة لتحطيم الجزائر[2].

ويعتمد هذا الأخير على الصادق في أنباء التاريخ وعلى الثابت من أرقام الإحصاء، الحالة الحقيقية كأنه صورة طبق الأصل فلا مبالغة ولا تهويل، فلقد أوضح الكاتب منذ البداية منهجه في تأليف كتاب "هذه هي الجزائر" فقال أنه يخدم الثورة موضعا دون دعاية ولا تهويل، ومع ذلك فأسلوب المدني أسلوب سياسي حماسي وهو يعتمد على المنهج التاريخي في تناوله للمعلومات والإحصاءات وقد بناه على ثلاث مراحل هي: التعريف الجغرافي بالقطر الجزائري وسكان الجزائر إلى الاحتلال الفرنسي، ثم تحطيم أمة أو سياسة فرنسا الاستعمارية تجاه الجزائر، بعد ذلك تأتي المقاومة ثم الثورة الكبرى، ويتضح من ذلك أن جل الكتاب على الاحتلال والمقاومة والثورة.[3]

إن ضبط منهجية البحث التاريخي هو ليس كل ما قيل أو كتب حقيقة من الذين انتقدوه فالمؤرخ بأدواته المنهجية والمعرفية من مقارنة وبحث ونقد والأخذ أكثر من رواية ومصدر

[1] – جيلاني ضيف، **المصدر السابق**، ص 162.

[2] – **نفسه**، ص 164.

[3] – **نفسه**.

ومرجع حينها يستطيع إطلاق أحكامه في أحداث معينة، ولكنها تبقى حقيقة ما لم تظهر وثائق جديدة أو صدرت مذكرات لا تفند ما كنا نعتبره الصواب[1].

وقد أتصف الشجاعة الأدبية والعلمية في تزويد الأمة الجزائرية بمذكرات نحن في أمس الحاجة إليها، وإننا نقر بفضل توفيق المدني على الجزائر، ودوره وجميله لا ينكره اي عدو في كونه كتب الكثير عن الجزائر وتاريخها، فواجه بذلك الإدارة بفكره وبقلمه، وفند مراجع المدرسة التاريخية الفرنسية، وكان بذلك من الرعيل الأول الذي بنى نهضة الجزائر الكبرى، فإن الدراسات الجزائرية خطت خطوة هامة على يد هذا الأخير، وذلك بشهادة معاصريه، وذلك لكونه قد عاش في وسط ثقافي وسياسي بتونس يختلف على الذي عاشه الكتاب الجزائريون فكان عارف لخبايا اللغة الفرنسية، مما سمح له بالاطلاع على ما ألف بتلك اللغة عن تاريخ إفريقيا الشمالية عامة والجزائر خاصة، وكانت البحوث التي أصدرها في تقويم المنصور، قد أتاحت له فرصة البحث التاريخي لماضي المنطقة، وأعطت له الذوق في التأليف التاريخي[2].

لقد اعتمد "توفيق المدني" على الأسلوب الأدبي الخالص في "مسرحية حنبعل" مثلا التي تعطي القارئ البسيط كما تعطي الناقد المتمرس في النقد الأدبي الصورة المثلى والقياسية الأدبية وإبداعه، كما جمع في هذا العمل بين الشخصية التاريخية ذات الارتباط بالأقطار المغاربية لتكون مرجعية تاريخية يتخذها الشباب المغاربي، رغم قصر هذا العمل إلا أنه أبرز فيه المدني إبداعه الأدبي ورغبته في إيقاظ همم الشعب المغاربي ككل وبعث رسالة لهم بمواصلة عمل أجدادهم والرد على الغزاة[3].

نجد أن نشاط جمعية العلماء المسلمين أسهم في نظرة الاعتقاد السائدة في ذلك الوقت حيث كان لابد من عمل "توفيق المدني" أن يلتزم بالموضوعات التي تحقق الإصلاح الاجتماعي والسياسي للإخراج المجتمع من الظروف المأسوية التي كان يتخبط فيها، أما الشكل

---

[1] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص174.

[2] – **نفسه**.

[3] – الجيلاني ضيف، **المصدر السابق**، ص178.

والإبداع والتجديد والفن فكانت مساعي وأهداف ثانوية زهد الآداب، كما أن الرسالة التي كانت تود أن توصل إلى الشعب في هذه الفترة هي إيقاظه والدعوة إلى التخلص من تبعية الاحتلال، وتتجسد هذه الرسالة في التحريض على الثورة وإثارة المشاعر الوطنية، وهذا ما أكده المدني في كتاباته في هذه الفترة دون خوف أو تردد بمهارة إبداعية خاصة[1].

وكانت لغة "توفيق المدني" تدل على دراسة القلمية، وسهولة العبارات القوية أمامه فلا يشكو نقصا لغويا، وجاء أسلوبه في الوصف سهلا، وكان يضع حواشي لشرح بعض المواضيع الخارجة عن محور الموضوع، لتعريفه لشخصيات ومؤرخين غير أفارقة، واختار صورا أثرية لم يسبق نشرها في اللغة العربية، كصورة حنبعل، وبقايا أثرية رومانية، ووضع خرائط جغرافية تتصدر الكتاب، كبيرة الحجم بألوان خاصة بشكل شمال إفريقيا، وفي أخر الكتاب وضع مأخذه مقتصرا على ذكر العنوان واسم المؤلف، كما وضع فهرسه للصور والخرائط، وفهرسا عاما للمواضيع[2].

**ثانيا: مصادره ومراجعه**

نجد أن أحمد توفيق المدني لم يعتمد على المصادر والمراجع في مؤلفاته، إلا في بعض منها وحين يوظفها فإن معظمها بالغة الفرنسية، وعددها (26) في كتاب "قرطاجنة في أربع عصور"، منها تاريخ "الشمال الإفريقي" لمرسي، وكتاب "التاريخ القديم" لستيفن قوزال "Stifan Guzal" ومقالات من المجلة الإفريقية (العدد الصادر سنة 1922) وكتاب أصل البربر لرين "Rennes" وهذه الكتب أساس تاريخ إفريقيا الشمالية، وعلى الرغم من جهل المؤرخ للغة البونيقية واللاتينية إلا أن معرفته لخبايا الفرنسية قد سمحت له باقتحام موضوع قرطاجنة، وهو لا ينكر أعمال الغربيين على الدراسات الخاصة بتاريخ شمال إفريقيا، واستحقوا من الأمة

[1] – الجيلاني ضيف، **المصدر السابق** ، ص 180.

[2] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص 177

المغربية ومن التاريخ العام كل الشكر والثناء، ورغم اعتماده على تلك المراجع إلا أنه أصدر كتب مهمة، وبوجهة نظر قومية مغاربية وبلغة عربية[1].

أما المراجع العربية فهي لا تزيد عن اثنين، "ديوان العبر" لابن خلدون، و"رحلة الشيخ التيجاني"؛ وهي رحلة قام بها التجاني رفقة شيخ الموحدين الأمير أبي يحيا زكريا التجاني من تونس إلى شرق طرابلس الغرب ذهابا وإيابا، وأهم ما يتعلق بالجانب المعرفي فيها هو عندما تعرض لوصف مدينة ما إلا وذكر تاريخها وأثارها، وكان ابن خلدون نفسه اعتمد عليها[2].

كما نجده في "كتاب الجزائر" قد ساعدته معرفة الفرنسية الاعتماد على مؤلفات مكتوبة بأقلام فرنسية خاصة، منها كتاب موريس فيوليت "هل تعيش الجزائر"[3]، ستيفن كوزال "تاريخ أفريقيا الشمالية"، "تقويم المنصور" لسنة 1348هـ/1929م، بعض الدوريات كما اعتمد على مشاهداته لمعاصرته الأحداث، والمصادر المؤكدة هي التي تفيدنا بأخبار وتصف أحداثا خاصة بالفترة التي عاش فيها صاحبها، ذلك لان الكتابة التاريخية المعاصرة لزمن الأحداث تعتمد كثيرا على المعاينة والمشاهدة والسماع من مصادر متنوعة، واستخدام وثائق في غاية الأهمية، مؤلفة من نصوص رسمية، وإحصاءات وقوانين مأخوذة كلها من دفاتر الإحصاء الرسمي لسنة 1931م، وقد وظف "توفيق المدني" في "كتاب الجزائر" طريقة غير مألوفة وهي وضعه لخط من أول الكتاب إلى آخره تحت كل جملة تفيد بأن الجزائر لا تعتبر مقاطعة فرنسية، أو تعبر عن الشخصية الجزائرية[4].

ونجده في كتاب "محمد عثمان باشا داي الجزائر" الذي كان حجرة أساس على ما نقله عن سيرة "محمد بن عثمان" من كتاب نقيب الأشراف بالجزائر "الحاج أحمد الشريف الزهار"، وفي اعتماده على هذا الكتاب أهمية كبيرة، إذ أن كاتبها كان من هواة تسجيل الأحداث حسب

[1] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق** ، ص177.

[2] – **نفسه.**

[3] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، المصدر السابق، ص 422.

[4] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص 183

"توفيق المدني"، ويعتبر صاحبها من أهم مؤرخي الفترة العثمانية، وذلك لأصاليته في الرأي وصدقه في الرواية وعدم الخضوع للحكام، كما اعتمد هذا الأخير على شهادات رسمية فرنسية عما أرتكبه الفرنسيون ضد الجزائريين في بداية الاحتلال ومقارنتها بأعمال العثمانيين، ورجع إلى كتب أخري، من غزوات عروج وخير الدين[1].

ويغلب على مراجعه تلك المكتوبة بالفرنسية منها: مدنيات شمال إفريقيا" لبيكي" Becky، تاريخ الجزائر العام "جارو" Jaro، وكان على الهامش موجز تاريخ الجزائر العثماني يذكر الموجز الحوادث عامة والأوربية خاصة، المعاصرة للفترة التي يؤرخ لها "توفيق المدني"، وأخذ ذلك من كتاب يدرس به رسميا في المدارس العليا، وهو كتاب المؤرخ الفرنسي "مالي" Mali، واعتمد كذلك على دفتر التشريفات، وهو أسم السجل الرسمي الحكومي الذي كانت الإدارة التركية الجزائرية ترسم فيه أعمالها ومذكراتها العامة، ويعتبر هذا السجل من أهم مصادر التاريخ العثماني إضافة إلى اعتماده على مقتطفات من مذكرات المستشرق الفرنسي فونتير دي بارادي السابق ذكره[2]، أما الشعر الشعبي[3] فلقد لجأ إليه، عندما عرض أنشودة جزائرية شعبية في حرب الدنمارك، وهي من أهم مصدر يصف الأحداث[4].

**ثالثا: آثار كتبه لدى معاصريه**

عند التحدث عن أحمد توفيق المدني سواءً فيما يخص نضاله أو مؤلفاته، فإن المعنيين بموضوعه ينقسموا إلى صنفان: الصنف الأول يسهب في مدح جهاده الفكري والقلمي، ويضعه في مقام رفيع مع مشاهير الوطن العربي، أما الثاني فإذا تحدث عنه قلل من شأنه وطعن فيه ووصفه بما لا يتفق وحياته التي قضاها في خدمة الجزائر والعروبة والإسلام.

---

[1] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص199.

[2] – **نفسه.**

[3] – هو شعر العامة له مقاييسه وأصوله الفنية وموازينه التي تبنى على أساس موسيقى القافية والإنشاد معاً، كما تعددت أغراضه ومواضيعه. للمزيد ينظر، محمد الصالح بن علي، **الألغاز الشعبية وادي سوف (دراسة)**، ط1، مطبعة مزوار، مديرية الثقافة لولاية الوادي، الوادي، 2012، ص38.

[4] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص 199.

**1- المادحين لأعماله:**

لقد كان لكتابات توفيق المدني أثر كبير على معاصريه، وهذا راجع إلى تحليه بالشجاعة الأدبية والعلمية بتزويد الأمة الجزائرية بكتب قيمة، ففي ظل الظروف الاستعمارية نجد أن صفحات "توفيق المدني" كان لها الصدى في الداخل والخارج، فذكر في كتابه "كتاب الجزائر" أنه يحتفظ بـ 533 رسالة أغلبها من البلاد الجزائرية وهي تقريظ للكتاب، ومن خلال تصفح الكتب المختلفة، وجدت تقاريظ عديدة، فقد قال "شارل روبير أجرون": <<منذ سنة 1931م تأسست جمعية العلماء الإصلاحية، من بينهم "مبارك الميلي" و"توفيق المدني"، وهما أول من ألف في التاريخ الوطني الجزائري بالعربية، فكتاب التاريخ الذي ألفه المدني 1931م كان يحمل فوق علاقة شعار جمعية العلماء: الإسلام ديننا، الجزائر وطننا العربية لغتنا ...>>[1].

وعقب صدور الكتاب لقي استحسانا كبيرا، وتلقى مؤلفه رسائل التهنئة والتقدير التي بلغت المئات حسبما ذكره، وقد أشاد به مفكرون، ومؤرخون كبار، وما كتبته مجلات "القبس"، ومجلة "البحوث الإسبانية" و"الأهرام"، كما عني بنقده والكتابة عنه والاقتباس منه جمهرة من العلماء والباحثين أمثال "شارل أندري جوليان "، و"جاك بيرك "، و"شارل روبير آجرون"و "ما سينيون"، ويقول الباحث "محمد قنانش": <<كلما رجعت إلى مقدمة أجدها شعلة من الوطنية تتقد حماسة وتفيض إحساسا وشعورا، أطوي الكتاب، فتطل على من الغلاف تلك الجمل الثلاث التي أصبحت شعار للوطنية، فلا ألبث أرددها معه>>[2].

[1] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص184.

[2] – عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية بتونس والجزائر 1899-1983م**، المرجع السابق، ص109.

ويري المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" أن كتاب الجزائر يشبه الى حد كبير كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة، وقد ظهر المؤلف في ما قدمه، وأنه من دعاة التجديد حيث تحدث عن قضايا المجتمع كالتعليم والصحافة والمرأة، والشباب (...) إلخ[1].

أما "توفيق المدني" فقد وصف عمله بالقول: <<هذا كتاب الجزائر (...) وأنه لصورة حقيقية لقطر الجزائر السعيد لم نرسمها بريشة مصور يعتمد التحسين أو التشويه إنما رسمها قلم باحث جعل همه ذكر الحقائق كما هي>>[2].

ويخلص أحد الباحثين في تقييمه، إلى التأكيد على أن الكتاب يشكل احدي المساهمات الأساسية في المسعى الرامي إلى الأحياء الوطني، الذي شرعت فيه الحركة الإصلاحية إلى جانب إنتاجات بعض الأفلام من ذوي النزعة العلمانية[3].

بالرغم من ذلك يتضح لنا من مضمون الكتاب، أن مؤلفه تناول فيه خلاصة للتاريخ الجزائر وعرضا للوضعية السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية بنظرة متفتحة باحثة عن الحلل وقدم معلومات خاصة وعامة وانه جد مدرك لواقع الشعب الجزائري وسياسة الإدارة الفرنسية فكانت أخباره نتيجة ثقافته الشخصية ومعرفته الخاصة، وبعضها استقاها من الإحصاءات الرسمية، وعبر المدني فيما خطه عن مواقفه من الأوضاع، وابدي رأيه في القضايا المطروحة وقد التزم فيما قدمه الصدق والدقة في تسجيل الأحداث[4].

---

[1] – عبد القادر خليفي، **الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونية**، المرجع السابق، ص9.

[2] – أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص373.

[3] – عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية بتونس والجزائر 1899– 1983**، المرجع السابق، ص 112.

[4] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص191.

إن "كتاب الجزائر" عظيم الأهمية لدراسة الحياة العامة في الجزائر لان المؤلف "عرض فيه لأول مرة تاريخ الجزائر وواقعها على حسب وجهة النظر الجزائرية الإسلامية العربية، وشرح حال الشعب في مختلف مناحي الحياة[1].

وقال أحد المؤرخين أن "كتاب الجزائر" موسوعي قدم تاريخا وطنيا وعرفه بالموسوعة الوطنية الجزائرية، ويعتبر هذا الكتاب فريد من نوعه خلال فترة الدراسة، فلم يسبق أحد الكتاب الجزائريين المدني إلى هذا الموضوع، فأغلب من سبقه كانت قصارى جهدهم لمعالجة الموضوعات التاريخية المجردة عن العناصر الأخرى التي تتصل بجغرافية والثقافة والحياة الاجتماعية بوجه عام، فتوفيق المدني مزج بين التاريخ والوطنية والحضارة والإدارة مما كان له علاقة بحياة الشعب الجزائري أن كتاب الجزائر من حيث الأفكار التي تطرق لها تلخص فكرة المدني عن الإصلاح، ورأيه في المجتمع واستيعابه لواقع ومتطلبات عصره، وعن هذا الكتاب قال مولود قاسم نايت بلقاسم " لو لم يكن الأستاذ أحمد توفيق المدني إلا هذا الكتاب لكان يكفيه"[2].

يقول المؤلف <<أن الهدف من وضعه "كتاب الجزائر" هو كشف الزيف الاستعماري حول تاريخ الجزائر>>، ويضيف لاحقا <<إنكم ترون كما رأيت أن أبناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيء>>، ولهذا <<جمعت لكم بين دفتين ما يجب على كل جزائري مسلم أن يعرفه على بلاده>>[3].

ولهذا السبب فإن مؤلف الكتاب لم يقتصر على التاريخ فقط بل حاول جمع كل ما يتعلق بالجزائر ماضيا وحاضرا، ولهذا جاء المؤلف على شكل "كتاب جيب تاريخ الجزائر" حسب

[1] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق** ، ص 192.

[2] – **نفسه**، ص 193.

[3] – رابح لونيسي، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف 1920-1954**، المصدر السابق، ص 368.

تعبير "أبو القاسم سعد الله"، كما أراد مؤلفه حسب ما يبدو استكمال مالم يورده "مبارك الميلي" في كتابه الموسوم بـ "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، ولذلك أولى "توفيق المدني" اهتماما كبيرا بتاريخ التواجد الفرنسي ومختلف ردود الفعل الجزائرية تجاهه[1].

ويبرز لنا كتاب "قرطاجنة في أربعة عصور" خريف أطروحات حربي وأمثاله التي تقول بأن الاتجاه الإصلاحي قد أهمل تاريخ البربر قبل الإسلام، فقد كان هذا الكتاب نموذجا حيا لتاريخ المقاومات البربرية ضد الاحتلال الأجنبي، مما يجعله يترك تأثير كبيرا على بعض أصحاب النزعة البربرية، فقد كتب "محمد أيدير" و"آيت عمران" مثلا عن هذا الكتاب بأنه قد "قلب وجودي وحدد نهائيا توجهاتي ومشاعري وإيديولوجيتي الوطنية (...) وقد كان بالنسبة لي حقيقة جديدة (...) حيث أكتشف أن تاريخ بلادي لا يعود إلى القرن السابع الميلادي فقط، لكنه أبعد وأعمق من ذلك[2].

ويضيف قائلا: <<وقد قرأت الكتاب عدة مرات لأنه ربط بين الحاضر والماضي الغامض>>، ورغم ما تميز به الكتاب من اختصار وهفوات، إلا أن ما وظفه دل على حسن في الاختيار خصوصا في الكشف ولأول مرة عن الأحداث الهامة، وإذا كان المدني قد تناول في البداية التاريخ المغاربي القديم، فإنه عمد بعد ذلك إلى تصنيف مجال التأليف وقصره عن الجزائر فقط، خاصة بعد الاحتفالات المئوية، وهو ما تناوله في "كتاب الجزائر"[3].

أما كتاب "محمد عثمان باشا"؛ فبعد صدوره أقرظه الإمام "عبد الحميد بن باديس"، وأثنى على مؤلفه في ركن ثمار العقول والمطابع بمجلة الشهاب[4]، ودعا أبن باديس الشباب المسلم إلى مطالعة قائلا: <<إنه يتحتم على كل مسلم جزائري أن يقرأ هذا الكتاب وإنك إذا ختمته أيها

---

[1] – رابح لونيسي، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف 1920–1954**، المصدر السابق، ص 368.

[2] – **نفسه**، ص 366.

[3] – **نفسه**.

[4] – عبد القادر خليفي، **الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونية**، المرجع السابق، ص14، 9.

المسلم الجزائري، لابد أن تخرج منه تحب من يجب أن تحب، وتبغض من يجب أن تبغض>>[1].

ومن جهة أخرى نوه الباحث "محمد قنانش" بهذا الإنتاج العلمي[2]، فكتب قائلا: <<ظهر كتاب محمد عثمان باشا يحمل بين دفتيه تلك الصفحة الناصعة من عصر الأتراك بالجزائر الذي طالما شوهه المغرضون، وصوره بصورة لا تتلاءم إلا مع العصور الوسطي في أوروبا، وقد وقف الأستاذ المدني يفند جميع التهم الواهية التي ألصقت بهذه الفترة من تاريخ الجزائر>>[3].

ونشير إلى كتاب "جغرافية القطر الجزائري": الذي لقي تنويها وتقريظا من لدن العديد من الدارسين، من ذلك ما كتبه المؤرخ عبد الرحمان الجيلالي: <<حاز به فضل السبق، فيه دراسة مفصلة لفرع آخر من فروع العلم والمعرفة وهو فرع حساس، يتصل بأعماق مشاعر سكان المغرب بصفة عامة، وسكان المغرب الأوسط منهم بالخصوص (...) فلقد أفاد به النشء الجزائري بالمدرسة العربية، وحتى خارج المدرسة العربية (...) فلولا "المدني"، ما عرف قراء العربية من أبناء هذا الشعب، وضعية بلادهم جغرافيا ولا سياسيا، ولا طبيعيا ولا اقتصاديا>>[4].

وتقديرا لهذا الإنجاز الذي وصف بأنه قطع من الرياض نظم الشاعر" أحمد سحنون" أبياتا بعنوان "توفيق أعطيت توفيقا" نشرت بالبصائر، فبعد صدور كتاب "المسلمون في جزيرة صقلية" كتبت "البصائر"، <<كتاب جلا فيه مؤلفه صحيفة من صحائف الفتح الإسلامي، وسد به نقصا طالما شعر به الباحثون في تاريخ الإسلام، كلما أنتهي بهم البحث إلى تلك الحقبة من

[1] – عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية بتونس والجزائر 1899–1983م**، المرجع السابق، ص 112.

[2] – عبد القادر خليفي، **الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونية**، المرجع السابق، ص14.

[3] – عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية بتونس والجزائر 1899–1983م**، المرجع السابق، ص112.

[4] – عبد القادر خليفي، **الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية**، المرجع السابق، ص16.

الزمن في تلك القطعة من الأرض، فأعوزتهم الوثائق والمستندات وعسى أن يكون كتاب الأستاذ المدني حافزا للباحثين حتى يصلوا لما انقطع من هذه المباحث>> وقد وصفه "محمد قنانش" قائلا: <<أن هذا الكتاب تحفة نادرة، ودرة نفسية في جبين التاريخ الإسلامي، فهو معلمة تاريخية وأدبية عن جزيرة صقلية>>[1].

أما كتاب "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا": فقد رأى الدكتور "عبد المالك مرتاض" <<أن توفيق المدني يجب أن يعد في الطبقة العليا من المؤرخين الجزائريين بكتابة حرب الثلاثمئة سنة" ففي عرضه برهنة على مقدرة الرجل على عرض الأحداث التاريخية وليس تحليلها، ولا يمكن من إلا من كانت له معارف تاريخية واسعة>>[2]، وحسب الدكتور أبو القاسم سعد الله "فإن المترجم له قد سما بهذا الكتاب حيث عبر ذلك بقول: <<وقبل أن يكون حرب الثلاثمئة سنة كتابا في التاريخ، فهو عمل تقدمت به صناعة التاريخ الجزائري أشواطا، وسيظل (أي الكتاب) عمدة في ميدانه إلى وقت غير قصير فقد أستعمل فيه المؤلف وثائق هامة، وبوبه تبويبا سهلا وحد فيه بين الروح مؤرخ يبحث عن الحقيقة، وروح سياسي وطني واثق من أنه وجدها>>[3].

كما نجد أقوال بعض الشخصيات البارزة التي أعطت رأيها، بداية مع قول الأمير شكيب ارسلان[4]: <<حيث كتب تقريظا مستفيضا لكتاب الجزائر على صفحات صحيفة الفتح، بتاريخ 1350/11/3 مما جاء فيه من أحسن ما أخرج في هذا العصر (كتاب الجزائر) بحق الأستاذ

[1] – عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية بتونس والجزائر 1899–1983م**، المرجع السابق، ص115.

[2] – **نفسه**، ص 117.

[3] – أبو قاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، ص ص 349–347.

[4] – شكيب بن حمود بن حسن بن يونس بن فخر الدين بن حيدر سلمان ويستمر هذا النسب الى الأمير أرسلان، وقد ورث عن بيت الأمارة الذي نشأ فيه ما توارثه رجاله من خصال أهمها الشجاعة والكرم والجمع بين العروبة والإسلام، وأستطاع بلسانه وقلمه وعلمه أن يكون مضرب المثل بالنفس الخطيرة، وهو من طائفة الدروز ولد في بلدة الشويفات يوم الأثنين 1 رمضان 1286هـ/25 ديسمبر 1869م. للمزيد ينظر، أحمد الشرباصي، **شكيب أرسلان**، (د– ط)، ج1، دار الكتاب العربي، مصر 1963م، ص ص 68–70–74. للمزيد ينظر الملحق رقم (18)، ص 152.

السيد احمد توفيق المدني، أكثر الله في الإسلام من أمثاله أحصى المؤلف في هذا الكتاب الثمن كل ما تلتزم معرفته من أمور المغرب الأوسط من تاريخ وجغرافية وإدارة واجتماع واقتصاد، وغير ذلك بعبارة سهلة بليغة سائغة، بليغة لا تمل بأطناب، ولا تخل بإيجاز، ولا اقتضاب>>[1].

كما يجب أن نتطرق إلى قول العلامة "محمد البشير الإبراهيمي" من خلال قوله: <<قلت في حياة كفاح تعقيبا على هذه الرسالة البليغة: "وشاء ربك أن تنفرج الأمور بعد حين وأفرج عن الإبراهيمي، وباشر سلطته في رئاسة العلماء (...) مناسبات آتية، وفي رسالة أخرى يقول وصلتني رسالتكم الأخيرة في بريد، فحمدت الله على سلامتكم وشكرتكم على نشاطكم في أعمال الجمعية، وقد تجلي في هذه السنة تجليا ملأ النفوس والمسامح، والأعين، ولفت الأعناق والأذهان، شكري إياكم لا يزيد في قيمتكم وقيمة أعمالكم، وإنما أحثكم على المزيد وادعوا لكم بالتوفيق>>[2].

ونشير أيضا إلى رأى مبارك بن محمد الميلي إذ يقول: <<إني أشكركم شكرا معترف بفضلكم على الوطن والعربية، شكر معترف بنشاطكم في خدمتها وتنشيطكم.. اعلم حشرة الكتب الفرنسية وحسن نظامها، وإلا أجد من يعرب لي منها، وحاجتي إلى الكتب الفرنسية من حيث المادة والنظام ومن حيث الاطلاع على مقاصدهم، إنني لم أجد معينا ولا منشطا غيرك، فكن واسع الصدر إذا كلفتك بما لا تطيق>>[3].

ونجد كذلك قول "محمد الصادق عيسات": << سيدي أن ما كنت أحس به في جنابكم المحترم من القديسة الإسلامية والنخوة العربية والمعارف الواسعة، والإحسان الجم وان الذكريات التي تهز منا الوجدان، وتحرك منا الشعور، بذكر أيام الجهاد المتواصل تحت راية العروبة

[1] – أحمد توفيق المدني، **رد أديب على حملة أكاذيب**، (د–ط)، البصائر، الجزائر، 2009م، ص220.

[2] – **نفسه**.

[3] – **نفسه**، ص 235.

والإسلام والوطنية الحقة مع أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من أساتذتنا ورفقائنا من الذين سبقونا إلى رحمة الله من الأستاذ باعث النهضة عبد الحميد بن باديس، والى خليفته الأستاذ الإبراهيمي ومن بينهما>>[1].

كما نعرج لقول العلامة "محمد الفاضل أبن عاشور"[2]: << سيدي وأخي وأستاذي حقا، ومصدر فخري جدا وصدقا أدام العز بسلامة والبهجة بعافية، والغبطة بعلى منزلته، والفائدة بغزير علمه وشريف محاضرته كما استشعرت من اعتزاز بحظيكم مقامكم، وما اكتنزت من علمكم وأدبكم>>[3].

وتجدر الإشارة إلى قول "عبد العزيز الثعالبي"[4]: <<قال سرور بحيويتك العقلية النامية، وسرور بنشاطك المغري، وسرور بهدايتك ووضوح حجتك، وسرور بانقطاعك إلى وجهة الخير الشامل للمسلمين، حقا يا أحمد انك موفق التوفيق كله فيما ذهبت إليه من الإيجاب على من يريد الاضطلاع بالعمل لنهضة المسلمين أن ينصرف بكل ما أوتيه من حول وقوة لتذليل المصاعب التي يلقيها ويقتحمها بثبات لا هيابا ولا كلالا (...) الخ>>[5].

---

[1] – أحمد توفيق المدني، **رد أديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص 240.

[2] – (1909–1970) رجل من رجال عصر النهضة، بالنظر إلى ما كان يحيط به من جو رفيع، ليجتاز بخطي سريعة الطريق المؤدية إلى التعليم العالي، تردد على التوالي الخلدونية ومدرسة العطارين، وجامع الزيتونة، اندفع بكل حماس في البحث عن النصوص الأدبية واستكشاف المخطوطات النادرة التي كانت تزخر بها مكتبة والده، وبناء على ذلك يمكننا أن نؤكد أن هذا الرجل المؤثر في الجماهير الشعبية. للمزيد ينظر، الصادق الزمرلي، **الأعلام التونسيون**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص353.

[3] – أحمد توفيق المدني، **رد اديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص242.

[4] – ( 1879–1944) ابن ابراهيم عبد الرحمان الثعالبي الجزائري، درس بجامع الزيتونة انظم إلى أول حزب تأسس بتونس عام 1895م، ثم أسس الحزب الوطني الإسلامي وكتب في الصحف المحلية داعيا إلى الاستقلال والحرية، فأغلقت سلطة الحماية صحيفتين المنتظر والمبشر فأصدر سبيل الرشاد، تزعم قيادة الحزب الحر الدستوري التونسي منذ 1920م. للمزيد ينظر، قدادرة الشايب، **الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934–1954 م دراسة مقارنة**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006–2007م، ص72.

[5] – أحمد توفيق المدني، **رد اديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص258.

دون أن ننسى قول المفكر "مولود قاسم نايت بلقاسم"[1] قال: <<هو أب روحي الأجيال بفضل ما قدمه من أثار لشباب هذه البلاد بصفة خاصة، وخدمة للأمة الإسلامية الكبرى بصفة عامة ففي العشرينات كتب كتبا كانت نبراسا لشباب هذه الأمة الصغيرة في أنظار الأمة الكبيرة، في وقت كانت ركزت فيه وسائل المسخ والإذابة وكل وسائل الإدماج والسلخ على هذا الشعب وبالضبط في سنة 1925م، إذا ما كانت ذاكرتي صحيحة، نشر الأخ الجليل "كتاب الجزائر" الذي ذكر فيه مراحل تطور هذه الأمة الصغيرة، كما قلت في إطار الأمة الكبيرة وجهادها ومساهمتها في إطار الحضارة الإسلامية وفيه كذلك ذكر وتفصيل حقا للاستعمار الفرنسي في مراحله العديدة، وأمد الله لنا للأمة الإسلامية في عمر الأخ الذي يفيض شبابا كما رأيتم روحا وجسما ...الخ>>[2].

كما ننوه إلى قول الأمير "خالد بن هاشم"[3] حفيد الأمير "عبد القادر الحسيني": <<الأديب الفاضل والوطني الغيور السيد أحمد توفيق المدني، وبعد لقد اتصلت بتحريركم، وما احتوى عليه من الدرر النفيسة والإحساسات السامية والوطنية الحقة، صار قرين الإذعان، كثر الله أمثالكم أهل الشهامة والأنفة والحماس، أن كتابكم النفيس جمع فأوعي، ولم يترك شاردة ولا واردة إلا أحصاها، والحق اقول إن الدر، في بلادنا لنادر فبزوغ أنوار معارفكم في وقت تحتاج فيه البلاد إلى أمثالكم لما يبشر بالمستقبل باهر لوطننا العزيز الأفريقي، وقد أتيتم بعمل جسيم لم

[1] – مثقف ومفكر سياسي جزائري، ولد سنة 1927م في قرية "بلعيال" بآيت عباس، بلدية "إغيل على "دائرة "آقبو" ولاية بجاية، بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم بقريته، كان مناضلا في حزب الشعب، وكان مناضلا مع الوفد الدائم لحزب الشعب الجزائري في القاهرة (1950–1954م)، كان يكتب ويحاضر بخمس لغات، وأعلن عن وفاته يوم انفجار مطار هواري بومدين 27أوت 1992. للمزيد ينظر، عبد الكريم بوصفصاف **معجم أعلام الجزائر**، ج2، المصدر السابق، ص ص628–633.

[2] – أحمد توفيق المدني، **رد أديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص268.

[3] – (1875–1936م) ينتمي الأمير خالد اكثر من أية شخصية أخري إلى الميثولوجيا التاريخية للجزائر المعاصر، فهو لم يكن من الذين يركنون إلى الهزيمة ويقبلون بها فقد درس في معهد لويس لوجران ثم في الكلية العسكرية بسان سير، بدأت مشاكل الأمير مع الإدارة سنة 1913 م حيث قرر الدخول في الحياة السياسية، اعتزل الحياة السياسية سنة 1923، باتفاق بينه وبين السلطة، واستعاد نشاطه سنة 1924م، وقد تحالف مع الشيوعين، وانتهي دوره 1926م، عند ظهور نجم شمال افريقيا. للمزيد ينظر، محمد حربي، **المصدر السابق**، ص176.

يسبقكم اليه أحد في بلادنا من فطاحل المؤرخين، فأنتم من الرجال الذين نفتخر بهم وبأعمالهم الخالدة ..الخ>>[1].

كما نجد كذلك قول "أحمد سحنون": <<كما جاء في ديوانه[2] (صفحة 284) وقال أهدي إلى الصديق الكريم الشيخ أحمد توفيق المدني نسخة من مؤلفه الجديد "جغرافية القطر الجزائري" فأعجبت بالروح الوثاب في مؤلف الكتاب الذي ما يزال حواما في أجواء تاريخ الجزائر يعرض منه من حين الأخر صفحات مثل قطع الرياض خدمة لبلاده واستمرار في جهاده، وأكبرت في توفيق هذا التوفيق، (توفيق) أعطيت توفيقا وتسديدا، فاكتب وجدد عهود الضاد تجديدا (...) إلخ>>[3].

**2- المنتقدين لأعماله**

وكأي عمل لا يخلو من الانتقاد فقد تعرضت مؤلفات أحمد توفيق المدني لذلك، ونجده قد استعمل المنهج الحديث، كما أعتمد على ست وعشرين مرجعا فرنسيا، واكتفي فقط بمصدرين عربيين ويتعلق الأمر بكتاب العبر لأبن خلدون ورحلة التيجاني، بالإضافة إلى صور أثرية تعود إلى العهود الرومانية[4].

وعلى الرغم من أن توفيق المدني وضع قائمة للمصادر والمراجع التي أخذ منها، إلا أن أغلب ما جاء به كان بدون الإشارة إلى مصدر الروايات التي اعتمد عليها، لذلك يصعب التحقق مما أخذه، ومقارنة بالميلي، فإن الأخير أحسن استخدام بعض الإحالات، بينما المدني كان يكتفي بالإحالة أحيانا في المتن بذكر: "قال فلان" ويبدو أن هدفه كان إيراد المعلومات لا

[1] – أحمد توفيق المدني، **رد أديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص270.

[2] – ينظر الملحق رقم (19)، ص 153.

[3] – أحمد توفيق المدني، **رد اديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص ص280– 281.

[4] – رابح لونيسي، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف 1920–1954**، المصدر السابق، ص ص 366–367.

أكثر وقد استخدم أسلوب المبالغة، فغلب عليه الطابع الأدبي القصصي، وللتأكد من ذلك نورد هذه الفقرة الواصفة لإحدى الحروب: <<.. صارت الحرب هائلة والفظائع منكرة، وتفاقم أمر الثوار وطال عليهم الأمد، فأكلوا خيولهم، ثم آكلو جيف الأموات، واشتدت المخمصة فأكلوا الأساري ثم أكلوا العبيد، ثم أكلوا لحمهم وهم أحياء>>[1].

والواقع أن التاريخ لا ينفصل كثيرا عن الأدب ونجد كثير من المؤرخين أصل تكوينهم في اللغة العربية وآدابها، ثم ولوا عقولهم صوب التاريخ، وتتلمس أدبياتهم في كتاباتهم التاريخية، وإذا أردنا أن نكتب بصفة أكاديمية فإنه يتحتم علينا أن نستعمل المصطلحات وفق حاجة النص له كما ننبه إلى أننا في أمس الحاجة لقاموس خاص بالمصطلحات التاريخية حسب كل تخصص، مثلما نجده في أقسام اللغة، كما أنه يسلم بقصص ويتباهى بها، وتبدو غير معقولة من ذلك قوله: "أن نساء قرطاجنة كن يتباهين في سبيل الدفاع الوطني، بقطع شعورهن الغزيرة وتقديمها للعاملين، لتجعل حبالا لشد السفن "فهو يمثل هذا الأسلوب يجعل من المعلومات أساطير، مما يضفي الشك ويفتح المجال للنقد[2].

أما "كتاب الجزائر" لم يخل من النقائص والأخطاء التاريخية، فعندما أرخ للدول التي مرت على الجزائر، لم يذكر الدولة الحفصية وهي من الدول الإسلامية التي بسطت سلطتها الفعلية على النصف الشرقي من الجزائر وأخضعت مرارا ملوك الدولة الزيانية التي كانت تحكم النصف الغربي من نفوذها، وأخبار هذه الدولة موجودة في كتاب الفارسية "لابن قنفد القسنطيني" وتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية "للزركشي"، وبما أن هذا القطر دخل مرارا تحت حمايتها وحكمها كان من المفروض أن يخصص لها جزء في كتاب الجزائر، وأطلق تسمية "الدولة " على بعض الحكومات الإسلامية كدولة بني حماد مسيلة، بينما أطلق تسمية "الإدارة "على البعض الأخر كإدارة الأغلبية والفاطمية، في ذلك تنقيص واستصغار لهذه الأخيرة التي ملكت مصر والشام في

[1]– ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص 190.

[2] – **نفسه**.

حين اهتم المدني في الصفحة 23 بأحداث 140 هـ/ 737م، من ظهور أبي قرة الصفري بتلمسان واجتماع البربر حوله منفصلين عن مذهب مالك معتنقين مذهب الإباضية[1].

إلا أن مذهب مالك لم يكن آنذاك في كل المغرب العربي، إنما كان في عهدة حكم إدريس الأول (حكم بداية من سنة 172م)، الذي قام للقضاء على ما كان بالمغرب من مختلف العقائد والأديان واقتصر على مذهب مالك، والذي ادخل موطئ مالك للمغرب هو أبو الحسن علي بن زياد وعنه اخذ الإمام سحنون، وقوله في نفس الصفحة: "في هاتيك الأثناء أسس المولى إدريس الأكبر الدولة الأدريسية بالمغرب الأقصى وجعل فاس عاصمة لها "، وفي ذلك خطا من الناحيتين، فالمولى إدريس الأكبر لم يؤسس الدولة الادريسية إلا في 172هـ /788م، وليس هو الذي أسس فاس وجعلها عاصمة، وإنما ولده المولى إسماعيل إدريس وذلك سنة 192هـ/807م كما أنه دولة بني الأغلب بربرية، ولكنها لم تكن تمت للبربرية بصلة، فرجالها عرب، وسبغتها كانت عربية صرفة، وفي الصفحة 87 عد المؤلف العلامة المؤرخ شريف سيدي محمد الطيب القادري مؤلف نشر مثالي، من نبغاء الجزائريين ويذهب احد الكتاب المغاربة إلى أن ذلك وهم فإن المذكور من أهل فاس ولد بفاس 1124هـ/1712م، وتوفي 1187هـ/1773م[2].

وعند حديثه عن تاريخ الصحافة بالجزائر، وعدد ما يصدر بها من الجرائد والمجلات العربية اغفل مجلة "افريقية" التي تصدر بالعاصمة تحت إدارة مؤسسها المستشرق "بودي لوي" سنة 1919م، كما أنه أغفل ذكر منطقة جريدة "صدى الصحراء" وذلك ببسكرة وإذ كان التأريخ مبنية على السنين، فإن "توفيق المدني" أهمل في بعض المواقع تعيين التاريخ الهجري من المسيحي وذلك ما سبب اضطراب القارئ فلا يعرف أيهما يأخذ، فمثلا قوله في تاريخ بلدة "القرارة" ص211، أنها تأسست في أواسط القرن 11 بدون ذكر للهجري أو الميلادي كما انه جعل عمر الدولة الرستمية 132 سنة، والمعتمد أنها لم تتجاوز 130 سنة، ثم انه عزا تأسيس

[1] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص 190.

[2] – **نفسه**.

البليدة لسيدي احمد الكبير بإعانة مهاجري الأندلس في سنة 1553، بينما نراه يؤرخ وفاة هذا الرجل سنة 1550 من الصفحة نفسها!، فما هذا الاضطراب وعدم التركيز والتأكد، واغفل تراجم الفطاحل المشهود لهم بالعلم والأدب والإصلاح كالشيخ مصطفي بن خوجة والشيخ [1]عبد حليم بن سماية[2]، وفي الصفحة 288 ذكر إن تأسيس مدينة وهران سنة 902هـ/1496م، والمعروف أنها تأسست أنها على يد محمد بن عبدون ومحمد بن أبي عوداة وجماعة من الأندلسيين سنة 290هـ/902م[3].

أما فيما يخص كتاب "عثمان باشا داي الجزائر": فقد كان توفيق المدني يظهر عاطفته وميله للحكم العثماني عامة ومحمد عثمان باشا خاصة، فنجده يردد رحمه الله الله بكثرة، وبها يكون قد ابرز عاطفته وهو يؤرخ، لم يضبط المعلومات جيدا، فالأخوان بربروس اتفقا مع السلطان الحفصي أبي عبد الله على جعل تونس مركز لغاراتهم البحرية وذلك ما ذكره المدني، ولكنه ما اشترطوه على السلطان باستفادتهم من الرسوم في الموانئ التابعة مقابل حصولهم على خمس 5/1 الغنائم البحرية وكانت خلاصة الحكم العثماني مختصرة جدا، واهتمت بالجانب السياسي والعسكري بصفة خاصة، ولم نرى اهتماما بالجانب الاجتماعي خاصة، وحينما ذكر مشاهير العلماء والأدباء اكتفي بذكر السنة الهجرية، فكان عليه أن يضع يقابلها من التاريخ الميلادي ويطبق ذلك على كل الصفحات، وفي ذكره لمؤلفات أولئك العلماء، ذكر عناوينها ولم يذكر معلومات أخري منها محققة، مخطوطة، متوفرة، مفقودة، ...الخ[4].

---

[1] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص191.

[2] – ولد سنة 1866 في قلب مدينة عبد العزيز الثعالبي في الجزائر العاصمة، حفظ القرآن الكريم، تولى التدريس في المدارس الحكومية، درس بالمدرسة الثعالبية، عمل صحافياً في العديد من الصحف التونسية، له عدة كتب في التصوف والفلسفة، لكن كلها مفقودة، توفي سنة 1933. للمزيد ينظر، عبد الحميد بن باديس، **آثار ابن باديس**، تص: عمار طالبي، ج1، ط1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ص28.

[3] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص 193.

[4] – **نفسه**، ص 200.

من خلال تتبع آراء توفيق المدني وبصفة عن محمد بن عثمان باشا نجد أن هذه الشخصية احتوته وتأثر بها أيما تأثير، لدرجة أنه تغاضى وتغافل عن حقائق ميزت محمد بن عثمان، حقيقة أن هذا الباشا كان عهده عهد ازدهار وقوة، ولكن المدني لم يتدخل ولم يبدي رأيه في إحدى القضايا بمترجمه، ففي القسم الرابع من الكتاب فيه مقتطفات من مذكرات "فونتيردي بارادي" ذكر أنه عندما وقع الصلح مع اسبانيا قدمت "هيّأت أبار الشكر" لاسترجاع الأساري الإسبان وترك الترك والعرب في أسر الإسبان إلى أن افتقدهم سلطان المغرب محمد، والبقية منهم أطلقها ملك اسبانيا إكراما له[1].

ما يلاحظ أن "محمد بن عثمان باشا" قد ترك الأسرى الترك والعرب، ولكن حسب المعاصرين فأن موقف الباشا كان مريب، إذ فرق بين الأسرى الترك وإخوانهم العرب والواقعين جميعا تحت السيطرة الإسبانية، فعندما قام السلطان المغربي مولاي محمد لفكهم من الأسر بالتوسط لدى ملك الإسبان واقترح تبادل الأسرى الإسبان بالأسرى الجزائريين، وذلك بواسطة سفيره "محمد بن عثمان المكناسي" في سنة 1193هـ/1797م، موافق الملك الإسباني بإطلاق سراح الأسرى الجزائريين يقصد مفادها المسلمين بالنصارى، فقام محمد بن عثمان باشا بافتداء الترك وحدهم ورد العرب إلى الأسر، وحسب ما ذكر فإننا لا ندري أكان توفيق المدني على علم بذلك وإذا كان كذلك، فهل يحتمل أنه بورده، يبدو أن ذلك مستبعدا من طرف توفيق المدني الذي لا يذكر عيوب العثمانيين، وعندما ذكر رجال الافتداء في العاصمة الجزائرية من الحنفية والمالكية ذكر سنة بدون توضيح، أتدل على تاريخ الوفاة أم التولية أم نهايتها! والواقع أنها تاريخ التولية[2].

ومما يؤخذ على توفيق المدني أنه لم يعر اهتماما واضحا ومركزا على حدث فتح وهران سنة 1792م من طرف محمد باي الكبير، وخاصة وأن هذا الفتح يعتبر أهدم حدث، حيث

[1] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص 203.

[2] – **نفسه**، ص204

تمت السيادة التامة على التواجد الأيبيري، بالرغم من هذه النقائص إلا أنها لا تؤثر على توفيق المدني، فقد أصبح مؤرخ الدولة العثمانية بالجزائر، ومرجعا لكل من يريد الوصول إلى الحقيقة في هذه الفترة[1].

كما نجد توفيق المدني في كتابه "جغرافية القطر الجزائري" قال: <<أن سكان الجزائر ينقسمون إلى ثلاثة أقسام في حين أكتفى بذكر قسمين ويتضح هذا من خلال قوله" وينقسم سكان الجزائر إلى ثلاث أقسام أولهما المسلمون وثانيهم الأوربيون>>[2].

ويمكن القول من خلال ما تطرقنا إليه مما نعرفه عن الفترة التي كتب فيها توفيق المدني "قرطاجنة في أربعة عصور" فإن الالتزام بإستخدام مصادر ومراجع معينة وحسن الاستفادة منها أو الإشارة إليها في الهامش، يرجع إلى أن الكتابات التاريخية في هذه الفترة لم تكن قد عرفت التطور الذي عرفته لاحقا من الناحية المنهجية وبالتالي فان أي كاتب كتب في فترة نفسها ومهما كانت محاولاته في الالتزام بمنهجية معينة فإن ذلك يرجع لعدم وجود منهجية معينة يلتزم بها.

أما "مذكرات أحمد توفيق المدني" فقد ظهرت ضدها أصوات تفند وتكذب بعضها مما أورده، معللة بأنها غير شخصية، وتتناول الرجال والقضايا الوطنية، فهي ترفع صاحبها وتتباهي به، وتضع الآخرين وتستهين بهم، فقالوا بأن: <<أستاذنا بلغ من الكبر عتيا، وما كتبه أعتمد فيه على الذاكرة التي تخون صاحبها، فتميز بالعظمة والتعالي والمبالغة والتهويل>>، وقد أورد في مذكراته بأنه هو الداعي إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين، والساعي إلى تنفيذها، وهو من اقترح اشتراك الطرفين فيها، كما أنه هو من استدعى علماء القطر ومنهم "أبن باديس "و"الإبراهيمي"، وهو من رشح ابن باديس لرئاستها، وهو من وضع قانونها الأساسي، وفي هذه

[1] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص204.

[2] – أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، المصدر السابق، ص71.

القضية بالذات لقي معارضة وتكذيبا لأقواله ممن عاش الحركة الإصلاحية، وتم جمع الردود في الكتاب بوثائق ومما وصفت به مذكراته أنها تحمل الإثم، العدوان، التقول، التعالي[1].

كنا منذ لحظات وفي هذا الباب (باب الإدانات) حين أردنا أن نكشف عن شطحات التعاظم والتعالي التي ظهرت منذ أول صفحات كتاب توفيق المدني عند نزوله بقسنطينة سنة 1925م، أوردنا له من كلام الأستاذ مالك بن نبي[2].

ما فند به مزاعمه وكذب أقواله وسفه أحلامه، ولكني عندما قرأت مقال الأستاذ محمد الصالح رمضان، أصابني الذهول وعجبت لهذا (توفيق) الغير الموفق وقلت (توفيق المدني لا يفكر حين يكتب ولا يراجع ما يكتب (...) وتلك من آفاته حين يتطاول ويتعالى ويزهو، "بذيل الطاووس" وهاهي أقوال مالك بن نبي في جملة من كتبه، تفند مرة أخرى، كل ما أدعاه توفيق في مجالسه الموهومة بمدينة قسنطينة والتي جنى فيها، بالإهمال والإغفال كل مجالسه الحقيقية فيها[3].

ونجد كلمة الأستاذ "علي المغربي" قوله: <<أخونا الأستاذ توفيق المدني نعرف مكانته في الصحافة والكتابة، وفي الحركات كلها قرأت الكتاب ولاحظت بعض الملاحظات، فالأستاذ استشهد بأية قرآنية في الأول: كررت له قوله تبارك وتعالي: "فكشفت عنك غشاءك فبصرك اليوم حديد" والآية القرآنية تقول: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[4]، وفي (صفحة 75) آية

[1] – ميسوم بلقاسم، **المرجع السابق**، ص174.

[2] – هو مالك بن نبي بن الحاج عمر بن لخضر بن مصطفي ولد بقسنطينة في جانفي 1905م في أسرة محافظة وفقيرة انتقل الي قسنطينة لمتابعة دروسه، وبعدها قرر اكمال دراسته الجامعية، وأنتقل الى فرنسا سبتمبر 1930م وفي 1935م أتم دراسته وتخرج مهندسا كهربائيا، توجه الى القاهرة، ، وعاد الى الجزائر عم 1963م حيث تولى منصب مستشار تعليم العالي، ثم مدير الجامعة الجزائر توفي في 31 أكتوبر 1973م. للمزيد ينظر، الطاهر سعود، **الحركات الإسلامية في الجزائر الجذور التاريخية والفكرية**، ط1، المسار، الأمارات العربية المتحدة، 2012م، ص ص 611 –612.

[3] – محمد الطاهر فضلاء، **التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح**، ط1، ج1، البعث، الجزائر، 1982م، ص155.

[4] – سورة ق، الآية: 22.

ثانيـة "فاصـدع بمـا تـؤمر وأعـرض عـن الجـاهلين" والآيـة القرآنيـة ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[1].

نرجع الآن إلى بعض الأشياء من الناحية التاريخية:<< ذكر الأستاذ توفيق عن نفسه في كتابه الجزء الأول، أنه دخل السجن في 15عشر، وخرج من السجن في السابعة عشر وثلاثة أشهر ودخل إلى (الزيتونة) في الثامنة عشر، ويستدل هنا برؤية رآها في المنام، وهو الآن يقول وسمعتموه: أنه دخل السجن في السادسة عشر من عمره، وخرج منه في العشرين من عمره وفي الجزء الأول من (كتابه) نرى صورة له، وكان في عمره تسعة عشر سنة، ويقول: (أنا الزيتوني الصميم، أبن تسعة عشر سنة)>>[2].

ويقول أيضا: <<عن الأستاذ العقبي[3] أنه جمع حوله الناس، ولكنه فرق جماعة النادي والأغنياء وسلط عليهم الرعاع ...الخ، حتى صاروا يلوّكون في الشوارع أعراضهم(...)الخ من هم هؤلاء؟ هم أولئك الجند الذين كونهم العقبي، الذين يحملون السراويل الزرق والذين كانوا في كل معركة وكل ميدان، سواء في حركات (جمعية العلماء) أو الحركات السياسية، وأي حركة من الحركات إلا وكانوا في الطليعة>>[4].

[1] – سورة الحجر، الآية: 94.

[2]- عبد الرحمن حمادو الكتبي، **مرجعيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، المصدر السابق، ص130.

[3] – ولد سنة 1889في بلده (سيدي عقبة) بالقرب من مدينة بسكرة هاجر مع أسرته إلى المدينة المنورة سنة 1895م، ثم درس في الحرم النبوي، وساهم في الحياة السياسية هناك، فأتهمه الأتراك بالمشاركة في الثورة العربية الكبرى، أظهر نشاطا كبيرا في محاربة البدع والخرافات، التي كان ينشرها الطرقيين بتشجيع من السلطات الاستعمارية، كان من بين أعضاء المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، توفي الشيخ العقبي عن عمر يناهز الواحدة والسبعين سنة، قبل الاستقلال بسنة واحدة. للمزيد ينظر، عبد الكريم بوصفصاف، **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج2، المصدر السابق، ص 387.

[4] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص130.

وتعرض أيضا للأستاذ المرحوم "العمودي"[1] (رحمه الله): <<الأمين العمودي عرفته الجزائر رجل كفاح، وأذكر لكم عنه كلمة، ولعلها لا يعرفها إلا القليل من الإخوان في سنة 1940م، عندما قررت (جمعية العلماء) توقيف صحافتها: (الشهاب البصائر) العمودي قال: (وأنا معكم)، لماذا قال له الشيخ عبد الحميد، قررت توقيف الجرائد حتى لا نقول كلمة في فرنسا فرنسا لم تعرفنا في الماضي، ولا يمكن أن نعرفها الآن قال: إنني مستعد أن أوقف (جريدة الدفاع) التي كانت معروفة، وقال للشيخ عبد الحميد (أنتم تعرفون أنه لا شيء عندي) وقال له الشيخ عبد الحميد: (وأنا لا أتركك كم يكفيك؟ قال له (500 فرنك شهريا ) فكان يأخذ هذا المبلغ من الشيخ عبد الحميد من قسنطينة، ووقف الرجل ثابتا كالطود رغا إحتياجه، ومواقفه كانت دائما لها هيمتها ولها وزنها من الناحية الوطنية، وقد كانت خاتمته أنه مات شهيدا>>[2].

كما نجد الأستاذ" رابح تركي" يقول: <<فإذا رجعنا إلى كتاب أستاذنا توفيق المدني، وليسمح لي، بعدما ذكرت الجوانب الايجابية في عمله، أن أبدي له بعض الملاحظات السريعة، لأنني درست (الكتاب) ووضعت النقاط، على كل ما أردت أن أعلق عليه، من باب، وفي نفس الوقت لعل الأستاذ يتدارك هذه الأمور في الطبعة القادمة>>[3].

ويقول الأستاذ في التعريف تحت صورته: <<(حياة كفاح) وهي حقا حياة كفاح، وتعتبر سجلا تاريخيا في أسلوب أدبي شيق، سيرحب به كل من يعتني بتاريخ المغرب العربي المعاصر، وكل من يحب الأدب الرفيع مسجلا تاريخيا ففي صفحة (11)، يقول (وكأن عبد الحميد بن باديس، كان الحادي عشر من ذلك الرعيل الأول الذي بعث به عمر بن عبد العزيز

---

[1] – (1890–1957م) محامي وصحفي وأديب جزائري مصلح من رجال الحركة الإصلاحية، ولد سنة 1890 في وادي سوف جنوب شرق الجزائر، تعلم في بلدته، شارك في الحياة السياسية، واختير أمينا عاما لجمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، اغتالته ( اليد الحمراء الفرنسية ) بعد اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية بثلاث سنوات ترك العمودي آثار أدبية واجتماعية وسياسية هامة في الحركة الوطنية الجزائرية. للمزيد ينظر، عبد الكريم بوصفصاف، **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج2، المصدر السابق، ص409.

[2] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص130.

[3] – **نفسه**، ص 91.

الخليفة الأموي لهذا المغرب العربي)[1]، نحن في الكتابات العلمية أو التاريخية لابد أن نذكر المراجع في أخر الكتاب أو نشير إلى أسماء هؤلاء الأشخاص ثم في نفس الصفحة[2] يقول (ومما قاله الوالد لولده منذ أول عهده بتلقي العلم (يا عبد الحميد، أنا أكفيك أمر الدنيا، أنفق عليك، أقوم بكل أمورك، ما طلبت شيئا إلا لبيت طلبك كلمح البصر)>>[3].

هذا موضوع إنشائي، إذا لم يكن معتمدا على وثيقة من الوثائق وإلا يكون كلاما من عندك يا أستاذ توفيق، لا يكون كلام الحاج مصطفي لابنه عبد الحميد بن باديس، مادام لم يكن هناك مرجع، ويرد على الكتابات التي ترد إليه من مختلف أنحاء القطر وكذلك يقول:<< في نفس الصفحة[4] (لقد تزوج أبن باديس وزوجه والده فكانت زيجة غير صالحة، غير موفقة)[5]، فمن أين لك هذا أتينا بمصدر أو مرجع، هذا حكم لا دليل عليه، والبحث العلمي حتى في المذكرات لابد أن يكون مستندا على حقائق وأسانيد وأسس، لأنه لا تاريخ بدون وثائق، وكتابك يا أستاذ سوف يصبح مرجعا للباحثين والدارسين، فيجدون أحكاما لا تقوم على أدلة>>[6].

كما تحدث عن "المولود بن الموهوب"[7]<< ولعل بعض الأخوان الذين ردوا عليك في الجرائد ذكروا هذا: (لو كانت الملائكة يمشون على الأرض ويختلطون بالناس لكان المولود ابن الموهوب واحد منهم لا محالة، أتذكره دوما ولا أنساه أبدا، أتذكره ملاكا في شخص رجل، ومهما

---

[1] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاه** ،ج2، المصدر السابق، ص26.

[2] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص91.

[3] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح** ،ج2، المصدر السابق ص 27.

[4] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص 91.

[5] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص 27.

[6] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص93.

[7] – (1866–1939) المولود بن محمد بن العربي بن مسعود بن الموهوب، كاتب وخطيب وشاعر وفيلسوف، تولى منصب الإفتاء بمدينة قسنطينة مدة طويلة، كان من الذين يدعون إلى الإصلاح، ومحاربة البدع، والضلالات وإلى تخلص من الإجحاف والتعصب والجهل كان من المعارضين للتجنيس والجنسية الفرنسية والخدمة العسكرية الإجبارية للجزائريين بالجيش الفرنسي، وكان أول معارض لابن باديس في ألقائه دروسه بالجامع الكبير، من آثاره، اللمع في إنكار البدع. للمزيد ينظر، عبد الكريم بوصفصاف، **معجم اعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج 1، المصدر السابق، ص202.

...الخ)[1]، فهذه الأوصاف المبالغ فيها وخصصا نحن نعرف أن المولود بن الموهوب كأن موظفا في إدارة الاحتلال، ويكفي أنه رجل متهم في وطنيته لأنه قاوم الحركة الإصلاحية>>[2].

ونشير إلى كلمة الأستاذ "محمد الأكحل شرفاء" التي جاء فيها: <<أولا نجد أستاذنا أحمد توفيق المدني اعتدادا بالنفس تجاوز فيه كل الحدود وقد سبق إلى ذلك الأستاذ الكبير الشيخ العباس بن الحسين[3]، وإستعمل عبارة الإناءات ونحن نعلم من الأدب الإسلامي أن كلمة (أنا) هذه، و(فعلت، وأسست، ونظمت، وأنشأت (...) إلخ)، هذه التاءات المتكلم، ليست مما ينبع من الفكر الإسلامي الأصيل أيضا تناوله لقضية عبد الحميد ابن باديس، هو من قدمه محاضرا في نادي الترقي، وصفه بأنه تفجر منه ينبوع البيان والفصاحة وترك لعلمه ومعرفته العنان، ولكنه لم يذكر لنا أثر هذه المحاضرة في المستمعين، وإنما قال: " وأنتهى الاجتماع بتذييل مني أستحسنه الناس كثيرا، ثم أضاف إلى ذلك، " وقلت لأبن باديس: أليس هذا خيرا من اجتماع الطريقة الرحمانية واحتفالها بالدفوف على قبور الأموات "، فإننا لا نكاد نعجب لعبقرية عبد الحميد ابن باديس ومعارفه وفصاحته وبيانه المتفجر، حتى يأتي هذا التذييل فيغطي جزءا منه>>[4].

كما نتطرق إلى كلمة الأستاذ "أحمد حماني" يقول: <<في كاتبه حياة كفاح (أحمد توفيق المدني): "كنا أربعة رجال لا خامس لنا، وجلسنا صامتين نشرب كؤوسنا من الشاي أنزعت سكرا، إنما كنا نحتسيها وكأنها عصارة من الشجرة الملعونة في القرآن "، لم يكن هؤلاء الأربعة:

[1] – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح** ،ج2، المصدر السابق، ص41.

[2] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص93.

[3] – (1912–1989) الحسين العباس بن الشيخ، أحد قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ألتحق مبكرا بصفوف الثورة ومثل الحكومة الجزائرية المؤقتة سفيرا في المملكة العربية السعودية، من مواليد قرية سيدي خليفة قرب ميلة سنة 1912م، أنتقل إلى تونس للدراسة بالزيتونة، وإلى المغرب حيث مكث في جامع القرويين ثمان سنوات، عندما اندلعت الثورة التحريرية أجتهد في مساندة موقفها سنة 1955م، وقد نسق المفاوضات بين عبان رمضان ورجال الجمعية وقد قرر ألتحاق بالثورة 1956م، توفي أثر سكته قلبية في باريس 1989م. للمزيد ينظر، عبد الكريم بوصفصاف، **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج1، المصدر السابق، ص421.

[4] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص 68.

ابن باديس، والإبراهيمي، والعربي التبسي[1]، والميلي، ولا أي واحد ممن عرفهم الشعب، وعرفهم (المنتقد) و(الإصلاح) و(الجزائر) و(صدى الصحراء) و(البرق) وغيرها من الصحف الوطنية الصادقة، وإنما كان أحد الأربعة كما وصفه توفيق المدني: عاميا قليل المعلومات، أثري الألوان، كما قال عنه بخطه، يسير مع كل قوم حسب أهوائهم ويبيع نفسه كـ(...) يوم المزاد والثالث مع احترامنا وترحمنا عليه هو شاعر الأعرش هؤلاء الثلاثة مع الأستاذ المدني هم الذين أسسوا للجزائر (جمعية العلماء)>>[2].

و"الإبراهيمي" حيث يقول: <<"أن تكوين (جمعية العلماء) كان عن خبرة، وعن علم وعن ذكاء وكانت فكرة مدة تختمر، ثم عقيدة مدة تختمر، ثم واقعا"، ويقول ذلك أبن باديس بالحرف الواحد، يبين لنا كيف خطط تخطيطا لتكوين (جمعية العلماء): "لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة عام 1332هـ وعزمنا على القيام بالتدريس، أدخلنا في برنامج دروسنا تعليم اللغة العربية وآدابها، والتفسير والحديث والأصول، ومبادئ التاريخ ومبادئ الجغرافيا، ومبادئ الحساب[3]، وإخذنا بحث على التعليم جميع العلوم، لما قمنا بهذا وأعلناه، قامت علينا القيامة، قيامة أهل الجمود والركود، وصاروا يدعوننا للتنفير والحط منا، عبداويون أي الذين ينصرون فكرة "محمد عبده"[4] الإصلاحية (المذهب الإصلاحي)>>.

---

[1] – (1895–1957) العربي ابن بلقاسم بن مبارك بن فرحات التبسي، أحد رجال الفكر الإصلاحي، ومن أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين، ولد في بلدة أسطح قرب تبسه، وتعلم بزاوية نفطة وجامع الزيتونة بتونس ثم بأزهر بمصر، أشتغل بالتعليم العربي الإسلامي في تبسة وغيرها، في سنة 1935م، اختير كاتبا عاما لجمعية العلماء، وفي 18 أفريل 1957 م خطفه الفرنسيون واغتالوه. للمزيد ينظر ، عادل نويهض، **المصدر السابق**، ص 21.

[2] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص40.

[3] – **نفسه**، ص ص، 39–40.

[4] – ولد عام 1849م، في قرية مصرية (محلة نصر) من أبوين مصريين، ألتحق عام 1866م بالجامع الأزهر، إلتقى بالسيد جمال الدين الأفغاني والذي كان الى الجامعة الإسلامية، أتجه الى النشاط الصحفي، وله العديد من المقالات في الجرائد والمجلات العربية، كان من أوائل المؤسسين للجمعية الخيرية الإسلامية، وكان له فضل التفكير في أنشاء الجامعة المصرية، توفي في اليوم الحادي عشر من شهر جويلية 1905م، وكانت وفاته حدادا عاما في بلاد الإسلام. للمزيد ينظر، عاطف العراقي، **الشيخ محمد عبده (1849–1905م) بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره**، (د– ط)، المجلس الأعلى لثقافة، مصر، 1995م، ص ص 13–14.

ثم يقول الشيخ "عبد الحميد بن باديس" بخطه:<< "لم نكترث لأفكارهم، على كثرة سوادهم وشدة مكرهم وعظيم كيدهم ومضينا على ما رسمنا من خطة، وصدمنا إلى ما قصدنا إليه من غاية وقضيناها عشر سنوات، وظهرت بحمد الله، نتيجتها، رأينا علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح، إلى الكتاب والسنة، وصالح هذه الأمة>>[1].

فيها سيادة الأخ الكريم حفظه الله، فأنا لا أدري هل أطلع سيادته على العدد: 317 من جريدة البصائر، الصادر في 6 ماي سنة 1955م، بقلم مراقب (جمعية العلماء) وعضو مجلسها الإداري، الشيخ "حمزة بكوشة" حيث يقول:<< تلك مزية من المزايا التي ادخرها الله لـ (جمعية العلماء المسلمين)، فتأسست سنة 1931م لجنة تحضيرية بنادي الترقي متآلفة من فضلاء الجزائر (...) إلخ، ثم أعلنت اللجنة التحضيرية عن يوم الاجتماع للتأسيس ومكانه، فبعثت دعوة إلى الذين توصلت إلى عناوينهم من علماء القطر، وكانت رسائل الدعوة قد كتبها أحمد توفيق المدني، وما حان الصباح يوم الثلاثاء السابع عشر ذي الحجة (...) إلخ حتى أجتمع بنادي الترقي 72 من علماء القطر وطلبة العلم فيه، لتحقيق فكرة تأسيس (جمعية العلماء المسلمين) >>[2]، وأبلغ من هذا ما كتبه الشيخ "البشير الإبراهيمي" في مجلة الشهاب، المجلد السابع الجزء الخامس يقول: <<(على الساعة الثالثة من صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ذي الحجة، الموافق للخامس من ماي 1931م، أجتمع ب نادي الترقي بعاصمة الجزائر اثنان وسبعون من علماء القطر الجزائري وطلبة العلم فيه، استجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسه متألفة من جماعة من فضلاء العاصمة، أحسن الله جزاء الجميع وغرض الدعوة هو تحقيق فكرة طالما فكر فيها علماء القطر، وهي تأسيس جمعية، إذن يا أخي الفاضل اللجنة التأسيسية أي نحن الأربعة كانت موجودة، وأعمالها كانت مشهودة، ونتائجها كانت مشكورة، هكذا يقول البشير الإبراهيمي وهكذا يقول عبد الحميد بن باديس>>[3].

---

[1] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص40.

[2] – **نفسه**.

[3] – **نفسه**، ص ص 50، 51.

كما نعرج لقول "محمد الصالح رمضان": <<وقد قال الأستاذ توفيق في ذلك العرض، من جملة ما قال عن كتابه أنه ليس مجرد تسجيل مذكرات شخصية عاشها، وعاينها بل يشمل تاريخ الحركات الوطنية وتسجيل الحقائق التاريخية منها، ويعتبر نفسه المسجل الأمين لها، ويذهب إلى أنه مثل أبن خلدون، ونابليون وغيرهما من العظماء الذين قدموا مذكرات هامة عن حقائق التاريخ الذي عاشوه، ويؤكد أن كاتب المذكرات: (يجب أن يكون نزيها إلى أبعد حد، لأن الأمانة التاريخية مقدسة) ويقول أن هذا ما حاول أن يقوم به في كتابة مذكراته>>،إن من يقرأ مذكراته الخاصة بحياته في الجزائر من سنة (1925الي 1955م) يخرج بهذه الصورة القاتمة والمشوهة،<< وهي أن الجزائر كانت خلوا من كل حركة حية، لا تشعر بشيء من معاني العروبة والإسلام فيصف شعبها بيأس والقنوط، وعدم الثقة في النفس، والاستسلام لعدوه، حتى نفخ في فيها هو من روحه، فكانت وطنا قويا، وكان شعبها قويا عبقريا، وأنتشر فيها العلم والمعرفة، ودبت فيها الحياة>>[1].

بلغ أستاذنا من الكبر عتيا وما يزال يتمتع بنشاط وحيوية دائمين، لا نجدها في كثير من شباب اليوم، أمتعه الله بشبابه وحيويته إلى ما شاء الله[2]، فهل يعني أن نشاطه وحيويته يعادلان نشاط وحيوية أربعة شبان، وقد يكون في ذلك كثير من المبالغة، فالملاحظ عليه في المذكرات التي قرأناها له اعتماده الكثير على ذاكرته والذاكرة قد تخون صاحبها.

ثم يقول: <<"وأصبحت أفكر في تكوين حركة سياسية تكون عمودا فقريا لما يأتي بعدها " كما قال في مقدمة كتاب عن جهاده "لا أعتقد أن رجلا حقق في الحياتين العامة والخاصة ما حققه أبوكم هذا بجهاد مضن، وعمل متواصل وتضحيات جمة، وفكرة نيرة صحيحة، وعن كتابه الصغير (قرطاجنة في أربعة عصور) يقول: "أخرجت للناس كتابي الذي كان حدا فاصلا بين

[1] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص ص 52.

[2] – محمد الطاهر فضلاء، **التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح**، ط1، ج1، البعث، الجزائر، 1982، ص ص305–306–307.

الحق والباطل والذي كان نشره ضربة حاسمة قصمت ظهر المضللين الكاذبين، وأخمدت إلى الأبد"، وقوله (وتكون ثورة حيثما أكون)>>[1].

## رابعا: ردود أحمد توفيق المدني على منتقديه

لقد تعرض توفيق المدني إلى جملة من الانتقادات وخاصتا على مذكراته، فجاء رده على "علي المغربي" في قوله: <<أولا الآية المحرفة خطأ مطبعي، ولست أنا الذي أصحح (الكتاب)، والكتب الموزعة الآن فيها تصليح الآيتين، ثانيا مسألة سني ودخولي السجن دخلت السجن سنة 1915م يوم 5فيفري وعمري ستة عشر سنة، هكذا ذكرت في كتابي>>، أما مسألة قضية الشيخ العقبي: <<افترقت مع العقبي (رحمه الله) من أجل خلاف في الجمعية الخيرية لا غير، أذن الخلاف هنا ليس خلافا أساسيا عندما قلت: إن الطيب العقبي أختلف مع رجال النادي الذين وصفتهم في كتابي من الشبان المتحايلين، ليسوا هم الذين أسسوا النادي الترقي والذين تخاصموا أو خاصمهم الشيخ الطيب العقبي، أو أختلف معهم إلى أن اضطروا إلى استرجاعي ما وضعوه في النادي، أسترجع كل واحد منهم يومئذ (500 فرنكا)، التي كان وضعها ومن الذي دفع تلك الأموال؟ دفعها الجيش الأزرق (حفضه الله)>>[2].

وفيما يتعلق "بالأمين العمودي" (رحمه الله): << لقد ذكرت ما فيه الكفاية عنه، وعن صلابته في الحق، وعن قيمته الكتابية، وعن نضاله الكبير، وإنما مع ذلك ولمجري التاريخ لأنها وقعت حوادث تاريخية، لو قرأت كتابي كما فيها الشيخ الأمين العمودي كرجال عصره في ذلك الوقت كانوا يتعاطون المسكرات، وذكرت له هذا، وكنت أستطيع أن أتجاوز عن هذا، لأنه ليس أساسي في (الكتاب)، أنما تناول المسكرات وقع أثناء حادث تاريخي وذكرته تفصيلا>>[3].

---

[1] – محمد الطاهر فضلاء، **التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح**، ص ص 308–316.

[2] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص 130.

[3] – **نفسه**، ص132.

كما نشير إلى رد أحمد توفيق المدني على "رابح تركي": << كلمة بسيطة أجيب بها الأخ الكريم الفاضل، قول (والد) أبن باديس لأبنه (حين) قال له: "يا عبد الحميد، أن أكفيك أمور الدنيا، وأنت أشتغل بأمور الدين" رويت هذا من نفسي عن الشيخ عبد الحميد بن باديس وما كان من استطاعتي عندما أتكلم مع إنسان أن أقول له: (من فضلك أعطني وثيقة تثبت بأنك قلت هذا الكلام)، وسيطبع مرة ثانية كتابي هذا وآخذ بكل الملاحظات التي أبديت حوله، أما كذلك، الزيجة غير موفقة، إنما ذكرت زواج عبد الحميد أبن باديس شيء واحد فقط لا غير، وهو أنه لم يكن مشتغلا بأي أمر من أمور الدنيا، لا في معيشته الخاصة، ولا في معيشته العامة، أبوه قال له: "يا عبد الحميد لك على أن أقوم بجميع ما تحتاجه" وزوجه، وقال لي بنفسه: "إنها كانت زيجة غير موفقة في الطباع "، خلافا لما يقول الأخ الكريم "إنني طعنت فيها"، استغفر الله في ذلك، وما طعنت في حياتي في رجل، ولا في امرأة، زيجة غير موفقة انتهت بطلاق>>[1].

أما "الموهوب بن المولود" <<حكمت عليه كما رأيته وهذا رأيي الخاص فيه ولا أزال أقول، وقلت في نفس الحديث: "ولا عيب فيه، إلا أنه قبل الوظيف الحكومي "، رجل في نزاهته، وإيمانه، في إخلاصه، في كلامه، كان يمثل شخصية لا اعرفها في ذلك الوقت في رجال الجزائر، ثم ذكرت حديثه لي، قال: ستذهب إلى الجزائر، وستحاول الحكومة الاتصال بك وتحاول أن تشتريك، وخذ بالك منهم ومن أعمالهم، وبعض العلماء في الجزائر من الموظفين طبعا، سيتصلون بك وسيقلون لك: كذا وكذا (...) نصحني بأشياء ما كنت أعرفها أصلا، ولا كنت أسمع بها>>[2].

بالإضافة إلى رده على "محمد الأكحل شرفاء": <<كلمات بسيطة جدا، الإناءات والتاءات، ذكرت في (كتابي) حقيقة وأشعر بذلك، وربما لا يوجد كثير من الناس، تعليمي

[1] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص68.

[2] – **نفسه**.

أساليب الكتابة، وإنما في كتابة المذكرات، ولماذا نكتب (المذكرات)، أكتبها كشهادة للأشياء التي رأيتها، ورغما عني أقول (انا ذهبت) أو (أنا سمعت) أو (أنا عملت)، وأعدكم وعدا صادقا، كما قلت في ردودي، كل الكلام الذي نشر في (كتابي)، سواء قيل بهدوء أو قيل بحماس، وكل رد وقع، عليا سجلته وأشكر كثيرا الإخوان>>[1].

وقضية أخرى ذكرها الأستاذ وليته ما قالها: وليتني ما سمعتها يقول: << أنني شكرت الأستاذ عبد الحميد بن باديس تدفق وتكلم وكل ما قلته عن الشيخ عبد الحميد هو –والله –دون الحقيقة "لأنني وصفتموني كاتبا أو خطيبا، والله لن أستطيع أن أوفي هؤلاء الرجال حقهم، وأشهد أمامكم أني عاجز عن أن أقدم صورة صحيحة دقيقة عن عبد الحميد بن باديس أو عن الطيب العقبي، أو عن الرجال الذين أسسوا على كوالهم ومجهودهم وتضحياتهم (جمعية العلماء المسلمين) وهذه (الجمعية) ليست بالشيء السهل وليست بسيطة دولة إسلامية قامت منافسة للدولة الفرنسية في الجزائر، وانهارت الدولة الفرنسية وبقيت (جمعية العلماء)، فإن تكلمت عن أبن باديس ماذا تريدون أن أقول، بعد أن وصفته بالفصاحة والبلاغة وكان تأثيره عظيما جدا، وكان القوم يتمايلون من شدة ذلك الخطاب العظيم، ذكرته وذكرت علمه وفضله>>[2].

ونسترسل في رد أحمد توفيق المدني على "محمد صالح رمضان": <<قال الأستاذ محمد صالح رمضان فليسمح لنا الأستاذ وليفتح لنا صدره نناقشه في بعض المسائل، لنفحص معه الحقائق التي أخطأ فيها، أي نعم أيها الأستاذ إنني أفتح صدري لكل مناقشة، وإنني مستعد لفحص كل الحقائق التي تذكرها>>، ويقول: <<إن من يقرأ مذكراته الخاصة بحياته في الجزائر سنة (1925 إلى 1955م)، يخرج بهذه الصورة القاتمة المشوهة وهي أن الجزائر كانت خلوا

[1] – عبد الرحمن حمادو الكتبي، **المصدر السابق**، ص68.

[2] – **نفسه**، ص ص121–124–125.

من كل حركة حية لا تشعر بشيء من معاني العروبة والإسلام والوطنية (...) إلخ، هذه الصورة غالطة تماما لا يراها القارئ لكتابي>>[1].

ويقول الأستاذ "رمضان":<< لقد بلغ أستاذنا من الكبر عتيا، ولا يزال يتمتع بنشاط وحيوية دائمين لا نجدها في كثير من شباب اليوم، الذين ألفوا الراحة والسكون، متعه الله بشبابه وحيويته، إلى ما شاء الله (...) إلخ، أقول نعم يا سيدي، إنه من فضل الله علي، وأفضاله ونعمة لا تعد ولا تحصى أنني أجتاز الثمانين، بصحة جيدة وعود مستقيم، ومقدرة على العمل تجعلني أجوب العالم، شرقا وغربا، مفتشا وباحثا، وجامعا لبلادي وثائق تاريخها المجيد، وحافظه قوية أكاد أقول، ولا فخر وإنها نادرة الوجود، فإن كنتم أيها الأستاذ لا تذكرون اليوم ما توقع لكم بالأمس فأنا أذكر اليوم، والله المنة والفضل>>[2].

ويأتي الأستاذ "رمضان" ببسطة طويلة: << يحاول فيها أن يثبت بأنني رجل مسالم وديع مثواري لست ثائرا، أو ليست الثورة مني هذا حق من حقوق، أنني صورت نفسي في كتابي، كما أشعر بها، كما أراها وكأنه يعتقد غلطا أن الثائر إنما هو حامل البندقية والرشاش، ليس إلا فإذا تكلمنا مثلا عن الثورة الثقافية والثورة الزراعية والثورة الاقتصادية[3]، ربما تصور أن هناك السيوف والمدافع والقاذفات تطلق الحمم، لا أيها الأستاذ الثورة موت واستشهاد في سبيل الله والثورة فكر وعمل ودفع فإن كنت أحضر كل ميادينها بقلمي، وما خرجت إلا إلى عالم النضال السياسي، وكان أول كتاب أنشره على الناس يسمي (الحرية ثمرة الجهاد) (كفاح إرلاند من أجل الاستقلال)، لقد شممنا من مقال الأستاذ رمضان رائحة الاستنكار والاستغراب من جملة قالها توفيق واصفا بها نفسه وهي" خلقت ثائرا، حيث ما تكون الثورة أكون" وإنما أقول "لا محل للغرابة هنا، ألم يدخل السجن شابا طري العود وهو لم يتجاوز السادسة عشر ؟ أدخل على

[1] – أحمد توفيق المدني، **رد أديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص113.

[2] – **نفسه**، ص 115.

[3] – **نفسه**، ص ص 115– 134.

سرقة مال، أم جريمة قتل لاشك أن السبب واضح وجلي لكل ذي بصيرة وبصر، إن طفلا في مثل عمره لا يستطيع أن يخوض غمار هذا الميدان>>[1].

وعليه نقول أن الكتابات التاريخية تختلف عن كتابة المذكرات بحيث أن الأولى تكون مضبوطة من حيث منهجية مصادر والمراجع وكذلك الوثائق، بينما المذكرات يكتبها الشخص من خلال ما تطرق في حياته.

## استنتاج جزئي:

وترجع طبيعة المواضيع التي كتب فيها توفيق المدني إلى خصائص الاستعمار، وذلك لما تعرض له من مراقبة مستمرة من طرف السلطات الاستعمارية نتيجة عمله في الحركة السياسية بداية من بلد مسقط رأسه تونس، إضافة إلى الوسيلة المستعملة من طرفه للتعبير عن رأيه، حيث استعمل هذا الأخير صحيفة البصائر التي كانت تحت الرقابة الاستعمارية، إضافة إلى ميله للحركة الإصلاحية السياسية وذلك بحكم انخراطه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

فقد تنوعت مواضيع كتابات المدني رغم أنه يكتب عن نفس الأمة فنجده يتكلم في السياسة على كل ما يتعلق بمظاهر الحكم وذلك بداية من القديم في عهد الفينيقيين إلى المعاصر في عهد الاستعمار الفرنسي، وعن الثقافة في كل ما تعلق باللغة العربية والدين الإسلامي وذلك لما لهما من أهمية في الوعي الثقافي والديني إضافة إلى الجانب الحضاري من خلال تطرقه إلى المدن المغاربية بداية من قرطاجنة إلى شرشال وميلة وقسنطينة، إلى غير ذلك.

وقد تضارب الروايات في ما يخص الكاتب من قبل معاصريه والانتقادات الموجهة إليه: حيث تلقّى حملة من الاعتراضات عن ما جاء في مذكرات "حياة كفاح"، حول مسألة تأسيسه للجمعية خصوصا وموقفه من اندلاع الثورة، فما كان من توفيق المدني إلا إصدار كتابه "رد

[1] – أحمد توفيق المدني، **رد أديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص135.

أديب عن حملة الأكاذيب"، وذلك للإجابة عن كل الانتقادات الموجهة إليه وبالتحديد محمد الطاهر فضلاء في كتابه "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح"، هذا الأخير الذي تعرض فيه كاتبه إلى جملة من الانتقادات الجارحة في حق المدني، فما كان علينا إلا التتبع والمقارنة بين الانتقادات والردود للوصول إلى الحقيقة بكل موضوعية.

ولم يختص المدني في كتاباته سوى القطر الجزائري والمغاربي، وإنما تعداه ليكتب عن القضية الفلسطينية باعتبارها لا تخص فلسطين فقط بل تخص العالم العربي الإسلامي، كما عمل على فصل السياسة الإسرائيلية فيها.

# الخاتمة

# الخاتمة

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع نصل إلى:

– ما يميزه في الكتابات التاريخية الجزائرية خلال فترة الإستعمار أنها كانت في مجملها مناهضة للإحتلال، ومثال ذلك مؤلفات أحمد توفيق المدني الذي تميز بأعماله المناهضة للاستعمار ومثال ذلك "مسرحية حنبعل"، وذلك لان الجزائر بحاجة إلى قائد مثل حنبعل، وكذلك كتابه "هذه هي الجزائر"، حيث كان أحمد توفيق المدني من رواد الاتجاه الوطني في كتابته، حيث جعل الإسلام عقيدة لا تاريخ أوطان، حيث كتب على الجزائر والمغرب العربي من القديم إلى المعاصر، وبذلك يعد الرجل جامع للتاريخ الوطني وليس مؤرخا، إذا الهدف من كتابته هو تكريس الوعي الوطني للخروج به من بوتقة الارتباط بالمدرسة الفرنسية الاستعمارية.

– كرس أحمد توفيق المدني نفسه في سبيل بعث النهضة التاريخية الجزائرية في مراحل صعبة، ألا وهي فترة الاستعمار وما بعده، حيث عمل الرجل على محاربة الكتابات الاستعمارية وتصحيح تاريخ الأمة الجزائرية.

– لقد كانت لهذا الأخير اهتمامات غير التأليف؛ تمثلت في الصحافة التي كانت أول بداياته في الكتابة حيث حظيت جريدتي "الشهاب والبصائر" على مقالات المدني المناهضة للإستعمار كما عرف عنه دائما.

– تأثرت طبيعة توفيق المدني بواقع بلاده المحتل من طرف الاستعمار الفرنسي، سواءً وطنه تونس أو الجزائر وهذا ما ولد فيه كره الاستعمار ومناهضته سياسيا وثقافيا، من خلال انخراطه في الأحزاب ومؤلفاته التي تعبر عن ذلك.

– كان أيضاً من بين الرواد الأوائل في حركة التأليف فاستطاع أن يزود المكتبة التاريخية الجزائرية بمجموعة من المؤلفات النادرة لا يمكن الاستغناء عنها خلال القيام ببحث حول التاريخ الجزائري سواءً القديم أو الحديث أو المعاصر.

– لقد مزج توفيق المدني في مواضيع مؤلفاته الواقع المعيشي في ظل الاستعمار وموقفه منه باعتباره من صناع الحدث، وقد تميز بجرأة في نقمته على الوضع القائم، وذلك وفقاً لما تمليه

عليه دينه وخلقه، وهذا ما جعله من ألمع الكتاب والأدباء والمفكرين السياسيين المتميزين في الجزائر والعالم العربي.

– من خلال تصنيفنا لمؤلفات الشخصية نستنتج أنه تحدث فيها عن الفترات التي مرت بها الجزائر من العصر القديم أي من قبل الميلاد إلى عصر الفتح الإسلامي، ثم بفترة العثمانية وبعدها الفترة الاستعمارية.

– تعرضت كتاباته للمضايقات ومراقبة مستمرة من طرف السلطات الاستعمارية نتيجة عمله في الحركة السياسية بداية من بلد مسقط رأسه تونس، إضافة إلى الوسيلة المستعملة من طرفه للتعبير عن رأيه، حيث استعمل هذا الأخير صحيفة البصائر التي كانت تحت الرقابة الاستعمارية، إضافة إلى ميله للحركة الإصلاحية السياسية وذلك بحكم انخراطه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

– تنوعت مواضيع كتابات توفيق المدني رغم انه يكتب عن نفس الأمة فنجده يتكلم في السياسة على كل ما يتعلق بمظاهر الحكم وذلك بداية من القديم في عهد الفينيقيين إلى المعاصر في عهد الاستعمار الفرنسي، وعن الثقافة في كل ما تعلق باللغة العربية والدين الإسلامي وذلك لما لهما من أهمية في الوعي الثقافي والديني إضافة إلى الجانب الحضاري من خلال تطرقه إلى المدن المغاربية بداية من قرطاجنة إلى شرشال وميلة وقسنطينة، إلى غير ذلك.

– لم يخص هذا الأخير في كتاباته القطر الجزائري والمغاربي فقط، وإنما تعداه ليكتب عن القضية الفلسطينية باعتبارها لا تخص فلسطين فقط بل تخص العالم العربي الإسلامي، كما عمل على فصل السياسة الإسرائيلية فيها.

– تضاربت الروايات حول كتابات توفيق المدني من قبل معاصريه، حيث تلقّى اعتراضات على ما جاء في مذكرات "حياة كفاح"، حول مسألة تأسيسه للجمعية خصوصا وموقفه من اندلاع الثورة، فما كان من المدني إلا إصدار كتابه "رد أديب عن حملة الأكاذيب"، وذلك للإجابة عن كل الانتقادات الموجهة إليه وبالتحديد محمد الطاهر فضلاء في كتابه "التحريف

والتزييف في كتاب حياة كفاح"، هذا الأخير الذي تعرض فيه كاتبه إلى جملة من الانتقادات الجارحة في حق المدني، فما كان علينا إلا التتبع والمقارنة بين الانتقادات والردود للوصول إلى الحقيقة بكل موضوعية.

# الملاحق

الملحق رقم 01: صورة أحمد توفيق المدني[1]

[1] جيلالي صاري، المرجع السابق، ص277.

الملحق رقم 02: وفاة الشيخ أحمد توفيق المدني[1]

فضيلة الشيخ أحمد توفيق المدني في ذمة الله

(و ا ج) ـ انتقل الى جوار ربه فجر امس فضيلة الشيخ احمد توفيق المدني الملقب بالمنصور عن عمر يناهز 83 سنة اثر نوبه قلبيه

ولد الفقيد احمد توفيق المدني بتونس يوم اول نوفمبر 1898 من اسرة جزائرية وتلقى علومه بها من الكتاب حتى جامعه الزيتونة التي بدا يدرس فيها نضاله مبكرا ضد الاستعمار وقد اعتقلته الادارة الاستعمارية عدة مرات لكن ارادته الفولاذية في مواجهة الاستعمار

الينبه على ص ( 3 )



رئيس الجمهورية يعزي أسرة الفقيد

(و ا ج) ـ ارسل الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية الامين العام لحزب جبهه التحرير الوطني برقية تعزيه الى اسرة الفقيد الاستاذ توفيق المدني الذي وافته المنية صباح امس بالجزائر

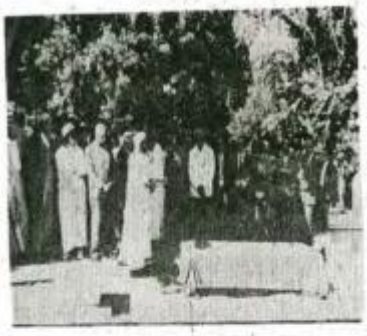

تشييع جنازة الشيخ أحمد توفيق المدني

(و ا ج) : تم عقب صلاة ظهر امس تشييع جثمان الشيخ احمد توفيق المدني الى مثواه الاخير بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي ( مدينه الجزائر ) .

وقد انتقل المؤرخ الجزائري المعروف احمد توفيق المدني الى رحمه الله صباح اول امس بمنزله اثر نوبه قلبية عن عمر يناهز 85 سنه . وحضر تشييع جنازة الفقيد عدد من كبار المسؤولين من الحزب وفي الدوله الى جانب افراد اسرته وزملائه في المركز الوطني للدراسات التاريخية الذي انضم اليه الفقيد منذسنة 1973

وفي كلمه التابين اشير الى مناقب الفقيد وجهوده في التعريف بتاريخ الجزائر القديم والحديث ونضاله السياسي ، واشير بصفة خاصة الى جهوده في استرجاع الكثير من الوثائق عن الحقبه التركية بالجزائر جمعها من مكتبات وارشيفات تركيا واشرف على ترجمتها ونشرها بمجلة التاريخ التي تصدر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية .

[1] عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره السياسي والثقافي بتونس والجزائر (1899-1983)**، المرجع السابق، ص284.

الملحق رقم 03: واجهة كتاب "قرطاجنة في أربعة عصور"[1]

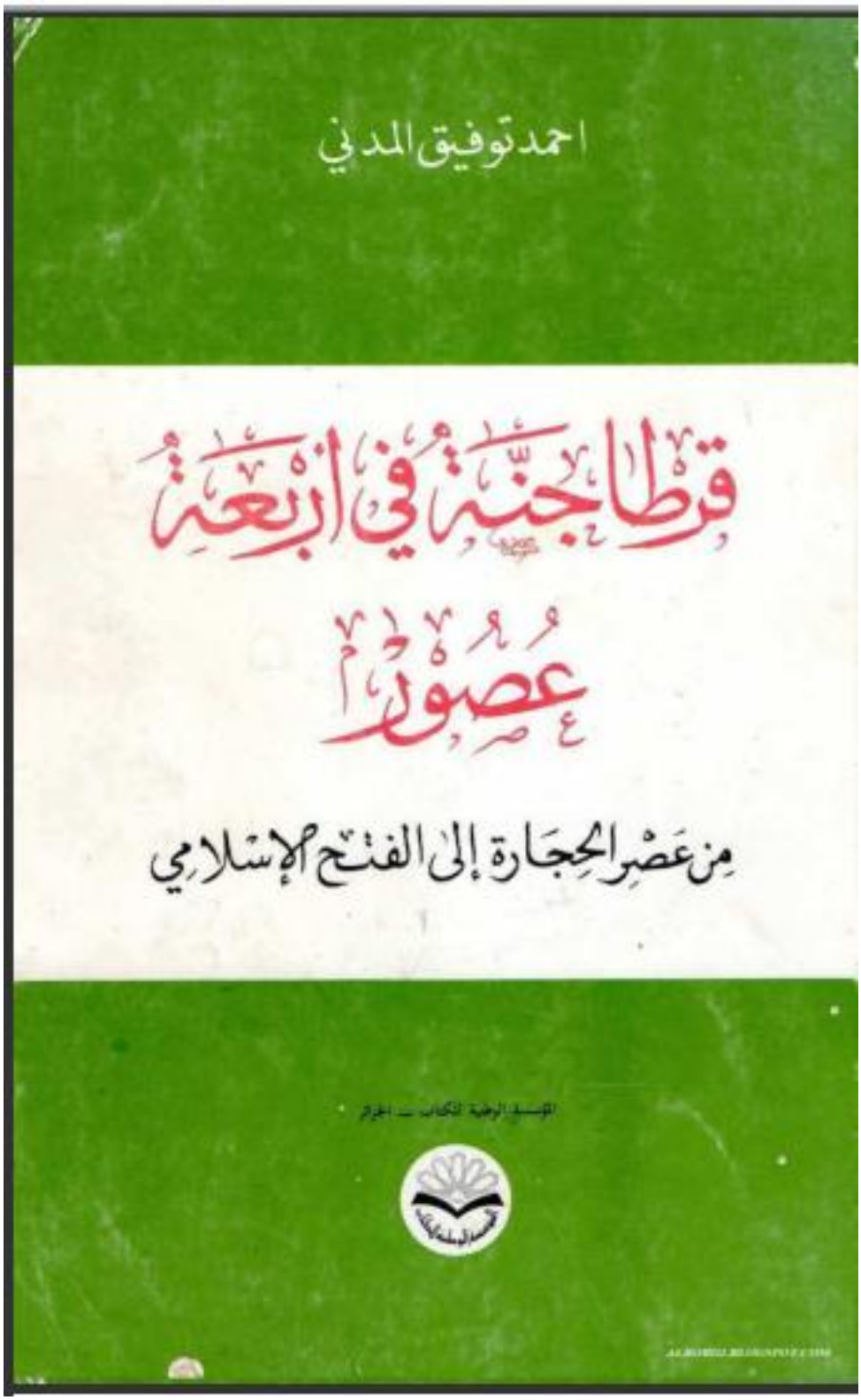


[1] أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، المصدر السابق.

الملحق رقم 04: واجهة "كتاب الجزائر"[1]

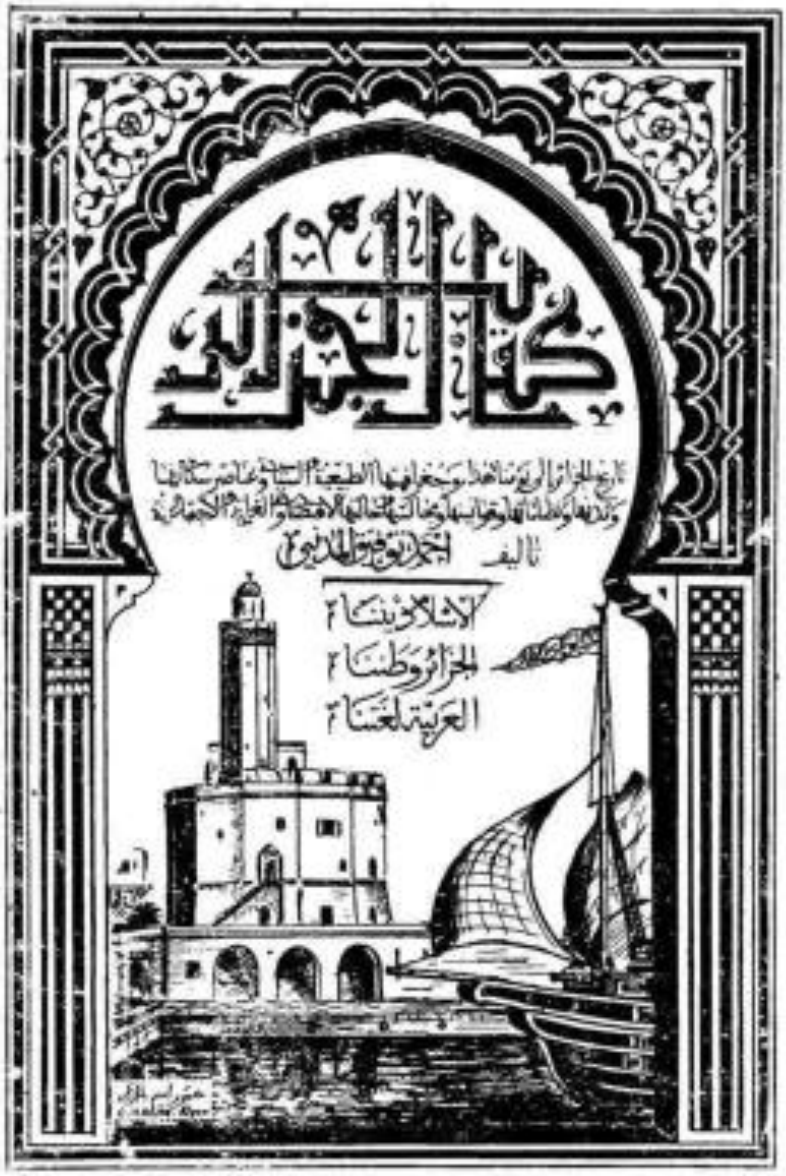


[1] أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق.

الملحق رقم 05: واجهة كتاب "محمد عثمان باشا داي الجزائر"[1]

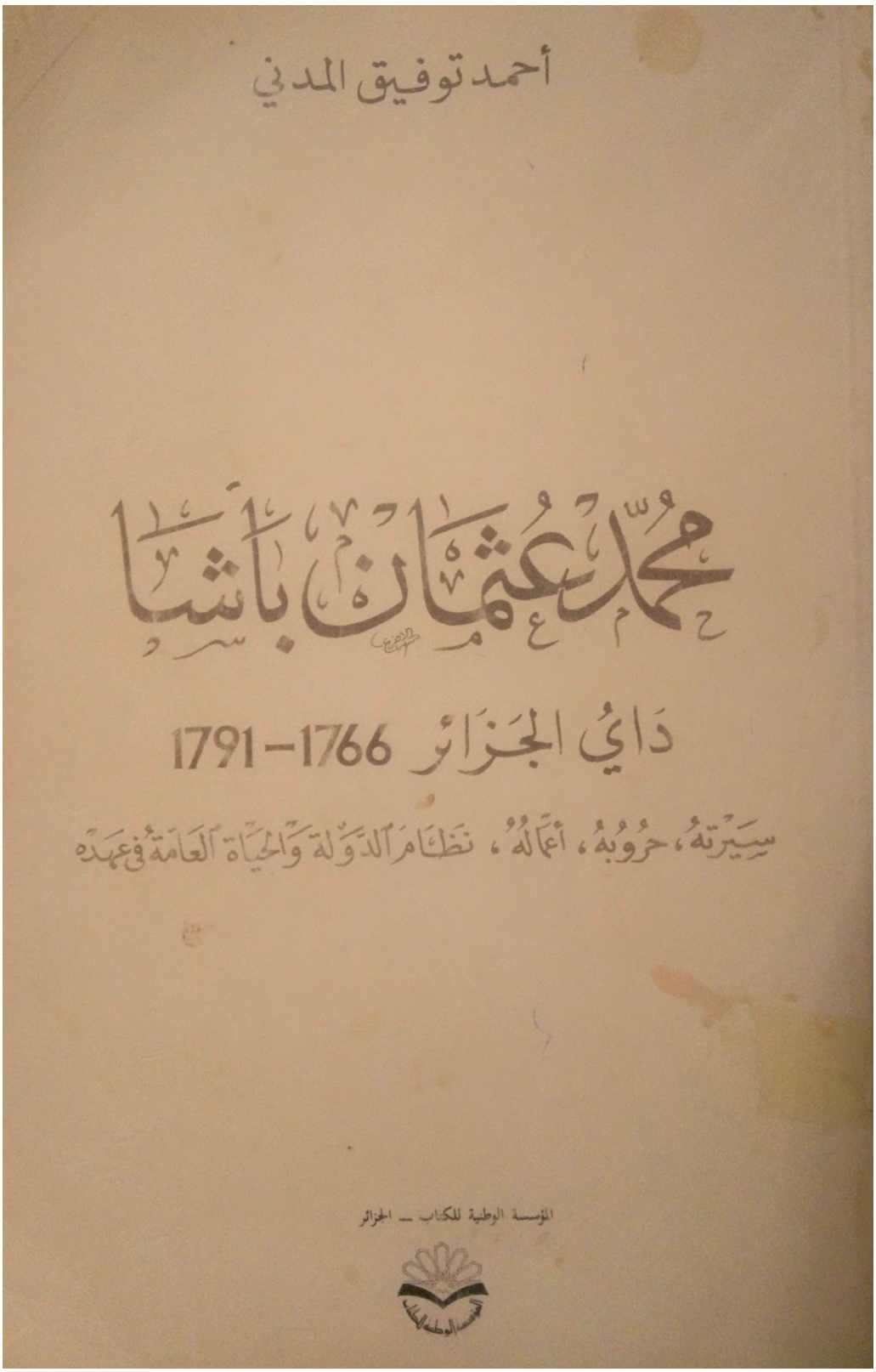


[1] أحمد توفيق المدني، **أحمد علي باشا داي الجزائر**، المصدر السابق.

الملحق رقم 06: واجهة كتاب "المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا"[1]

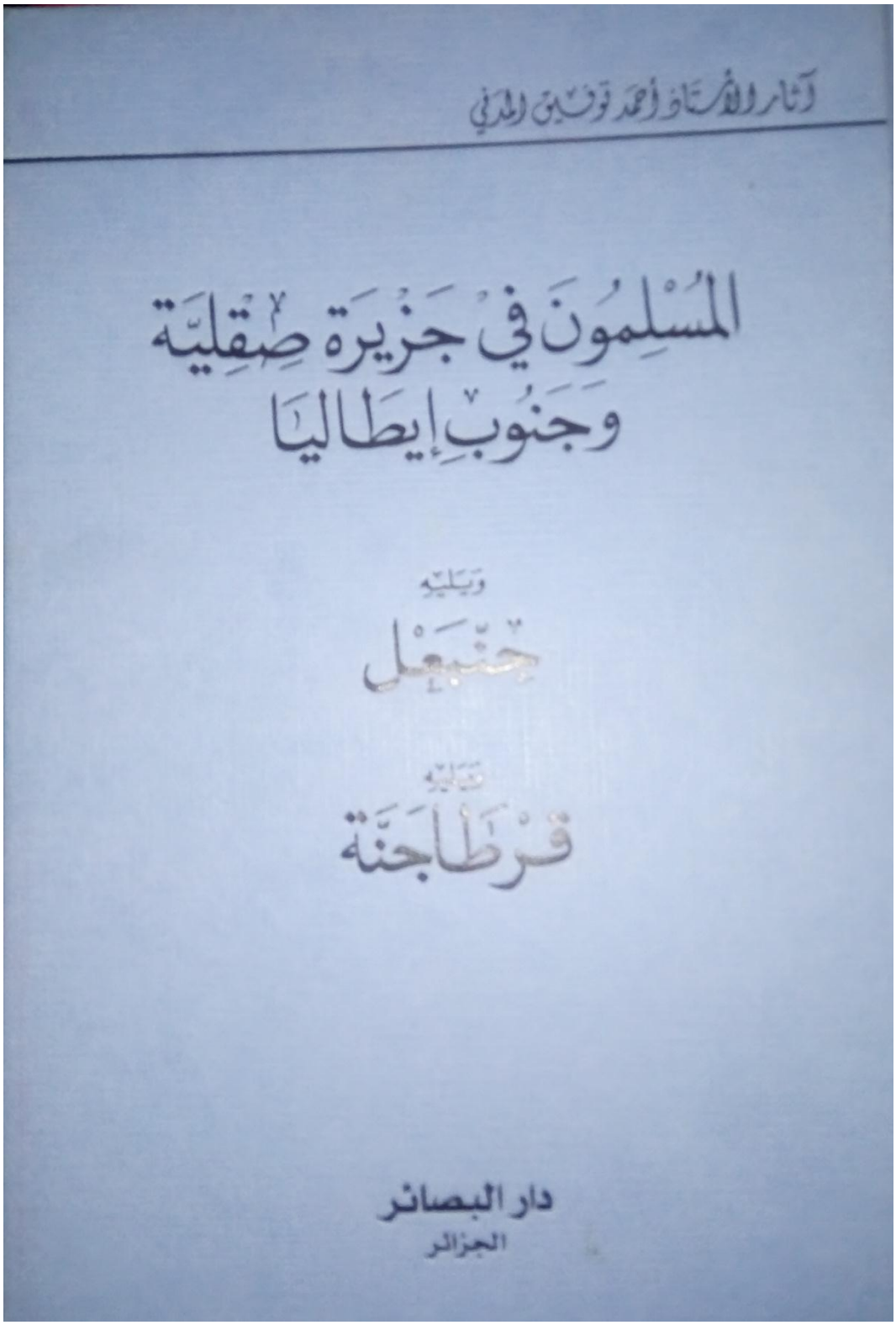


[1] أحمد توفيق المدني، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، المصدر السابق.

الملحق رقم 07: واجهة كتاب "جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية"[1]

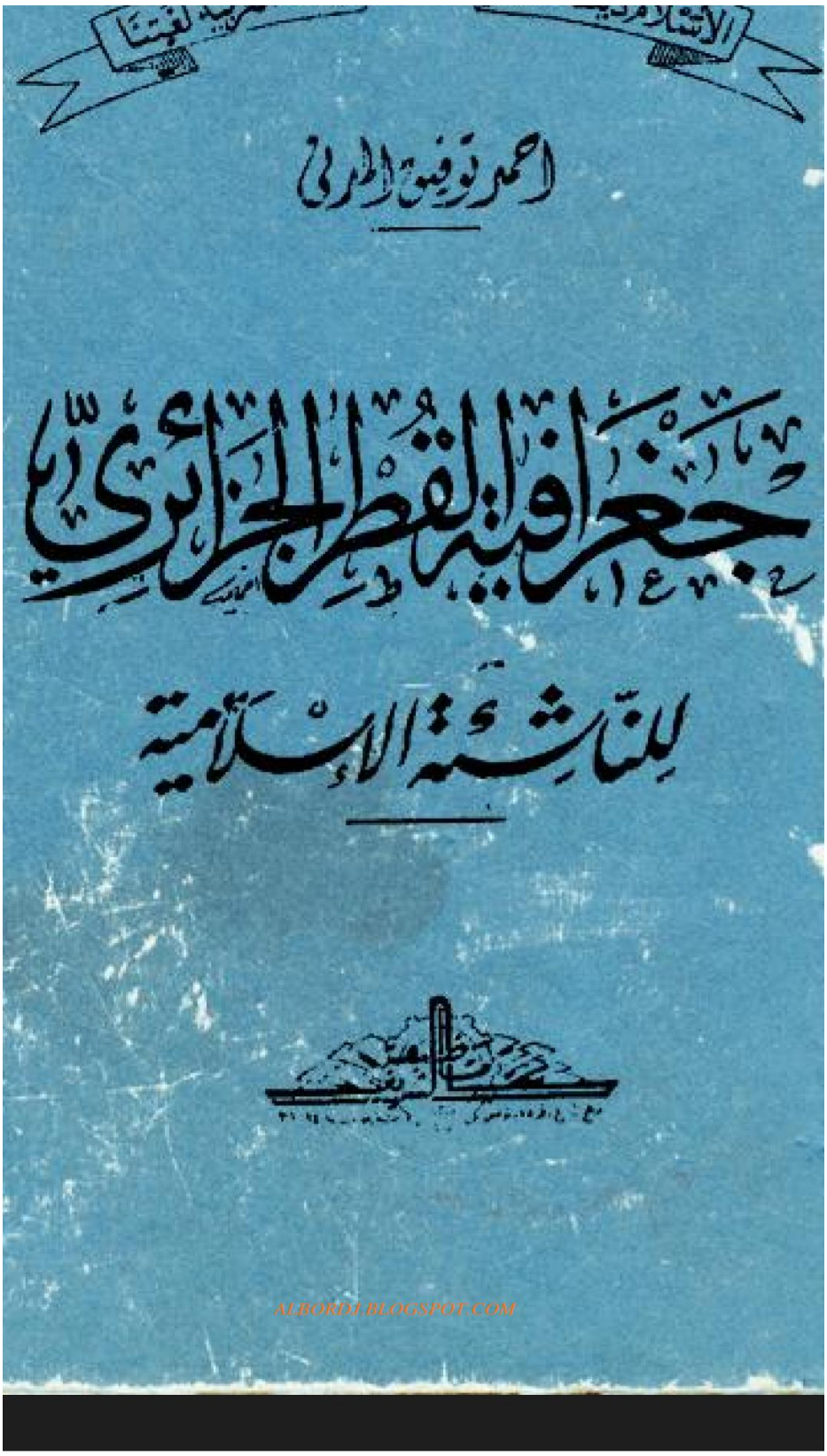


[1] أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية**، المصدر السابق.

الملحق رقم 08: واجهة كتاب "هذه هي الجزائر"[1]

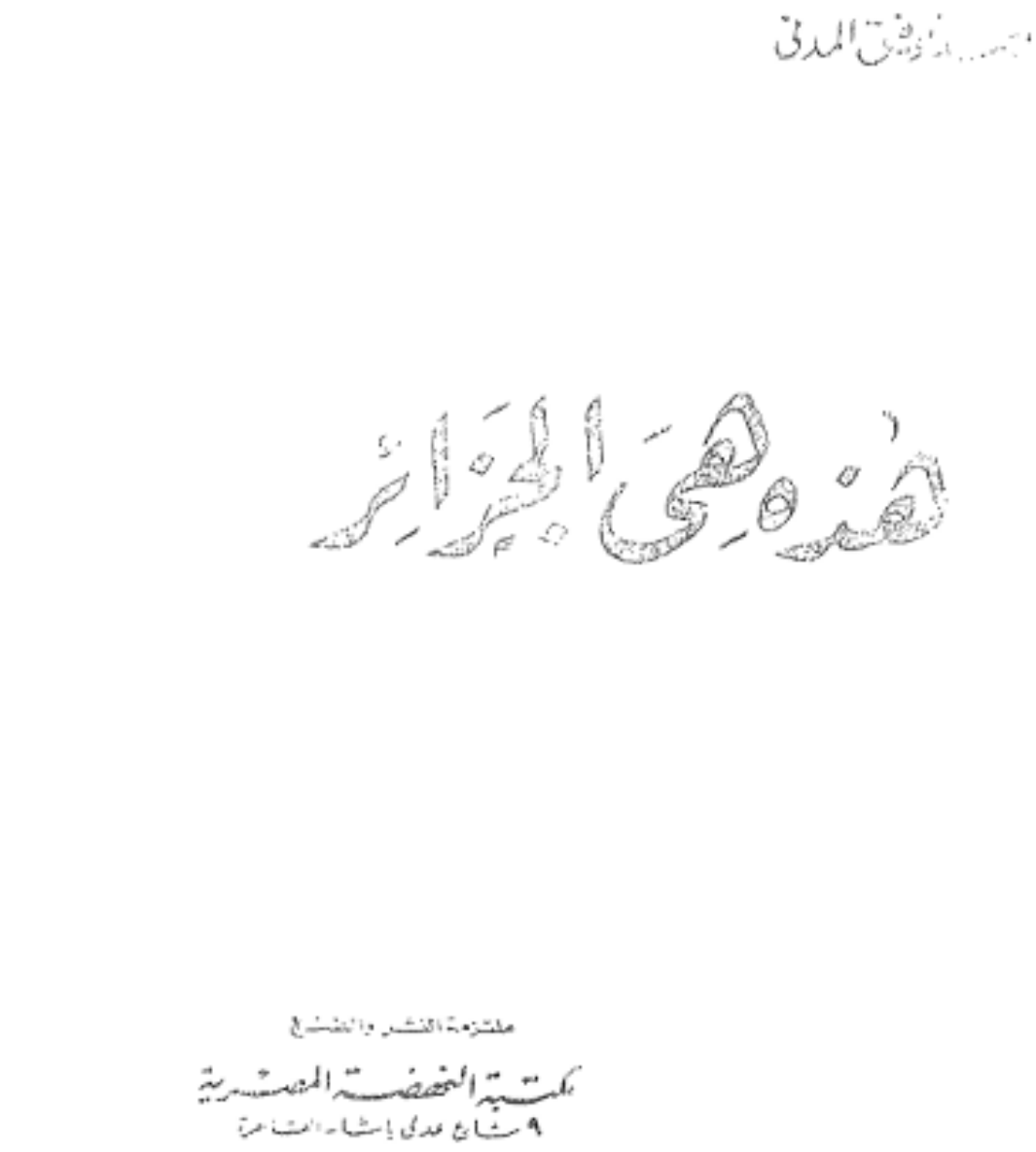


[1] أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق.

الملحق رقم 09: واجهة كتاب "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792"[1]

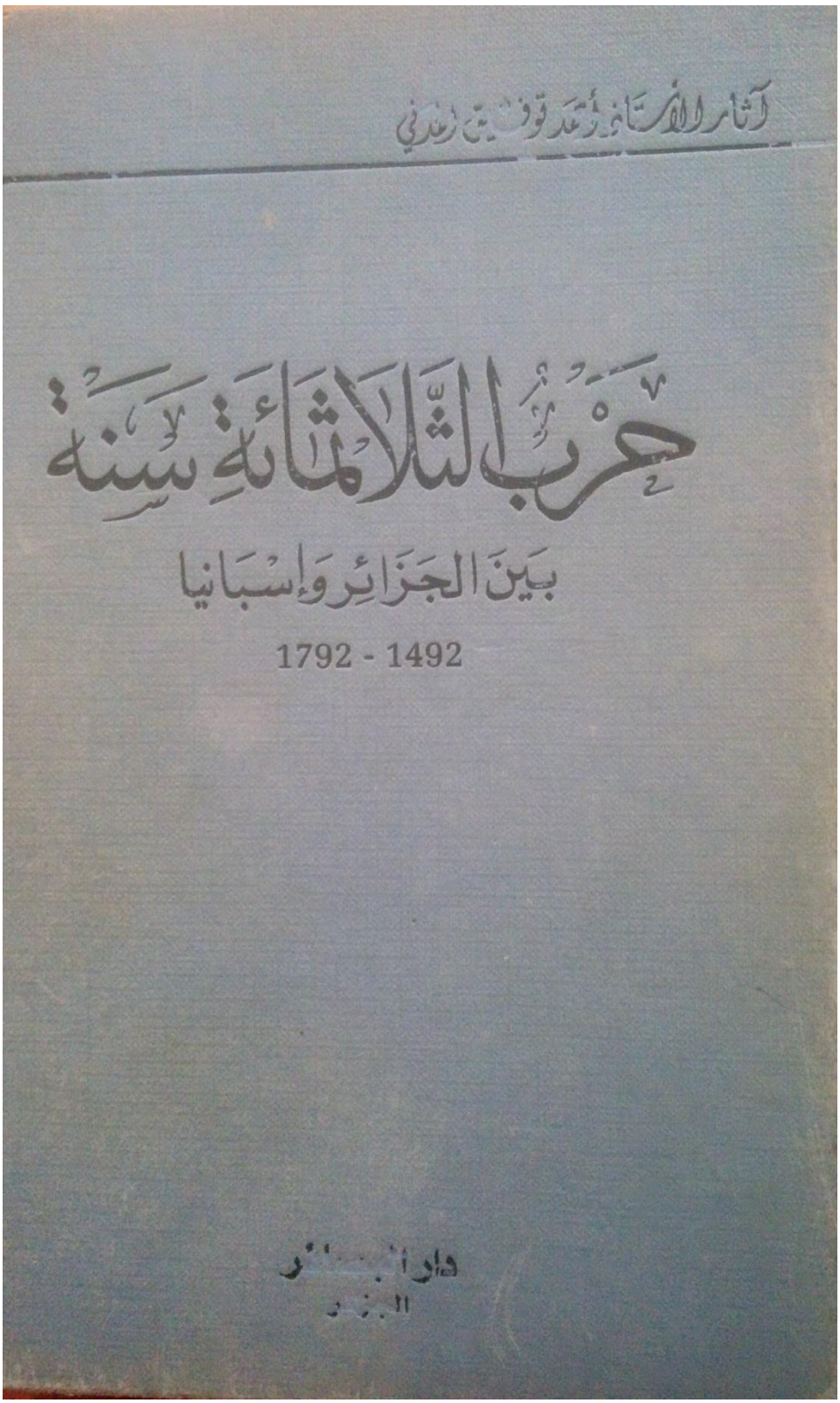


[1] أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792**، المصدر السابق.

الملحق رقم 10: واجهة كتاب "حياة كفاح ج3"[1]

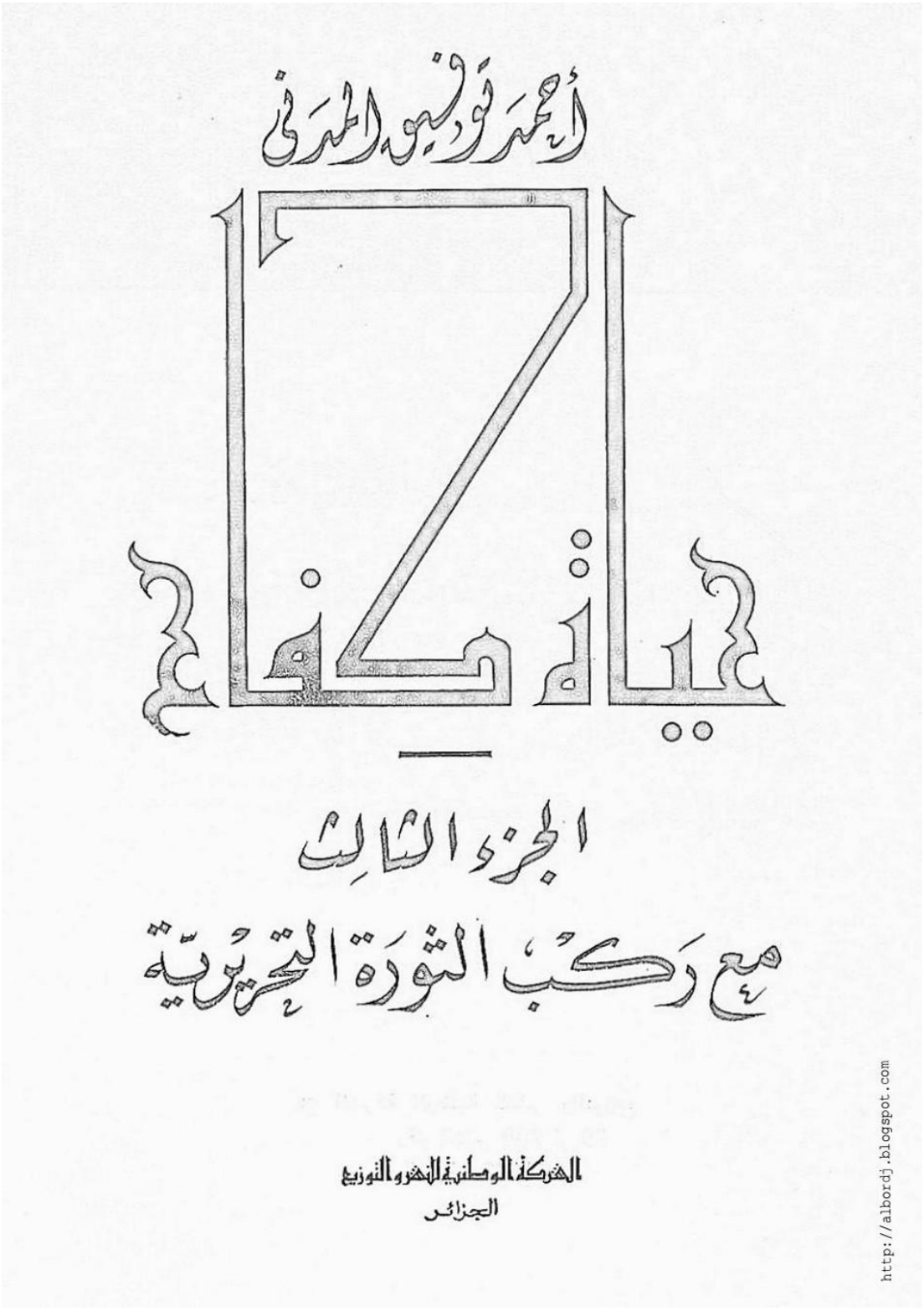


[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية**، المصدر السابق.

الملحق رقم 11: واجهة كتاب "رد أديب على حملة أكاذيب"[1]

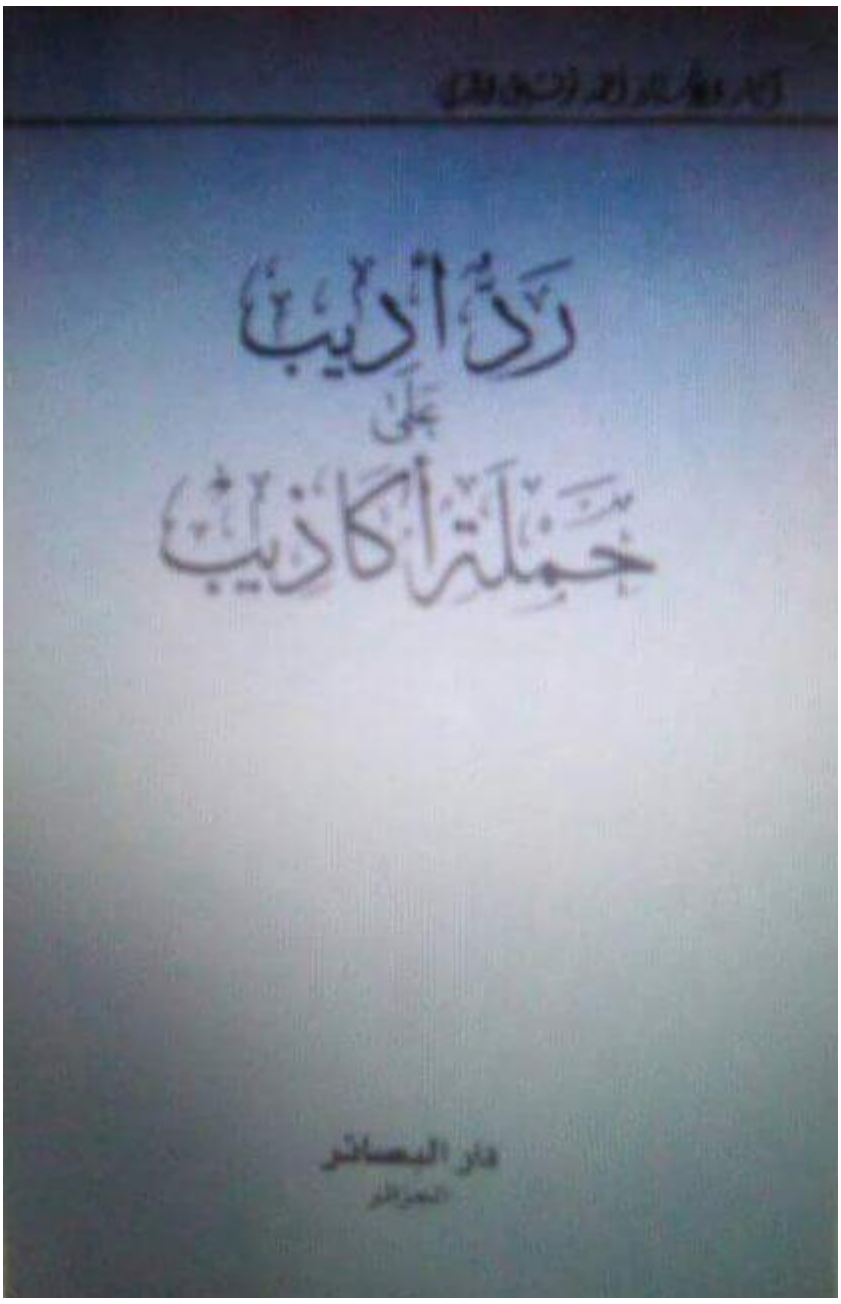


[1] احمد توفيق المدني، **رد أديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق.

الملحق رقم 12: واجهة كتاب "حياة كفاح ج2"[1]

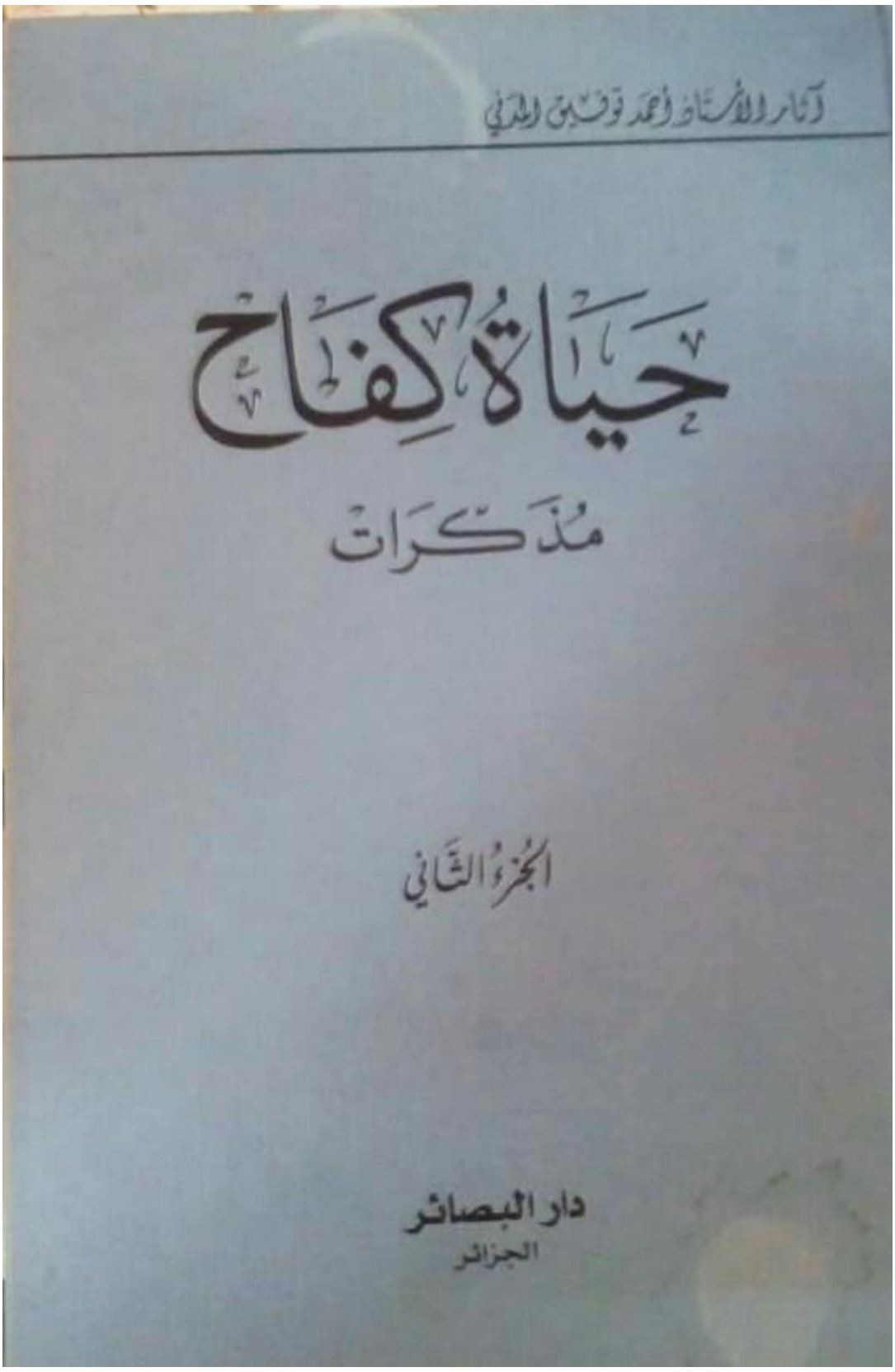


[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق.

الملحق رقم 13: واجهة كتاب "حياة كفاح ج1"[1]

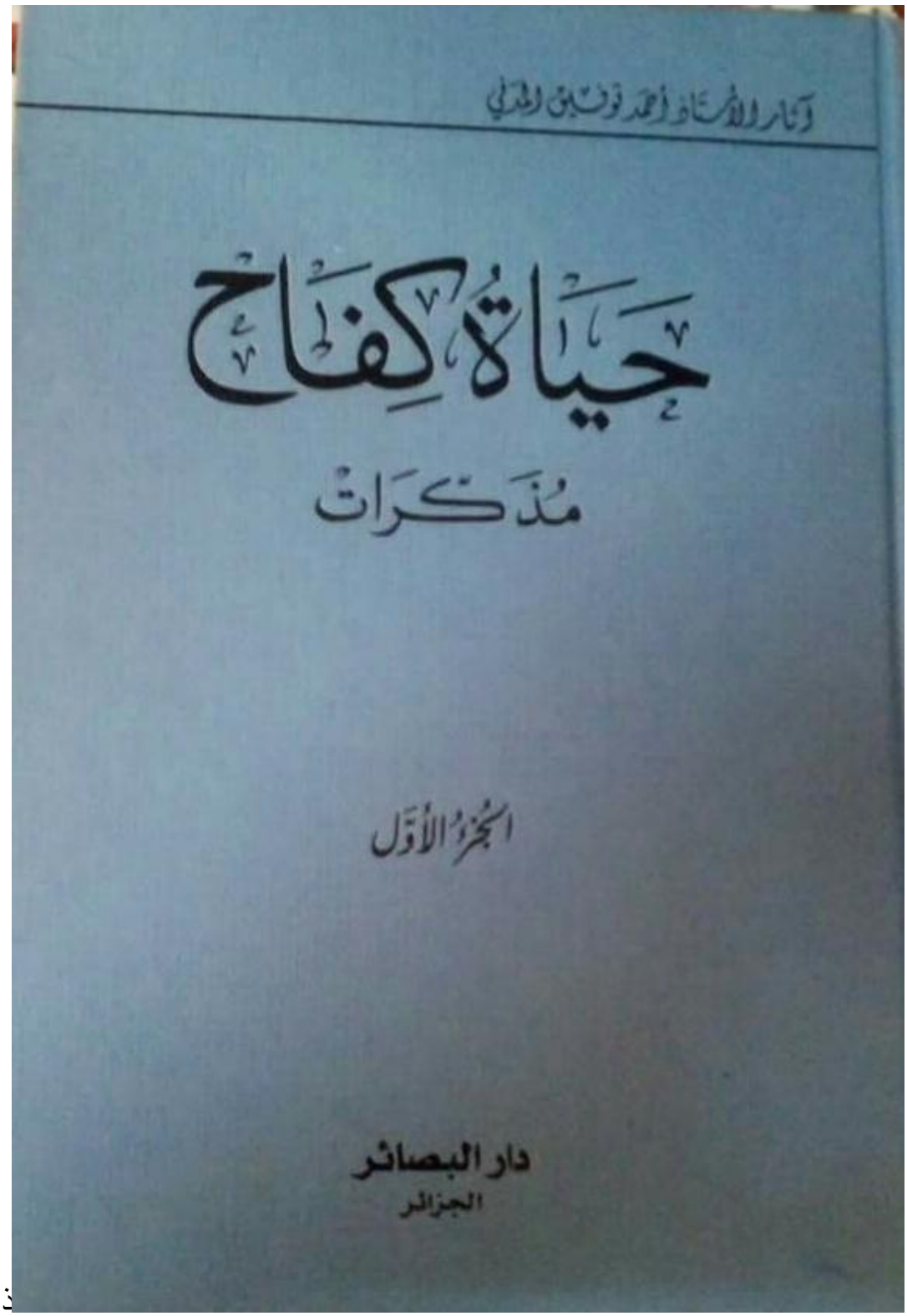


[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق.

الملحق رقم 14: مقالة أحمد توفيق المدني في "مجلة البصائر"[1]

١٦ من العدد ١٧٢ - ١٧٣ — البصائر

# البصائر

## الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

(بقية الصفحة الأولى)

بلسانه ؟ وتلتقف كلماته ذات النبرات القوية ، القلوب لا الآذان .

وبعد كلمات الترحيب والافتتاح ؛ فتحت ابواب الفصاحة على مصراعيها ؛ وتفجرت ينابيع البلاغة ؟ وتحطمت السدود امام سيل البيان الدافق ، واخذ شيخنا الابراهيمي اطال الله حياته الغالية ، ويارك في انفاسه الطيبة ، يلعب بالالباب ، ويسحر العقول ، ويستحوذ على المشاعر ؛ خلال ساعة ونصف ساعة ، تلا فيها تقريره الأدبي ؛ فما ترك شاردة ولا واردة عن حياة الجمعية الا احصاها ؛ ولا شعبة من شعب العمل المثمر الا طرقها وامعن في بحثها . فسما بنا المقام ، واخترقنا آفاق الزمان والمكان ، واشرفنا من عل على عكاظ وما حواليها في التاريخ من اسواق الأدب ، في عصور الذهب ، عند كرام العرب . وما وسعنا امام ذلك البحر الزاخر ، الا ان نقول : لم ترك الأول للآخر ؟ !

**امين المال :**

الشيخ محمد خير الدين ، رجل علم وعمل ، وتفكير متزن عميق ، واخلاص لدينه وامته لا يدرك له غور ، فحين انتصب على المنصة ، يتلو تقريره المالي ، انتصبت معه الأمانة والنزاهة ، وكمال الاخلاص هامته بهالة من نور تكاد تراها الابصار قبل البصائر .

واخذ ينهل في تدقيق عميق ، في بيان مفصل الحسابات ، فلم يكن مقامه مقام أمين مال جمعية مهما اتسعت آفاقها وتشعبت اعمالها ؟ انما خيل الينا انه وزير مالية دولة ، يناضل عن ميزانية حكومته ، ويدعم بيانه بالحجج والوثائق والتفاصيل .

وكان رغم طول ذلك التقرير ، وتشعب مسالكه ، وكثرة ما تناوله من ارقام ، لم تفتر له عزيمة ، ولم يد عليه شيء من التعب والاعياء ؟ وكان القوم يقولون له كفانا ، فيقول لهم : بل هنالك المزيد ، الى ان انتهى ، وصادق المؤتمرون على ذلك الحساب باجماع علني ، ومصادقة اذعان واقتناع ؟ بعد أن سجلوا لأمين المال شكرا استحقه عن جدارة .

وهنالك عرض الرئيس بعض تحويرات على القانون الأساسي ، اقتضاها تطور الجمعية ، وانتشار اعمالها ، فقبلها المؤتمرون .

اما مجال الشعر الحي الخالد ، فقد صال فيه صولة الأسد الهصور ، شاعرنا القومي الفحل الشيخ أحمد سحنون ، وحلق وسما ، وحرك المشاعر ، وهز اوتار القلوب .

**التضامن الجزائري :**

ثم كانت حصة من ابدع واشهى والذ ما يتمتع به الانسان قلبه وروحه ، وسمعه وبصره ، في هذا الوطن الجزائري ، الحي الخالد ، السائر قدما نحو حريته المحققة ونحو مستقبله الزاهر السعيد : تلك هي حصة اعلان التضامن العام من كل هيآت البلاد الحزبية ، لجمعية العلماء ؟ والتنويه باعمالها ، والاشادة بمجهودها ، والاعتراف بفضلها في ميدان العلم والدين ، وما بذلته من مساع موفقة ، تذكر فتشكر ، لجمع وحدة الأمة ، والتاليف بين القلوب المتفرقة ، وتكوين الاتحاد بين المكافحين في سبيل الحرية والحق .

فكان اجتماعا غاليا عز نظيره ، تكلم فيه باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية - السيد العربي دماغ العتروس ؟ وتكلم فيه باسم حزب البيان ، الأستاذ عبد الحميد بن سالم ؟ وتكلم فيه باسم الحزب الشيوعي السيد يونس كوش . ثم ختم الموضوع ، متكلما باسم الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية ، كاتبها أحمد توفيق المدني .

ولا تسل عن جذل الأمة ، ولا تسل عن فرح القوم ، ولا تسل عن الحماس الذي ساد المجلس عندئذ ، ولا عن شعور الوحدة الذي سما وتعالى حتى صار جسما حيا ملموسا محسوسا ، فلم يعد هنالك بين جدران « ديناراد » ثمانمائة رجل ؟ انما رأى الرائي يومئذ ، بين تلك الجدران ، وفي تلك المناسبة ، شيئا واحدا ، متماسكا ، ملتحما ، في قوة الصخرة الصماء ، هو « الأمة الجزائرية » .

فهذه الأمة تسير ، ولا يرد سيرها احد .

وهذه الشعب يتقدم ، ولن يرجع الى الوراء .

وهذه الهمم القعساء التي تبني ، مخلصة لله وللوطن ، ستخرج للعالم ، من عمل يديها ، معقلا جزائريا رفيع العماد :

رسا اصله تحت الثرى وسما به

الى النجم فرع لا ينال طويل

فهنيئا للأمة هنيئا ، بجمعيتها الصالحة الموفقة ، ومرحى لهذه الفئة القوية الفتية ، المناضلة في سبيل الحق ، المكافحة في ميدان الوطنية والمروءة والاسلام ، السائرة سير المؤمن الصادق ، الى ان تحقق للأمة امانيها ، كل امانيها .

أولئك حزب الله ، الا ان حزب الله هم المفلحون .

**احمد توفيق المدني**

## اخبار الشعب

### تجديد شعبة بلكور (الجزائر)

تجددت ببلكور شعبة جمعية العلماء من الآتية اسماؤهم :

الرئيس : الشيخ أحمد حفيظ
نائبه : السيد الطاهر العلام
الكاتب : الشيخ اسماعيل الزكري
نائبه : السيد عبد القادر بويكي
أمين المال : السيد الطاهر مبلودي
نائبه : السيد المختار جناس
المراقب : السيد يوسف العيسى

الأعضاء المستشارون : السادة فرحات زكارة ، المسعود بودوة ، محمد آرزقي ايلول ، المسعود بوحسان ، محمد آكلي مجاهد ، سليمان مبلودي ، حسن ركاب ، يوسف بن عمار ، خلفة بن عدودة ، الطاهر شريف ، محمد الهادي سعيدي ، محمد شايب بوحصان ، عبد السلام جزيري ، الهاشمي زروال ، الطيب عكوش ، أحمد ماضي الدوكالي ، عبد الرحمن رضوان ، عبد الله عطية ، محمد بعيطيش ، الدراجي قبوجة ، محمد الشريف بن شريف ، محمد زروال ، علي طالبي ، يوسف سميح ، فرحات بورمان ، الحسين وتار ، محيي الدين خيار ، المدني تفاحي .

### تجديد شعبة حسين داي (الجزائر)

الرئيس : السيد الحسين تركمان
نائبه : السيد سعيد بعويش
الكاتب : السيد عمار طالب
نائبه : السيد علي بن الأخضر
أمين المال : السيد أقلقد زغمي
نائبه : السيد الحسين بن قطاف
المراقب : السيد محمد الطيب كربوش

الأعضاء المستشارون : السادة صادق عمود ، مدني بن بوجن ، عيسى بن سليمان ، سعيد بن سمرة ، صغير بن قطاف ، علي أبو زيان ، طيب لوعيل ، عمرو مختاري ، أحمد تاجي ، عمرو سرحان ، قسمية عطا الله .

### تأسيس شعبة عين غرابة

الرئيس : السيد علي البحاوي
نائبه : السيد محمد العرباوي
الكاتب : السيد عبد القادر بومدين
نائبه : السيد العربي بومدين
أمين المال : السيد محمد البشيري
نائبه : السيد محمد مكيري
المراقب : السيد محمد أبو عبد الرحمان

الأعضاء المستشارون : السادة عبد القادر قريش ، أحمد الماحي ، قدور أبو عبد الرحمان ، محمد الخطي .

### من فنلندا :

**وفاة مصلح كبير**

بعد التحية .

يؤسفني جدا ان انعى اليكم وفاة الرجل الكبير والمصلح الاسلامي العظيم المرحوم الأستاذ عمر صالي رئيس الجمعية الاسلامية الكبرى في تامبرى بفنلندا ورئيس الجاليات الاسلامية أيضا .

توفي هذا الزعيم الاسلامي الكبير في مدينة تامبرى « مرجع المسلمين » في فنلندا في يوم ١٩٥١/٩/٨ عقب مرض لم يمهله كثيرا . فمات مأسوفا عليه وقد حزن عليه جميع المسلمين في فنلندا . اذ قد كان رحمة الله عليه مصلحا كبيرا ومجاهدا عظيما في حقل الاسلام ومن أعماله الاهتمام بتشييد مسجد في مدينة تامبرى للمسلمين ومدرسة أيضا . تبرع لهما قبل وفاته بمنزلين تبلغ قيمتهما حوالي ستة آلاف جنيه انجليزي والوكالة العامة لمسلمي فنلندا بالقاهرة تنعى هذا الزعيم الراحل للعالم الاسلامي وتسأل الله تعالى ان يلهم ذويه الصبر والسلوان .

* * *

والوكالة العامة بالقاهرة تعلن للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها خبر انتخاب حضرة الأستاذ الكبير العلامة سميع الله وافين رئيسا للجمعية والجاليات الاسلامية في تامبرى ونحن نتقدم بوفور التهاني والتبريك لحضرة الرئيس الجديد ومعاونيه ونسأل الله تعالى ان يوفقهم جميعا لخدمة الاسلام والمسلمين في فنلندا .

**محمد فهمي محمد عوض**
الممثل الرسمي لمسلمي فنلندا بمصر


### اعلان هام

**من ادارة « البصائر » المالية**

يستأنف متجولا « البصائر » الشيخ عبد الرحمن غريب والسيد مصطفى الزمرلي - كل في المنطقة المحددة له من طرف الادارة - تجوالهما في هذه الأيام .

ونلفت نظر حضرات مشتركينا الكرام الى أنه ليس لأحد غير هذين المتجولين ان يقبض أي اشتراك باسم « البصائر » : فليعلموا هذا وليعملوا به .

**ادارة « البصائر المالية »**

### الاشتراك في « البصائر »

**ستة ٤٥ عددا**

في الشمال الافريقي العربي :
عن السنة . . . ١٢٠٠ ف
لطلبة المعاهد (المتوفرى الشروط) . . . ٧٠٠ ف

ولا ترسل الجريدة الا لمن يطلبها مصحبا طلبه بقيمة الاشتراك .




[1] أحمد توفيق المدني، **الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين**، المصدر السابق.

الملحق رقم 15: مقالة أحمد توفيق المدني في "مجلة البصائر"[1]

السنة الخامسة من السلسلة الثانية — N° 207 — ثمن النسخة ٣٠ فرنكا

في هذا العدد :
- الاندفاع جريء
- ما لهم لا ينطقون؟
- وما كان ربك بظلام للعبيد
- منبر السياسة العالمية
- صفحة الشعر ( مولد )
- في الشمال الافريقي
- صفحة القراء • الى الشباب ..

# البصائر

لسان حال
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

شعارها : الحرية والاستقلال

المدير وصاحب الامتياز المسؤول
محمد البشير الابراهيمي

عنوان المراسلة :
[ البصائر ] نهج بومبي رقم ١٢ بالجزائر
رقم الهاتف : ١٧ - ٢٧٨
الحساب الجاري ٠ ٧٣ - ٣٣٩
« EL - BASSAIR »
Journal hebdomadaire
Organe de l'Association des Oulemas d'Algérie
12, rue Pompée - ALGER
Téléphone : 278-17
C.C.P. 539-73 R.C. Alger 7124

يوم الاثنين ٢٩ صفر ١٣٧٢ هـ | تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع | الموافق ليوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٢ م

## اندفاع جريء ...

بقلم احمد توفيق المدني

ما كنا والله عازبين ولا عابثين، عندما قطعنا على انفسنا عهدا، والعهد مسؤول بان نكون اعمالنا ضمن دائرة جمعية العلماء المسلمين الفسيحة، سائرة دوماً في جرأة واقدام الى الامام ! وان نلج في كل فترة فتحا جديداً، ونكسب في المعالجات كسبا جديداً ما يفتر ينا زلفى الى الله، وما يحقق المثل العليا التي جعلناها هدفا لانفسنا وغاية، وما سوف يحرز كتلنا المباركة سيراً حثيثا، نحو الكمال المنشود

فانظروا اولا صحيفتكم « البصائر » ثم احكموا .

انكم تتناولون هذا العدد منها فتروه يكتسي حلة جديدة قشيبة ذات بهاء وجمال، وتعرفون منذ النظرة الاولى ان شيئا قد تغير فيها، وان تطوراً دخل عليها، وانها قد استحدثت فجاءها الفتح

اي نعم، ان بصائركم قد دخلت في دور جديد، جيد .

انها قد حققت في عزيمة واقدام، استقلالها التام، واستأنفت لنفسها مطبعتها الخاصة بها في صلب مركز جمعية العلماء المسلمين . وانه لجهد محض عنيف، قام به المكتب القائم للجمعية، لتحقيق هذه الغاية التي ذلل في سبيلها عراقيل هائلة، وتغلب على صعوبات لا يكاد يحصيها العد، وباء والحمد لله بنصر مبين .

فهذه الصحيفة الظهيرة، لسان الدين، ومنار العروبة، ومنبر الوطنية، ورائد الاصلاح، ولواء الحق المبين، تصدر ابتداء من عددها هذا، في مطبعتها الخاصة، وستزداد بحول الله، مع الايام نمواً وازدهاراً .

* * *

ثم وجهوا انظاركم نحو المؤسسة الاسلامية الشعبية العظمى، نحو « معهد عبد الحميد بن باديس » في مدينة قسنطينة الفيحاء، وانظروا ذلك الانقلاب العظيم الذي تم في حكمة ومهارة وحسن تفهم من الجميع، مما سيبدو آثاره عالية جلية بعد حين، وعود نفعه العظيم العميم، على سائر الوطن وشبه .

لقد كان يرتاد المعهد العامر نحو من سبعمائة طالب، يشدون اليه الرحال من سائر انحاء القطر الاقتباس من منابعه العلم الاسلامي واللغة العربية والاستكمال المعلومات التي جرا على مقاعد المدارس الابتدائية تمارها دانية القطوف والاستعداد لاقتحام المعة الطبية العظمى، بين جدران الجامعة الزيتونية اعلى الله قدرها ورفع منارها، او بين مقاعد الجامعات الشرقية الزاهرة .

انما السمعة العالية الرفيعة التي احرز عليها معهد ابن باديس في سائر جهات الوطن الجزائري والنتائج العملية العالية التي تحصل عليها طلابه الابرار قد كونت في النفس فئة المؤمنين رغبة جامحة في الالتحاق برحابه، والاكتراع من منابعه، فتوجهت انظاره اليقظة الخازمة بفوج عظيم من الطلاب، جاءوا من كل فج عميق، يرسفون في الاصفاد تحت لواء العلم الشريف، وقد ضاق عددهم على الآلاف .

فكيف العمل يا ترى ؟ ان مركز المعهد لا يكاد يتسع لمطلبة الاقدمين، وقد ضاق بهم ذرعاً حتى سدت في وجوههم المنافس، فهل يرد الراغبين الجدد على وجوههم ويرى بهم بين احضان الجهالة، وقد اقتحموا مشاق السفر والاغتراب، في سبيل العلم والمعرفة؟

كلا ! لن يرجع خائبا من ام ساحة جمعية العلماء ! ولن يعود على اعقابه خاسئا من انى معهد ابن باديس بقلب سليم . ان هي الا خطوة جريئة، حازمة حاسمة، واذا بالعقبات تذلك، والعراقيل تنسف، والصعاب تذلل، وجمهور الطلاب بين قديمهم وحديثهم يجدون بين رحاب « المسجد الاعظم » الاثري، مقاعد تكفيهم، وشيوخاً أجلة تتقاطع في سبيل الله لتعليمهم وتثقيفهم، وهكذا انعم الله نعمته على جمعية العلماء، وعلى معهدها المبارك فعادت على ايديهما حلقات الدروس النيرة العامرة، الى ذلك المسجد الاعظم بعد جدب واهمال تقادم عليهما العهد، وارتفعت هناك منارة العلم الزاهية الزاهرة، تربط الخلف بالسلف، وتجمع بين التالد والطريف، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم .

انه لحدث هائل، انتصاب معهد ابن باديس بالمسجد الاعظم في قسنطينة، وانه لصفحة جديدة تفتح في التاريخ العلمي الثقافي بهذا القطر السائر دوماً الى الامام، دون تردد او احجام . ولن ينتهي شهرنا هذا، حتى يكون النظام الجديد موطد الاركان بين المسجد الاعظم، وفروعه بالمسجد الاخضر، وبمركز المعهد القديم، وتنتظم في قسنطينة تحت لواء معهد جمعية العلماء، حياة جامعية اسلامية عربية، بالمعنى الكلمة ولن يمضي وقت طويل، حتى يستقر كل الطلبة، او معظمهم، في البناء الجامعي العظيم الذي شاده معهد ابن باديس لايوائهم، في مناخ صحي جميل حيث يجدون السر الوثيق وغرف المطالعة والمراجعة وسائر ما يقوم بحياة الطالب المادية والمعنوية .

شكر الله سعي من قام بهذا العمل الجريء العظيم، ومن اعان عليه، ومن يسر لحسن تفهمه وسموا نداكه أسبابه، ان الامة لن تنسى لهم هذا الصنيع، ولهن احسن الحسنى وزيادة

* * *

والآن، سيروا معي جميعاً، بقلوبكم، وبشعوركم الحي، وباحساسكم الشريف نحو وادي دجلة الخصيب نحو عراق العرب الاشم نحو بغداد الرشيد والمأمون .

هنالك فوق سهل الرافدين تستقر البعثة العلمية الجامعية التي اوفدتها جمعية العلماء الجزائريين فتقبلتها حكومة العراق الابية على الرحب والسعة كما يتقبل الاب ابنه او الاخ اخاه وهنالك سوف يكتمل ثلاثة عشر من ابناء الامة الجزائرية قد حسن اختيارهم وانتقاؤهم من منابع المعرفة والثقافة العربية العليا وقد تطوعت حكومة العراق استجابة لطلب رئيسنا المعظم الجليل شيخنا الاستاذ محمد البشير الابراهيمي بنفقات تعليم هذه البعثة الشريفة حتى تعود الينا عامرة الوطاب حاملة الحكمة وفصل الخطاب وتنتوا الى جانب بعثات الجمعية الاخرى في تونس وفي القاهرة مقاعد التعليم وادارة المعاهد في هذا الوطن الظمآن الذي يترقب وابلهم بفارغ صبر وكل آت قريب .

اما بعد . فهذه ثلاث من الخطوات الفسيحة الجريئة تخطوها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنفيذا لتعهداتها وقياماً بواجباتها ولها بعد ذلك في ميادين العلم والاصلاح خطوات اخرى شاسعة لن تتأخر عنها ولن تتردد في تخطيها . فليس الاحجام من طبعنا وليس الجمود من صفاتنا .

البقية على الصفحة الخامسة

213

[1] أحمد توفيق المدني، **اندفاع جريء**، المصدر السابق.

الملحق رقم 16: مقالة أحمد توفيق المدني في "مجلة البصائر"[1]

N° 267

« EL-BASSAÏR »
Journal hebdomadaire
Organe de l'Association des Oulamas d'Algérie
12, Rue Pompée — ALGER
Téléph. : 278-17
C.C.P. 539-73
R.C. Alger 7124

البصائر
لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المدير وصاحب الامتياز المسؤول
مجد البشير الابراهيمي

عنوان المجلة:
البصائر ١٢ نهج بوسبسي
الهاتف رقم ٢٧٨,١٧
الحساب الجاري ٥٢٩,٧٣ الجزائر

١٣ شعبان ١٣٧٣ هـ
الجمعة
١٦ افريل ١٩٥٤ م

السنة السادسة من السلسلة الثانية | تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع | العدد ٢٦٧ ثمن النسخة ٣٠ فرنكا

# افظع جرائم الاستعمار ...

بقلم
احمد توفيق المدني

للاستعمار الجائر، الجاثم فوق صدورنا منذ قرن وربع، مظالم لا تحصى، وآثام لا تعد، وقد ألحق بهذه الامة المسكينة من الكوارث والنكبات ما لا نعتقد انه حاق بأمة اخرى: اغتصاب ارض، واختلاس خيرات، وتشريد أقوام، واستئثار بالحكم والسلطة، وزجر معين، وفقر منهك، وامراض فاتكة، واهمال شنيع شمل بنقمته سائر الطبقات، في كل الجهات، الى غير ذلك مما سجلته أقلام التاريخ، على صفحات الاستعمار السوداء، الى ان تحين ساعة الحساب.

لكن سائر هاتيك الجرائم المادية، وكل تلك الاوبئة الاجتماعية، لا تكاد تكون شيئا مذكورا اذا ما نحن قارناها بتلك الكارثة الادبية الفادحة التي تعمد النظام الاستعماري اقترافها، عن روية وامعان، ومنهاج مسطر، ألا وهي جريمة قتل اللغة العربية، والفتك الذريع بلسان أمة كاملة، لكي تفصل عن دينها، وتبتر من ملتها، وتقطع الصلة بماضيها، وتوصد أبواب المستقبل في وجهها، وتغدو، بعد عصور المقاومة والكفاح، لقمة سائغة، وطينة لينة يصنع منها الاستعمار قزما مشوها لا مثيل له بين البشر في العالمين.

تلك أمانيهم، وذلك هو برنامجهم المحكم السطور، ولقد ساروا في تنفيذه خطى طائلة، وتمكنوا من جعل الاغلبية العظيمة من الامة سائمة مهملة، اوهي شر من السائمة وذلك بسلوك طريقين اثنين، يحققان الغاية الاستعمارية تحقيقا لا ريب فيه، الا ما رحم ربك.

الطريق الاول هو طريق الاهمال، وتعمد التجهيل، وقد غرقت في بحر ظلماته تسعة أعشار الامة، اوما يزيد عن ذلك قليلا. فصرت لا تجد في سهولنا ونجودنا وصحرائنا الا امة امية، اتلف النظام الاستعماري ماكان لها في القديم، من وسائل التعليم، وتركها في بيداء التيه، لكي تنسلخ عن دينها وتنسى عربيتها شيئا فشيئا، وجيلا بعد جيل، الى ان تتكون الجماعة البشرية التي يريدها خلوا من كل ذلك، فيفعل بها ما يشاء. ولنا فوق المليون من الصبيان في سن الدراسة، بين إبدي الاهمال، يزداد عددهم كل سنة، على نسبة ارتفاع المواليد.

اما الطريق الثاني، ولعله اخطر واقطع، فهو طريق التعليم الحكومي، في المدرسة الابتدائية، وقد غشيه من ابنائنا وبناتنا زهاء المائة الف، حسب الاحصاء الرسمي. فهنالك لا تقرأ كلمة عربية، ولا تكتب كلمة عربية، بل لا يسمح بالنطق بكلمة عربية. فالتعليم كله فرنسي بحت، حسب منهاج محكم الوضع، يخرج ناشئة جاهلة لدينها، منسلخة عن عربيتها، منكرة لتاريخها، فاقدة الصلة بأبناء عمومتها، متجهة في الغالب صوب وجهة غير وجهة العرب وغير وجهة المسلمين.

فقولوا لي بصراحة: هل تعلمون لهذه المأساة الفظيعة مثلا في بقعة اخرى من بقاع الارض؟ وهل ابتلي الله أمة أخرى من أمم العروبة بمثل ما ابتلانا به من هذه المحنة النكباء؟

هكذا تقتل امة، وهكذا تنتهك حرمة تاريخ، وهكذا تعدم لغة قوم من الوجود.

لو سألك انسان: ايهما افضل، العلم ام الجهل؟ لوصفته بالجنون والحمق، ولقطعت معه كل حديث، فليس هو في نظرك بأهل لأن تناقشه وان تجادله.

لكن، ويا للمصيبة، قد اصبحت امة كاملة تتساءل في قطرنا الجزائري، وهي في حيرة وارتباك مدفوعة بغريزة حب البقاء: هل الجهل التام والامية المطلقة، احسن لها، واحفظ للبقية الباقية من دينها ولغتها، ام هذا التعليم الاجنبي الابتر المشوه الذي يفصل عنها ناشئتها، ويفتح لها طريقا غير الطريق الذي تصبو اليه بطبعها، ويوافق تقاليدها ومشيئتها وهواها؟

أرأيتم فداحة المصاب وعظم الجريمة؟

فما رأي هذه المؤسسات المحترمة، ضمن هيئة الامم المتحدة الموكورة المكلفة بتنفيذ القوانين الامية، التي توجب على الدولة المتسلطة ان تعلم الامم الواقعة تحت سلطانها لغتهم وآدابهم وان تنشئهم حسب تقاليدهم وتاريخهم؟

فهل نحن جزء من البشرية ام لا؟ وهل نحن امة خاضعة لسلطان خارجي أم لا؟ وهل نحن امة عربية مسلمة ام لا؟ واخيرا، هل الدولة الفرنسية خاضعة للقوانين الأممية ام لا؟

لقد فكرت حكومة باريس، أمام فداحة النهضة العالمية، وامام يقظة دنيا العرب هنا وهنالك، ان تذر شيئا من الرماد القانوني في العيون، وان تقرر بصفة هادئة متواضعة، في زاوية من زوايا الاهمال بالقانون الاساسي الجزائري الابتر، ان اللغة العربية رسمية بالبلاد، وان تعليمها سينظم في القطر، وان المجلس الجزائري، هو المكلف بايجاد الطرق التي تنفذ هذا الامر.

صدر هذا القانون سنة ١٩٤٧ ونحن الآن في عام ١٩٥٤ .... ولا أقول لك ان دار لقمان على حالها، بل اقول وأؤكد ان دار لقمان المسكين قد ازدادت تداعيا، واوشكت على السقوط. فاذا كان المجلس الجزائري الكلي الاحترام، سينفذ قرار تعليم العربية في المدارس الابتدائية، بمثل الهمة التي ابداها في قضية تنفيذ فصل الدين عن الحكومة، فحق لنا ان نتمثل بقول جرير:

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعا
أبشر بطول سلامة يا مربع!

على ان الامة لم تقف مكتوفة الايدي تجاه هذه الجريمة المدبرة، فأقبلت على تأسيس مدارسها الحرة، وبذلت في سبيلها من التضحيات المادية ما يثير الاعجاب، وبعثت بزهرة الابناء والبنات لهاتيك المدارس، واغلبها تحت رعاية ورقابة واشراف جمعية العلماء المسلمين، حيث يقرأ كتاب الله، ويدرس الدين، وتزدهر العربية، وحيث يخرج الشبان وتخرج الشابات، كما نريد الامة، واصلين الماضي بالحاضر، وفاتحين ابواب المستقبل.

لكن، ما هو موقف الحكومة من هذه المدارس الحرة؟ هي واجهة حربية طويلة ممتدة من الحد المراكشي الى الحد التونسي

* البقية على الصفحة السادسة *

## ذكرى الاستاذ الامام
# عبد الحميد بن باديس



بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لاستاذنا الامام عبد الحميد بن باديس اعتزمت شعبة العاصمة وثنية من اخدان الأدب ومعلمي مدارس جمعية العلماء في العاصمة اقامة حفلة الذكرى هذه المرة بصورة جامعة، يتجلى فيها وفاء الشعب الجزائري لعبد الحميد بن باديس الذي شق له طريق هذه النهضة الجزائرية الزاهرة، في اجلى مظاهره فيتهيأ للنشء الجديد ان يقف على عظمة جزائرية متسعة الآفاق متعددة الجوانب ثبتت له ان الجزائر ولود للعظماء، لا في القديم فحسب بل في الحديث كذلك.

وقد سعت لجنة الاحتفال في الحصول على قاعة سينما دنيا زاد لاقامة هذه الحفلة الجامعة فحصلت عليها، وعهدت الى بعض الاخوان بالقاء كلمات في مختلف جوانب عظمة صاحب الذكرى وهي تعلن اليوم ان زمن الاحتفال هو الساعة الثامنة والنصف من يوم الأحد ١٨ افريل ١٩٥٤، فنحث الجميع على مشاهدة هذا الحفل الوطني الكبير.

329

[1] أحمد توفيق المدني، **أفظع جرائم الاستعمار**، المصدر السابق.

## الملحق رقم 17: مقالة أحمد توفيق المدني في "مجلة البصائر"[1]

لمن النسخة ٣٠ فرنكا

العدد ٢١٨ — السنة الثامنة من السلسلة الثانية — N° 218

في هذا العدد

* مائدة القرآن
* في مجتمعنا الجديد
* منبر السياسة العالمية
* طريق الدعوة الى الدين
* خلوتي : قصيدة
* الفريق المتطوع
* تاريخ الجزائر العام ...
* يوميات الأزمة الجزائرية


البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

شعارها العروبة والاسلام

المدير وصاحب الامتياز المسؤول : البشير الابراهيمي

عنوان الجريدة : « البصائر » نهج بومبي رقم ١٢ بالجزائر
رقم الهاتف : ١٧ ـ ٢٧٨
الحساب الجاري بالبريد : ٧٣ ـ ٥٣٩
« EL--BASSAIR »
Journal hebdomadaire
Organe de l'Association des Oulemas d'Algérie
12, Rue Pompée - ALGER
Téléphone : 278-17
C.C.P. 539-79 R.C. Alger 7124

يوم الجمعة ٢١ رمضان ١٣٧٤ هـ — تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع — الموافق ١٣ ماي ١٩٥٥م


# كيف يمكن ان تحيا الجزائر ؟

## جواب احمد توفيق المدني

**كانت زميلتنا اليومية « الجزائر الجمهورية » قد فتحت بحثا عاما تحت هذا العنوان ، وتلقت عددا كبيرا من الاجابات لمختلف رجال الفكر والسياسة والشغل .**

**وانا نقدم فيما يلي تعريب المقال الذي كتبه احمد توفيق المدني لتلك الجريدة ، جوابا عما القي عليه من اسئلة حول الموضوع :**

**سؤال : يقول البعض ان الجزائر ليست الا ثلاث من المقاطعات الفرنسية ، ويقول البعض الآخر ان الامر على خلاف هذا ، فهل يمكن فض المشكل الجزائري باعتباره مجرد مشكل اداري، ويحكم القطر الجزائري كما تحكم ابروتانيا والبروفنس مثلا ، بالبلاد الفرنسية .**

**الجواب :** ان رجال التفوق والاستعمار يستعملون اخس واسفل وسائل النفاق الاقتصادي ، حين يتجاهلون عمدا الحقائق التاريخية والجغرافية اذ يزعمون ان بلادنا مجرد عمالات فرنسية ، ان القطر الجزائري لم يكن ابدا ولن يستطيع ان يكون قطعة من فرنسا .

فنحن نرى النفاق من جهة ، وذلك لأن رجال التفوق لايسيرون في البلاد سيرة تجعل اعمالهم مسايرة لادعائهم ، وجميع الناس هاهنا يعلمون ان هذا التركيب المزجي لايمكن ان يقع اصلا ، لأنه يقضي على امتيازات وتفوق البعض ولأنه يخالف عاطفة ورغبة الآخرين .

ونحن نرى تجاهل الحقائق وتكران الواقع من جهة اخرى . فهؤلاء المستعمرون يريدون فيما يظهر كسب الوقت ، بتناقلهم المصطنع عن وجود الوحدة الجزائرية التي التأمت والتحمت في بوتقة قرون عديدة من التاريخ .

ان امة الجزائر عاشت دائما في كنف الاستقلال . وهل تستطيع يد ان تمتد الى كتب التاريخ فتمحو منها تلك الصحائف التي تسجل ذكر ممالك نوميديا في التاريخ القديم ، مع ابطال مثل ماسنيسا وبوغورطة ؛ او تعدم ذكر دولة بني حماد في بجاية ، او دولة بني زيان في تلمسان او الدولة الجزائرية المستقلة ضمن دائرة الخلافة العثمانية الواسعة ؟

لننظر الى التاريخ نظرة مقارنة ، فان بين صحائفه اشياء يجب ان نعرف ، ان التاريخ يثبت لنا ان الوحدة الجزائرية قد وجدت بصفة فعلية واقعية قبل ان تتكون الوحدة الفرنسية ، او الوحدة الطليانية ، او الوحدة الألمانية . وان حدود قطر الجزائر لم تتغير منذ ما يزيد عن الاربعمائة وخمسين عاما ، ثم ان الأمة الجزائرية ، وهذا من صميم الواقع لم تقبل ابدا في تاريخها الرضوخ لأي سلطة اجنبية . وليس هنالك من دليل افصح من تتبع آثار الاحتلال الروماني الطويل . فهل ابقى الرومانيون بعد قرون عدة في هذه البلاد ، الا خرائب خرساء تصفعها الرياح ؟

لكن لنتخذ من الواقع الحاضر حجة تؤيد حجة التاريخ ولنتخذ هذه الحجة من نفس اصول الحكم الفرنسي ، ومن صميم المؤسسات الفرنسية التي هي المرجع عندهم لكل شيء الم يقل مجلس الدولة الفرنسي (الكونساي ديتا) في حكم شهير له ، ان قطر الجزائر يكون وحدة خاصة به ليس لها مماثل : سوى جينيرس) وتشمل ثلاثا من المقاطعات منفصلة بصفة قانونية عن مجموع المقاطعات الفرنسية ؟

انه توجد اليوم بالقطر الجزائري حركة وطنية ، واضحة علنية ، تظهر في حياتنا الداخلية كما تظهر في المقامات العالمية .

لكن اعين المتعنتين تريد ان لاتشاهد تلك الحركة ! كذلك يتجاهلها بعض الذين لايزالون يغطون في نومهم ويستسلمون للاحلام ، ولم يعلموا بعد وجود القوانين العالمية التي تنادي بارجاع السلطة للشعب .

والحقيقة التي لاريب فيها ، هي ان المستعمرين يفرون من الحقائق فرارا ، لكن فرارهم لايمنع ان تكون الحقيقة هي الحقيقة ، وانها ثابتة لاتتغير ، فهذه الحقيقة الموجودة التي يفرون منها ، هي ان الجزائريين قد اثبتوا بتاريخهم ، وبوضعيتهم الجغرافية ، وبلسانهم العربي وبرغبتهم الجامحة في الاحتفاظ على وحدتهم ، وبكفاحهم الطويل المتواصل في سبيل الحرية ، انهم يريدون الارادة الراسخة ان يبقوا جزائريين ، فوق اديم وطن جزائري حر . اما من ادعى خلاف هذا فهو لايريد — وهذا هو منطق الحوادث — الا ان يؤيد سلطان القوة وسيادة النظام الاستعماري .

فالنتيجة من كل ما ذكرته جوابا عن سؤالكم ، هو ان القول بأن قضية الجزائر تقض بصفة ادارية بحتة ، انما هو قول من باب السخرية والازدراء .

اعلموا ان مشكلنا الجزائري انما هو مشكل سياسي صميم ، مع كل ما تحويه هذه الكلمة من عوامل تاريخية واجتماعية ولغوية .

اما حل هذا المشكل ، فلا يمكن ان يقع الا بصفة واحدة : الا وهي الاعتراف للجزائريين بحقهم في ادارة بلادهم بأنفسهم .

**سؤال : انه حقا من الصعب تجاهل وجود مشكل جزائري : انما يقول البعض ان هذا المشكل يفض بواسطة استعمال القوة للمحافظة على الهدوء لسلامة السيادة الفرنسية . بينما يقول البعض الآخر ان هذا المشكل لايفض الا بواسطة مذاكرات على اوسع طريقة ممكنة مع الجميع في دائرة احترام حرية القول والنشر والاجتماع ، فاي الطريقين تفضلون ؟ ولماذا ؟**

**جواب :** لقد قال مسيو ميتران مرة : ان الجزائر فرنسية ، لأن هذه هي ارادتنا . وان الجزائريين يستطيعون ان يقولوا كذلك : ان الجزائر جزائرية ، لأن هذه هي ارادتنا .

لكن لنرتفع بالمناقشة الى ميدان اعلى . اننا اذا قلبنا صفحات التاريخ الفرنسي رأينا امثلة ناصعة من الجواب على مثل هذه المزاعم اللفظية ، فملوك فرنسا الاقدمون كانوا يكتبون اسفل قوانينهم ومنشوراتهم هذه الكلمة : هذا ما يستوجب سرورنا الجميل . فهذا السرور الجميل اوصل ملوك فرنسا الى الثورة الفرنسية الكبرى سنة ١٧٨٩ .

وحديثا قال مسيو بول رينو في اوائل الحرب العالمية الثانية : اننا سنغلب لأننا نحن الاقوى ، فهذه الكلمة ساقت فرنسا الى كارثة عام ١٩٤٠ .

واني استطيع ان اؤكد ان كلمة مسيو ميتران : هذه هي ارادتنا ، قد اوصلت الحالة في قطر الجزائر الى الدرجة التي هي عليها من الشدة والخطورة .

ان فرنسا قد استقرت في البلاد الجزائرية منذ ١٢٥ عاما ، لكنها خلال قرن وربع قرن من التاريخ ، لم تجد لادارة القطر الجزائري الا حلولا مبنية على القوة وفرض الارادة . وغني عن الذكر انه لم ينجح أي حل من هذه الحلول ؛ وقد اخلت الهوة بين فرنسا والقطر الجزائري تزداد اتساعا يوما بعد يوم ، الى ان اصبحنا نسمع جهارا الكلام على « الطلاق » .

اقول لكم صراحة ، ان الاستمرار على غلطات الماضي ، لايؤدي الا الى الفتق الذي لايرتق من بعد ابدا . وان القوة لم تفض قبل أي قضية ، ولن تفض من بعد أي قضية .

ان القطر الجزائري الذي سيحيا حياته الجديدة ، لايرى النور الا بواسطة مذاكرات حرة صريحة بين الحكومة الفرنسية ، وبين الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري ، دون ادنى ميز عنصري او ديني .

**البقية للعدد الآتي**

13

[1] أحمد توفيق المدني، **كيف يمكن أن تحيا الجزائر**، المصدر السابق.

الملحق رقم 18: "المقال شكيب أرسلان الصادر بتاريخ ذو القعدة 135/ 10 مارس 1932"[1]



# كتـــــــاب الجزائر

من أحسن ما اخرج في هذا العصر « كتاب الجزائر » للاستاذ بحق السيد أحمد توفيق المدني أكثر الله في الاسلام من أمثاله

أحصى المؤلف في هذا الكتاب المبين كل ما تلزم معرفته من أمور القطر الاوسط من تاريخ وجغرافية وادارة واجتماع واقتصاد وغير ذلك بعبارة سهلة سائغة بليغة جامعة لا تمل بأطناب ولا تخل بايجاز ولا اقتضاب . فان كان كتاب حديث لائقاً بالقنية وجديراً بأن يقال انه ليس عنه غنية فهذا الكتاب

ومن تأمل في أنظمة الجزائر والقوانين التي تسير عليها السلطة الافرنسية في ذلك القطر علم مقدار الظلم والعسف الواقعين على أهاليه المسلمين وفهم كيف يكال بمكيالين ويوزن بميزانين بينهم وبين الاوربي وأدرك غور الدسائس والمكايد التي اودعها المستعمرون في اصلاب قوانينهم ليقضوا على كل شيء اسلامي في ذلك القطر مادياً كان أو معنوياً . ذكر السيد المدني هذه القوانين وهذه الانظمة كما هي عليه نقلا عن دستور الجزائر فلم يزد عليها شيئاً ولم يعلق من الملاحظات في هذا الباب الا اشارات كلمح البصر . فالمسلمون لا يدينون فرنسة الا من نفس قوانينها ولا يضيفون شيئاً على ما تعلنه هي انه مدار عملها في الجزائر . ولا يجدون حاجة للشرح والتعليق لان نصوص القوانين الافرنسية المبثية من أولها الى آخرها على ارادة تجريد المسلمين من كل شيء ينفعهم هي كافية وافية لا تحتاج الى الايضاح بذيول ولا بهوامش

فليقرأ القارىء هذه القوانين التي تسنها دولة زاعمة أنها في مقدمة الدول المتمدنة وليقايسها بشريعة الاسلام فيما تعامل به أهل الذمة .. فعند ذلك لا مناص له من أن يقول :

وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل اناء بالذى فيه ينضح

ومن أغرب الغرائب عقلية الافرنسيس الذين يسنون هذه القوانين ويحكمون هذه الاحكام ويسمون كل من ينقلها عنهم بنصها وفصها عدواً لهم . فكأنهم يريدون أن يسنوا هذه المظالم كلها قوانين وأن يجروها بالفعل باضعاف ما فيها من الظلم – لان أفعالهم في الجزائر أشنع من الاقوال وتطبيق قوانينهم أفحش بكثير من نصوصها – وأن لا يتكلم عنها أحد بشيء بل يتركها مسكوتا عنها مطوية على غرّها فاذا ذكرها ذاكر أو أشار اليها أو نقلها مجرد نقل صاحوا من كل جهة :

— هذا عدو فرنسة !

والحال ان العدو لفرنسة انما يريد أن تستمر على هذه السياسة وانه ما يذهبها الى مافيها من العدوان الا مريد الخير لها

يا أيها القوم ان كنتم تعلمون ان نشر هذه الحقائق مما يؤذيكم فلماذا ترتكبون ما يؤذيكم نشره ؟

وان كنتم ترون هذه القوانين التي تختصون بمظالمها المسلمين هدماً للاسلام وابادة لمن يتمسكون به قوانين عادلة لا غبار عليها فلماذا تغضبون على من يترجمها الى العربية أو ينشر هذه الفضائح ولو بدون تعليق . يريدون أن يظلموا ولكنهم لا يريدون أن يسمعوا أنين المظلومين ولا أن يدعوا أحداً في مكان آخر يسمع هذا الانين . وهذا من أغرب عقليات العالمين

شكيب أرسلان

---

نظام التعليم في العراق

دعت حكومة العراق الاستاذ بيكر وزير المعارف السابق في بروسيا لكي يتعاون مع لجنة مترو الامريكية التي تشتغل بتنقيح نظام التعليم في العراق وتهذيبه

---

جمعية الشبان الادبية بالسويس

يلقي في الساعة السادسة من مساء الجمعة ٤ ذو القعدة بدار الجمعية حضرة الاديب السيد أفندي محمود يخيت رئيس الجمعية محاضرة في « التربية الخلقة عنوان رقي الشعوب » فنحث الشبان لسماع تلك المحاضرة القيمة

السكرتير : محمد يونس



[1] صورة مقال الأمير شكيب عن كتاب الجزائر، الموقع الخاص بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني الإسلام ديننا – العربية لغتنا – الجزائر وطننا www.elmadani.org، يوم: الثلاثاء 22 ماي 2018م على الساعة: 15:00.

الملحق رقم 19: "شعر أحمد سحنون لتوفيق المدني"[1]

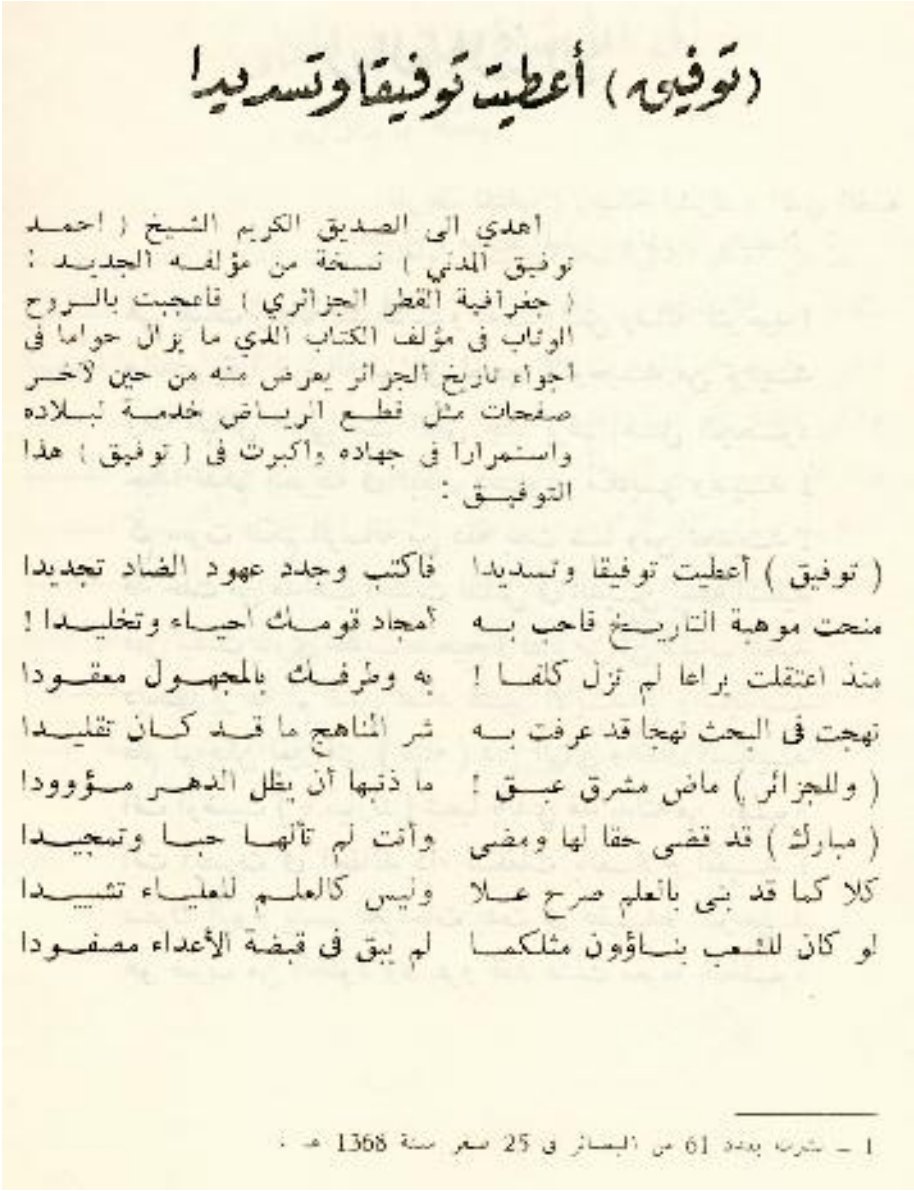

## (توفيق) أعطيت توفيقا وتسديدا

اهدي الى الصديق الكريم الشيخ ( احمد توفيق المدني ) نسخة من مؤلفه الجديد : ( جغرافية القطر الجزائري ) فاعجبت بالروح الوثاب في مؤلف الكتاب الذي ما يزال حوامًا في أجواء تاريخ الجزائر يعرض منه من حين لآخر صفحات مثل قطع الرياض خدمة لبلاده واستمرارا في جهاده واكبرت في ( توفيق ) هذا التوفيق :

( توفيق ) أعطيت توفيقا وتسديدا ... فاكتب وجدد عهود الضاد تجديدا
منحت موهبة التاريخ فاحب به ... أمجاد قومك احياء وتخليدا !
منذ اعتقلت يراعا لم تزل كلفا ! ... به وطرفك بالمجهول معقودا
نهجت في البحث نهجا قد عرفت به ... شر المناهج ما قد كان تقليدا
( وللجزائر ) ماض مشرق عبق ! ... ما ذنبها أن يظل الدهر مؤوودا
( مبارك ) قد قضى حقا لها ومضى ... وأنت لم تألها حبا وتمجيدا
كلا كما قد بنى بالعلم صرح علا ... وليس كالعلم للعلياء تشييدا
لو كان للشعب بناؤون مثلكما ... لم يبق في قبضة الأعداء مصفودا

---

1 – نشرته جريدة 61 من البصائر في 25 صفر سنة 1368 هـ .

[1] ملحق أرشيف التصنيف جغرافية القطر الجزائري، الموقع الخاص بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني الإسلام ديننا – العربية لغتنا – الجزائر وطننا www.elmadani.org، يوم: الثلاثاء 22 ماي 2018م على الساعة: 14:49.

# قائمة المصادر والمراجع

## أولا: المصادر

### ❖ القرآن الكريم.

### أ- الكتب:

1. بن باديس عبد الحميد، **آثار ابن باديس**، تصحيح: عمار طالبي، ط1، ج1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968.

2. بركات مصطفى، **الألقاب والوظائف العثمانية من الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات (1517-1924م)**، (د-ط)، دار غريب، 2000.

1. العسلي بسام، **عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية**، طبعة خاصة، النفائس، الجزائر، 2010.

3. بوصفصاف عبد الكريم، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى دراسة (تحليلية) تاريخية وأيديولوجية مقارنة**، (د-ط)، دار المداد، 2009.

4. ــــــــــ ــــــــــ، **في كتابة معجم أعلام الجزائر في الفرنسين 19 و20**، (د-ط)، ج1، دار مدد يونيفار نسيتي براس، الجزائر، (د-س).

5. ــــــــــ ــــــــــ، **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ط1، ج2، دار مداد يونيفارسيتي براس، الجزائر، 2015م.

6. تشرشل شارل هنري، **حياة الأمير عبد القادر**، (د-ط)، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.

7. الحاج يحي الجيلاني ومحمد مرزوقي، **معركة الزلاج 1911**، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1974.

8. حربي محمد، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، (د-ط)، موفم، (د- ب) 1994.

9. حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر ق14هـ-20م من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين**، ط1، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1978.

10. حسني محمد الهادي، **الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال نصوص معاصرة**، (د–ط)، عالم الأفكار، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007،

11. حمدان خوجة الجزائري علي أفندي، وص**ف رحلة من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة عبر الجبال**، (د–ط)، تر وتق: حميدة عميراوي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2000.

12. حواس الوناس، **نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927–1945**، (د–ط)، دار شطايبي، بوزريعة، 2013.

.13

14. دبوز محمد علي، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، (د–ط)، ج2، عاصمة الثقافة العربية الجزائر، 2007.

15. الساحلي حمادي، **خلاصة تاريخ تونس**، (د ط)، دار الجنوب، (د– ب)، 2001.

16. سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط2، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

17. ـــــــــ ـــــــــ، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، (د–ط)، ج7، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

18. بوعزة بوضرساية، **رواد المدرسة التاريخية الجزائرية**، (د–ط)، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

19. الزمرلي الصادق، **الأعلام التونسيون**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

20. سعود الطاهر، **الحركات الإسلامية في الجزائر الجذور التاريخية والفكرية**، ط1، المسبار، الأمارات العربية المتحدة، 2012م.

21. شرباصي أحمد، **شكيب أرسلان**، (د–ط)، ج1، دار الكتاب العربي، مصر، 1963م.

22. شيخ عمران، تقرير نصر الدين سعيدوني، **معجم مشاهير المغاربة**، ط2، صونيام، 2013.

23. صاري الجيلالي، **بروز النخبة المتفقة الجزائرية 1850–1950**، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007.

24. صديق محمد الصالح، **شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية**، (د–ط)، دار الأمة، الجزائر، 2010.

25. ضيف الجلاني، **بناة المجد توفيق المدني**، طبعة خاصة، دار الخليل الجلفة، 2013.

26. طراد نجيب إبراهيم، **تاريخ الرومانيين من بناء روما إلى تلاشي الحكومة الجمعوية**، (د–ط)، المطبعة اللبنانية، لبنان، 1886.

27. عباس فرحات، **الشاب الجزائري**، (د–ط)، تر: أحمد لمنور، الجزائر العاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

28. عثمان خوجة حمدان، **المرآة**، (د–ط)، تع وتل: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2006.

29. عراقي عاطف، **الشيخ محمد عبده (1849–1905م)**، (د–ط)، بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره، المجلس الأعلى لثقافة، مصر، 1995م.

30. عمري الطاهر، **النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بداية القرن العشرين الي ما بين الحربين العالميتين**، (د–ط)، الوطنية، الجزائر، 2009.

31. فضلاء محمد الطاهر، **التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح**، ط1، ج 1، البعث، الجزائر، 1982م.

32. قنانش محمد، **مذكراتي مع مشاهير كفاح**، (د– ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

33. الكتبي حمادو عبد الرحمن، **مرجعيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، (د–ط)، ج1، الجزائر، 2016.

34. كواتي مسعود، **شخصيات جزائرية مواقف واثار ونصوص**، ط1، دار طيلطلة، الجزائر، 2011.

35. لونيسي رابح، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920–1964)**، ط1، كوكب العلوم، الجزائر، 2009.

36. مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (د–ط)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، لبنان.

37. ـــــــــ ـــــــــ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (د–ط)، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د–س).

38. ـــــــــ ـــــــــ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (د–ط)، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

39. محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحماني، **المفيد في تاريخ المغرب**، (د–ط)، دار الكتاب، المغرب، (د–س).

40. مدني أحمد توفيق، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا**، (د–ط)، البصائر، الجزائر، 2009.

41. ـــــــــ ـــــــــ، **جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية**، (د–ط)، المطبعة العربية، الجزائر، 1948م.

42. ـــــــــ ـــــــــ، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492–1792)**، (د–ط)، البعث، الجزائر، (د–س).

43. ـــــــــ ـــــــــ، **رد أديب عن حملة أكاذيب**، (د–ط)، البصائر، الجزائر، 2009.

44. ـــــــــ ـــــــــ، **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، (د–ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

45. ـــــــــ ـــــــــ، **كتاب الجزائر**، (د–ط)، منشورات رويبة ANEP، الجزائر، 2010.

46. ـــــــــ ـــــــــ، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766–1791) سيرته حروبه أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، (د–ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

47. ـــــــــ ـــــــــ، **مذكرات حياة الكفاح**، (د–ط)، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

48. ـــــــــ ـــــــــ، **مذكرات حياة كفاح**، (د–ط)، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009.

49. ـــــــــ ـــــــــ، **مذكرات حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية**، (د–ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

50. ـــــــــ ـــــــــ، **هذه هي الجزائر**، (د–ط)، النهضة، مصر، 2001.

51. مراد علي، **الحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر بحث في التاريخ الديني والاجتماعي 1925–1940**، (د–ط)، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، (د– س).

52. مرتاض عبد المالك، **نهضة الأدب العربي في الجزائر 1925-1954 النهضة الفكرية النهضة الأدبية -النهضة الثقافية**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

53. ميلي بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (د-ط)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د-س).

54. ميلي محمد، **المؤتمر الإسلامي الجزائري**، (د-ط)، دار هومة، الجزائر، 2006.

55. نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980م.

56. الوزان الفاسي حسن بن محمد، **وصف إفريقيا**، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

## ب- المجلات والجرائد

*** المجلات:**

1. مدني أحمد توفيق، "أفظع جرائم الاستعمار"، **البصائر**، لبنان، العدد 267، المجلد 67 .الجمعة 13 شعبان 1373هـ-16أفريل 1954م.

2. ـــــــ ـــــــ، "الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، **البصائر**، لبنان، العدد 172، المجلد 65، 1381هـ-1952م.

3. ـــــــ ـــــــ، "اندفاع جريء"، **البصائر**، العدد 207. المجلد 66، الاثنين 29 صفر 1372-17 نوفمبر 1952.

4. ـــــــ ـــــــ، "كيف يمكن أن تحيا الجزائر"، **البصائر**، لبنان، العدد 318، المجلد 69، الجمعة 21 رمضان 1374هـ-13ماي 1955م.

*** الجرائد:**

- **العربية:**

1. رابح لونيسي، الصراعات الداخلية للثورة الجزائرية في الخطاب التاريخي الجزائري، **انسانيات**، العددان 25-26، جويلية-سبتمبر، 2004.

2. رمعون حسن، التاريخ الوطني والممارسات السياسية والانتمائية (الهوياتية)، **إنسانيات**، عدد 3، 1997.

- **الفرنسية:**

1. Hassan Remaoun ،**les historiens algériens issus du mouvement national,** Insaniyat n° 25-26 ،juillet- décembre 2004.
2. Stora Benjanmin ،"l'histoire de l'Algérie ،sources ،problems ،écriture", **Insaniyat** n° 25-26 juillet-décembre 2004 .

## ثانيا- المراجع:

### أ- الكتب:

2. بوطيبي محمد، **دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900-1930**، (د-ط)، "دار الهدى، الجزائر، (د-س).

3. بوغابة يوسف، **معالم الفكر السياسي الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دارسة تحليلية**، طبعة خاصة، دار زمورة، الجزائر، 2013.

4. جرار عبد الرؤوف، **سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع**، (د-ط)، جامعة القدس، فلسطين، (د-س).

5. شترة خير الدين، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939م**، (د-ط)، دار كردادة، (د-س).

6. ـــــــ ـــــــ، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956**، (د-ط)، ج3، دار البصائر، الجزائر (د-س).

7. شحات هيكل أحمد، **يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية**، (د-ط)، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، 2007.

8. صاري موسى، **سلسلة أعلام الجزائر أحمد توفيق المدني علم العروبة والإسلام 1887-1983**، (د-ط)، ابتكار، الجزائر، (د-س).

9. عدالـه رابـح، **المختصـر فـي أعـلام الجزائـر للبحـوث والمطالعـة**، (د-ط)، دار المجتهد، 2015.

10. عقاب محمد الطيب، **حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي**، (د-ط)، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

11. مجموعة مؤلفين، موسوعة أعلام الجزائر 1954-1962، **منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954**، وطبعة خاصة وزارة المجاهدين.

12. بن علي محمد الصالح، **الألغاز الشعبية وادي سوف (دراسة)**، ط1، مطبعة مزوار، مديرية الثقافة لولاية الوادي، الوادي، 2012.

**ب- المجلات**

1. عبيد أحمد، التأريخ الجزائري، تقييم ونقد- حالة الجزائر العثمانية-، **إنسانيات**، عدد 47-48، جانفي - جوان 2010.

**ج- الرسائل الجامعية:**

1. بوطيبي محمد، **دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900-1930**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2007-2008.

2. بومعزة عز الدين، **فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1889-1985)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004-2005.

3. جودي بكاكرية، **المثقفون واشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري دراسة مقارنة بين احمد توفيق المدني ومصطفي الاشرف**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2008-2009.

4. زقب عثمان، **مطبوعة مصادر تاريخ الجزائر** (مخطوطة)، محاضرات من مقرر سنة ثانية ليسانس نظام L.M.D، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ العام، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2016-2017.

5. عسول صالح، **اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة 1956-1956**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009.

6. عقيب محمد السعيد، **الحزب الدستوري التونسي القديم 1934-1956**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.

7. قدادرة الشايب، **الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934-1954 م دراسة مقارنة**، اطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007م.

8. ميسوم بلقاسم، **الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية (مخطوطة) 1830-1962 دراسة تحليلية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر، 2011-2012.

**د- المقالات:**

1. خليفي عبد القادر، **الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية دراسة نماذج من اسهامات احمد توفيق المدني خلال الفترة 1931- 1950**، قسم التاريخ، جامعة مسيلة.

**هـ- المواقع الإلكترونية:**

1. الموقع الخاص بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني الإسلام ديننا – العربية لغتنا – الجزائر وطننا ww.elmadani.org، يوم: الثلاثاء 22 ماي 2018م.

# فهرس المحتويات

# فهرس المحتويات

**العنوان** **رقم الصفحة**

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة.....5

## الفصل الأول

## الكتابة التاريخية الجزائرية المعاصرة والتعريف بـ "أحمد توفيق المدني"

أولا– الكتابة التاريخية الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي وبعده.....12

ثانيا– التعريف بشخصية "أحمد توفيق المدني" ومساره النضالي.....23

ثالثا– أبرز أعماله.....37

**استنتاج جزئي**.....48

## الفصل الثاني

## تصنيف الكتابات التاريخية عند "أحمد توفيق المدني"

أولا– الفترة القديمة.....50

ثانيا– فترة الفتح الإسلامي وعصر الدويلات.....60

ثالثا– الفترة الإسبانية والعثمانية.....66

رابعا – الفترة الاستعمارية الفرنسية.....73

**استنتاج جزئي**.....89

## الفصل الثالث

## دراسة في أسلوب الكتابة عند أحمد توفيق المدني وآثارها لدى معاصريه

أولا: أسلوبـه.....92

ثانيا: مصادره ومراجعه.....98

ثالثا: آثار كتبه لدى معاصريه.....100

رابعا: ردود توفيق المدني على منتقديه.....124

**استنتاج جزئي**.....128

**الخاتمة**.....131

**الملاحق**.....135

**قائمة المصادر والمراجع**.....155

**فهـرس المحتويـات**.....164